أضواء على تاريخ تركستان

(تركستان)

تأليف

السيد عبد المؤمن السيد آدم

تقديم الأستاذ

أحمد محمد جمال



أضواء

على تاريخ توران

تركستان

تأليف

السيد عبد المؤمن السيد أكرم

تقديم الأستاذ

أحمد محمد جمال



بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــديم

بقلم : احمد محمد جمال

كتاب (أضواء على تاريخ توران) سجل ممتع ورائع ـ ومهم من الناحية التاريخية ـ لهذه البلاد العريقة في الحضارة الانسانية ثم في الحضارة الاسلامية .
وقد عرفت منذ استولى عليها الروس الظلمة باسم (تركستان) فأصبحت احدى جمهوريات الاتحاد السوفياتي ـ وسيجد القارئ فصلاً عن مظالم الاستعمار الانجليزي والسوفياتي لآسيا الوسطى ـ ومنها تركستان ـ خلال القرن التاسع عشر .
كما يجد القارئ نبذة عن التاريخ الروسي ـ أي الثورة الشيوعية بعد انقلاب لينين سنة ١٩١٧ . الذي قامت في أعقابه الدولة الشيوعية . وقد كان غزو الروس لتركستان فكريا ثم سياسياً وعسكرياً سنة ١٩٣٧م .

* * *

ان تركستان ـ التى عرفت قديماً باسم توران ـ بلاد كساها الله جمالاً بما أسبغ على أرضها من خضرة زاهية ، وطبيعة جذابة : أنهار جارية بالماء العذب ، وهضاب ونجاد رافعة الرأس . جميلة المنظر . مع ما تختزنه أرضها من معادن وفيرة ، وما تنبته على ظهرها من ثمار شهية ، وأزهار فاتنة ، تملأ الجو على اتساعه بالنسيم المعطر الجميل ـ على حد تعبير المؤلف السيد عبد المؤمن السيد أكرم ـ
وتركستان هي منبت أصول الأتراك .. من أحشائها خرجت القبائل التركية ، وعرف في هذه القبائل العباقرة والأبطال في شتى فنون الثقافة والادارة والسياسة وعلوم الدين واللغة وميادين الحرب والقتال ..
وفي سنة ١٩٠٤م ـ قامت بعثة تنقيب أمريكية بعمليات حفر في توران ، فتبين لها أنها بلاد ذات حضارة بشرية عريقة وأصيلة .

* * *

وقد أنعم الله ـ كما يقول المؤلف الفاضل ـ على تركستان بنعمة الاسلام ، وصدق الايمان . فأشرق نور هذا الدين الحنيف على أرجائها ، وشمل كل أبنائها .
وبدأ دخول الاسلام الى هذه الديار الماجدة بموقعة (نهاوند) التى كانت المعركة الفاصلة بين

المسلمين والفرس . وكان القائد الاسلامي حينئذ سعد بن ابي وقاص ، والقائد الفارسي يزدجرد الذي هرب . فتعقبه الجند الاسلامي وقتلوه ـ وفي سنة ٦٤٥م بعد انهيار الدولة التركية في تركستان وانقسامها الى عدة دويلات . وفي هذه الفترة بدأ المسلمون يستعدون لغزو تركستان ، ودخل بعض الدعاة المسلمين . وكان ذلك في عهد خلافة عثمان رضى الله عنه .

وفي فترة خلافة عبد الملك بن مروان ـ وبقيادة البطل قتيبة بن مسلم الباهلي سنة ٨٦هـ كانت المعركة الفاصلة بين الجيش الاسلامي والقوات التركستانية .. حتى تم الانتصار للاسلام ، وكان الفتح المبين . وقضى على الشرك والوثنية وانتشر الاسلام في ربوع هذه الديار الطيبة ، وعمت مبادئ الحرية والاخاء والمساواة والتراحم ابناء تركستان .

* * *

ومن مفاخر تركستان انها أنجبت هؤلاء العلماء الأجلاء :

* الامام البخاري أمير المحدثين ..
* الفقيه أبو الليث السمرقندي ..
* الامام مسلم صاحب كتاب (الصحيح) ..
* الامام أبو داود صاحب كتاب (السنن) ..
* الامام أبو عيسى الترمذي صاحب السنن والشمائل ..
* الامام الكاساني صاحب البدائع والصنائع ..
* الامام السر حسنى صاحب المبسوط ..
* الامام الزمخشري صاحب الكشاف ..
* الامام النفي صاحب التفسير المعروف ..

وغيرهم من علماء اللغة والبلاغة والأدب .

لقد أحسن المؤلف السيد عبد المؤمن باخراج هذا الكتاب القيم النفيس . فجزاه الله خيراً على ما قدم . ونفع به طلاب العلم والحقيقة التاريخية .

وبهذه المناسبة نشير الى أن المؤلف الفاضل كانت ولادته سنة ١٣١٨هـ ببلاد (خزار) التى كان يحكمها والده الأمير أكرم رحمه الله . كما كانت هجرته أولاً الى أفغانستان سنة ١٩٣٨ ثم الى مكة المكرمة حيث لقي هو وجماعة التركستانيين المهاجرين صدوراً رحبة من الدولة والشعب السعوديين .

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ كتاب أضواء على تاريخ توران (تركستان)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله المصطفى . وعلى آله واصحابه نجوم الهدى وبعد فان تاريخ بخارى وتركستان او مملكة ما وراء النهر وبعبارة اشمل منهما اقليم توران . قد أمد العالم الاسلامى بعباقرة وافذاذ من اهل العلم والفن والعارفين بالله . ولم يزل بخارا معدن العلم والعرفان حتى احتلال الشيوعيين في اواخر عام ١٣٢٨هـ — ١٩٢٠م وقد قام الشيوعيون بابادة علماء هذه الديار بصورة وحشية اذ انهم كانوا سدا منيعا لنشر مبادئهم الالحادية الهدامة .

وانه ليحز في نفسى قلة اهتمام العالم العربي لمعرفة احوال علماء وادباء تلك الاقطار . ولعل بعد الشقة بينهم او لعدم معرفتهم اللسان الفارسية والتركية مع ان الموسوعات العربية تزخر باسماء علماء غير المسلمين من المستشرقين الغربيين .

وان تلك الاقطار اخرجت في اربعة القرون الاخيرة ابطالا وعباقرة يجدر وضعهم في صفوف الخالدين ، عبيد الله خان ازبك المتوفي عام ٩٤٦هـ الذى انقذ عالم التسنن من خطط التشيع الذي وضعه اسماعيل الصفوى فارسل قائده امير نجم الثاني المشبع بروح التشيع ومعه ظهير الدين بابر لعله يسترد ملك آبائه فعبر النجم الجيحون في عام ٩١٨ واحتل قرشى (النسف) فامر بقتل العام وتوسط بابر بابقاء قوم من الجغتاى فلم يقبل ولم يبق متنفسا اذ انهم عريقون في التسنن فرجع بابر من هناك لما راى من فظائع القائد الايراني فحاصر بلدة غجدوان وكان يضع خطط قتل عام بخارا وسمرقند وسائر بلاد تلك الاقطار الا من قبل مبدأ التشيع ويلعن ١٧ نفرا من اصحاب الكرام السابقين علنا . فهاجم عبيد الله خان امير بخارا فقتل في اول المعركة القائد الايراني نجم الثاني فرفعوا راسه في الرماح وانتهت المعركة بهزيمة الايرانيين وفاز الازبك بالغنائم والاسرى .

وكان عبيد الله خان بجانب بطولته عالما واديبا وشاعرا مجيدا وكان يحل المعميات بدون ذكر الاسم وهذا يعد كمال الحذاقة وقد كتب لخواجه امبربيك وزير غازى خان الابيات التالية :

اى باد اكر براهل خراسان كذر كى
زينهار عرضه ده برايشان بيام ما
وانكه زروى لطف بكو آن كروه را
كاى كتسنه كينه خواه شما خاص وعام ما
كلك غرور وجهل شما كرده ستثبت
در رفعه كه بوده دران رفعه نام ما
كاى خواجه بعد ازين طمع اززند كى ببر
زانرو كه كنت سكه خاني بنام ما

وله ديوان ومنه يقول :

هرغم من ميشود جند بن هزار ازروز كار

خانه آحار من كويا الوف افتاده ست

اما عبد الله خان بن سكندرخان المتوفي عام ١٠٠٦هـ فانه عظم وقام بما قام به من الفتوحات مثل تيمور لنك وزاد عنه في تربية العلماء ووحد الكلمة وزاد في اعمال الخير فبنى ١٠٠١ سردابا وخانا في طريق القوافل ولم يزل بعضها موجودا سوى الكباري والمدارس والمساجد وشق الترع وهو الذي فكر ربط تركستان بتركيا فطلب من سليمان القانوني ارسال المهندسين لفتح الطريق للهدف المذكور فعاق تنفيذ المشروع حكام فريم خوفا من زوال نفوذهم فكانوا هم اول ضحية لبراثن الروس .

وامير شاهمراد منغيت الذي بالغ في الزهد والعفة وكان يوميته درهمين من جزية اليهود وله مواقف تضرب المثل للمثل العليا . ومن العلماء (احمد مخدوم دانش) (المشهور باحمد كله) كان يماثل ابو علي سينا والفارابي وقد اعجب به امبراطور لما راى منه ما يحير العقول ولاسيا في علم الهيئة والنجوم والوقائع يوافق تكهناته وهو صاحب نوادر الوقائع وقد مدحه شاهين بقصيدة ومنها :

هر دعوى كه ازتو بفضل وكمال رفت

برحيس مهر كرد وعطارد نوشت صك

ديدم نوادر تو واز صفحه خيال

كردم وقائع حكماى كذشته حك

وان السيد عبدالمبين مؤلف (اضواء على تأريخ توران) هو من الاسرة المالكة التي حكمت تلك الاقطار الشاسعة حقبة من الزمان وكان في نفس الوقت حاكما في اقلم خرار وكتاب شهر سبز وكان ساحته مجمعا لاهل العلم والفن والادب وان كل ما كتبه في الاحداث الاخيرة شاهده بنفسه وكتبه عن خبرة ودقة وبصيرة فجزاه الله احسن الجزاء وان امجاد تلك الامم لم تزل مجهولة ، ونأمل أن تقوم الجامعات العربية بدور فعال لوضع مسابقة نيل الدكتوراه بالكشف عن ناحية من مواهب اهل تلك الاقطار لتمد المكتبات العربية من تلك الجنود المجهولة وبالله التوفيق .

عبد القادر كرامة الله



جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله



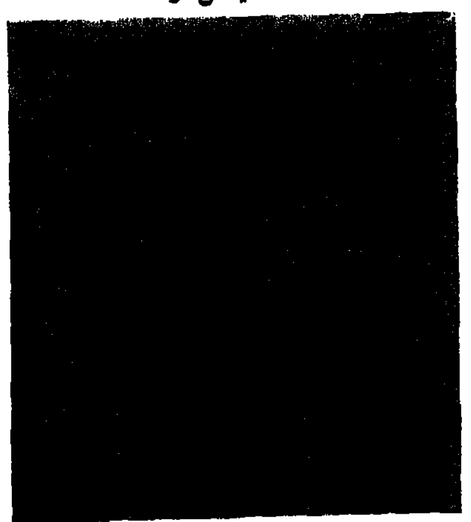
جلالة الملك سعود رحمه الله



جلالة الملك فيصل رحمه الله



جلالة الملك خالد رحمه الله



جلالة الملك فهد



صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير عبد الله

مقـــدمة

سبحانك اللهم جلّ جلالك ، ولا علم لنا الا ما علّمتنا . قال الله تعالى في كتابه العزيز « **وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك** » وقال تعالى « **لقد كان في قصصهم عبرة لاولى الالباب ، ماكان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيئ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون** »

والحمد لله الذي انار قلوب العارفين بانوار معرفته وملأ قلوبهم بالايمان به فخشعت له جل جلاله افئدتهم وشقوا طريقهم في الحياة بنور الايمان وصدق العزيمة والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد خاتم الانبياء والمرسلين ، انشقّ القمر باشارته ، وغدا يحشر الانبياء تحت لواء همته وعلى آله الذين فازوا وتشرّفوا بالنسب اليه ، وعلى اصحابه الذين شاركوا وبذلوا ارواحهم لاحياء سننه .

وبعد ... فقد وجدت من واجبي نحو وطني الاصلي (توران) واحقاقا للحق وانصافا للتاريخ ان اسجّل في هذا الكتيّب بعض الحقائق والاحداث التى عشتها في توران والتى وجدت منها اثناء اطلاعي على ما نشر عنها من كتب او مقالات أمّا قد حرف فيه او جانب الحقيقة وابتعد عنها ربما لاسباب سياسية وربما لاسباب شخصية والله اعلم بما في الصدور .

ولست اسجل هنا اشياء أرويها بدون تحقق من صحتها لبعدي عن احداثها او ادّعيها لاسباب ليس لها أساس من الصحة ، ، بل ازاء مسئوليتى امام الله وللحقيقة فقط اسجلها خاصة وانني كما أسلفت عشت في هذه الاحداث وعاصرتها .

فانا عبد المؤمن الشهير بعبد المبين بن السيد اكرم بن الامير مظفر الدين امير بخارى من سلالة منغيتية ومن امراء بخارى (بلاد توران) .

وانا الآن مهاجر ومقيم بمكة المكرمة بالمملكة العربية السعودية وفي رحاب الحرمين الشريفين زادهما الله شرفا وتعظما . وقد دفعني الى اخراج هذا الكتاب عن حقبة من الزمن في تاريخ توران ايماني العميق منذ نشأتي بانّ اؤدي واجبا هو مزيج من الواجب الدينى والواجب الوطنى اعترافا منى بالوفاء والاخلاص لبلادي والاسلام ديننا القويم .

فاذا وفّقنى الله في ذلك فقد ارضيت الله والامة فان تاريخ توران جزء هام من تاريخ الاسلام ولايمكّن استيفاء عصور التاريخ الاسلامي استيفاءكاملا بحثا واستقصاء بدون ربطه بتاريخ (توران) فكلاهما متمّم للآخر كالروح والجسد من الانسان .

ولا أدّعي انني من علماء التاريخ ولكنني كما ذكرت من قبل فرد من افراد بلاد توران وامير من امرائها فعليّ لهذه البلاد واجب مقدس ، واطلاعي على كتب التاريخ باللغات العربية والفارسية والتركية التى تدرس في مدارس بخارى حفزني الى تسجيل ما شاهدت وما سمعت من مصادر اثق في صدقها حتى أترك لاولادي ولمواطنى نبذة صادقة عن فترة قصيرة من تاريخ بلادي (توران) .

وعلم التاريخ مهم فالجاهل بعلم التاريخ مثل الطفل لا يعرف ابويه الا اذا عرّفاه ففي علم التاريخ عبرة لمن اعتبر وموعظة لمن افتكر واعلاما في ان من دخل دار الدنيا فهو على سفر واستحضارا لحالات من مضى وغبر ونداء على ان كل ما في هذه الدار فهو مقهور تحت القضاء والقدر.

المؤلف

السيد عبد المبين السيد اكرم

(اقليم توران)

(توران) أو (تركستان) الآن احدى جمهوريات الاتحاد السوفيتي بلاد كساها الله جمالا . فقد كست الخضرة الجميلة الزاهية ارضها وشقت الانهار ارجاءها غزيرة المياه العذبة الصافية تكتنفها هضاب ونجاد ذات مناظر طبيعية جذابة للعين مريحة للنفس تنتشر بانحاء (توران) آثار اول مدنية انسانية واقدم حضارة بشرية تشهد بما كان لآبائنا واجدادنا من نبوغ من الفن وعراقة في المجد والسلطان مما يقوي نفوسنا من الروح القومية ويجعلنا نفخر بحق ونعتز بصدق بذكريات ماضينا المجيد ويحفزنا الى ان ننطلق بعزيمة وجد نحو مستقبل مشرق . وقد كانت هذه الرقعة الخالدة منبت الاتراك ومهد الروحانية والقوة اللتان قامت عليهما دولة الاتراك خارجها .

ففي ارض (توران) نبتت اصول الاتراك وعلى هذه الاراضى ترعرعت فروعهم واغترفوا من حضارتها وعلومها وتسلحوا من مجدها الخالد ما مكنهم من تكوين وحدة قوية واقامة دولة فتية من قبائلهم المتناثرة فكانت لهم الغلبة واستقامت حضارتهم على مدى اربعة قرون او اكثر من الزمن وسجل لهم التاريخ خلالها السيادة والقيادة .

هذه الاراضى التى خرجت من احشائها قبائل الاتراك وغيرهم من عباقر في فنون القتال والحرب وجهابذة في الادارة والسياسة وعظماء في علوم الدين واللغة والحديث .

هذه الاراضى التى قامت بها النظم الحاكمة القوية منذ القدم فكانت اعرق النظم في آسيا وشعاع القلم والحضارة لهذه القارة القديمة وكان المجد والفخر يلازمان الملوك والخواقين الذين حكموا بلاد توران فكانوا نجوما ساطعة في سماء التاريخ وابطالا جبابرة على مر القرون فقد استطاعوا ان يبسطوا نفوذهم على الممالك المترامية وينشروا الأمن والسلام اينما حلوا .

وقد اثبت الباحثون من علماء الآثار وعلماء التاريخ ان (تركستان) اول بلاد اكتشفت فيها زراعة الحبوب واستئناس الحيوانات وكان اهلها يعرفون فن الزراعة وتربية الخيول ورعي الاغنام منذ نشأة الانسان على هذه الاراضى .

كما اثبتت ايضا الكشوف الحفرية التى قامت بها بعثة الحفائر والتنقيب الامريكية عام ١٩٠٤م ان بلاد توران كانت مهد الحضارة البشرية . فقد عثرت هذه البعثة على آثار تاريخية في شرق بحر قزوين ، قريبا من مدينة (عشق آباد) تدل على ان تركستان لعبت دورا هاما في المدنية وسبقت بمدنيتها سائر سكان الكرة الارضية .

وقد قرر رئيس البعثة المذكورة العالم الاثرى الامريكى المشهور (بومبللى) بعد دراسته للآثار التى عثر عليها واجراء البحوث العلمية الفاحصة لها ان مدنية العصر الحجرى الجديد عاشت في تركستان قبل ميلاد المسيح بنحو تسعة آلاف سنة وأن تربية الحيوان وجدت بها قبل ثمانية آلاف سنة قبل

الميلاد . وكذلك الصناعات المعدنية فقد وجدت بها قبل الميلاد بستة آلاف سنة . كما عثر في القسم الشمالي من تركستان في بعض قبور القدماء ، والقلاع القديمة على آثار تاريخية تشهد على ان تركستان لعبت اقدم دور في المدنية .

وهناك في متحف برلين توجد آثار تركستانية قديمة اتت بها بعثة الماتية من مدينة (تورفان) اثناء رحلة علمية قامت بها على اربع فترات زمنية اعوام (١٩٠٢) و(١٩٠٤) و(١٩٠٧) و(١٩١٤) وهى تشغل جناحا خاصا في هذا المتحف علاوة على المجموعة الاثرية القديمة الموجودة بمتحف لندن والتى اثارت اعجاب علماء الآثار والتاريخ في اوربا كذلك تضم متاحف لينينجراد وموسكو وغيرها من متاحف روسيا مجموعة اخرى من الآثار القديمة تدل على ان قدماء (توران) كانوا في قمة البراعة في الفنون الجميلة والصناعات الدقيقة وتشهد بمبلغ تقدمهم ومهارتهم فيها .

التقسيم السياسى

تمتعت بلاد (توران) المترامية الاطراف العريقة في المدنية والحضارة بالاستقلال الكامل والحرية التامة منذ فجر التاريخ حتى في ظل الاسلام وبعده .

وظلت هذه الارض العريقة متماسكة الوحدة سياسيا واقتصاديا مستقلة استقلالا تاما حتى اواخر القرن التاسع عشر الميلادي .

فقد استولت الصين على جزء منها عرف باسم (التركستان الشرقية) مساحته (١٥٠١١٣) كيلو مترا مربعا وتعداد سكانه ١٢ مليون نسمة . كما أستولت روسيا على جزء آخر عرف باسم (التركستان الغربية) مساحته (٤١٠٦٠٠٠) كيلو مترا مربعا وتعداد سكانه طبقا للاحصاء الواقع في ١٧ يناير ١٩٣٩ الذي قام بها الروس (١٧٦٣٦٧٦٠ مليون نسمة) اي بعد تشتيت شمل تركستانيين اثناء الأرهاب الستاليني وتفرقهم بالدول المجاورة ووقت هذه الكوارث العظمى بلغت نفوس عموم التركستان من الشرقية والغربية نحو ثلاثين مليونا ، واذا ما جمعنا ما ضمّ الى ايران وافغانستان من الاجزاء التركستانية الاخرى لبلغ مجموع السلالة التركية من أهل (توران) أكثر من اربعين مليونا كلهم من السلالة التركية الاصيلة تجمعهم وحدة اللغة التركية المحضة ووحدة التقاليد والعادات والجنس والملة والتاريخ بل ووحدة المصالح والاماني والآمال المشتركة .

ودولة توران هي الدولة الوحيدة التى قد لا تكاد تشاركها دولة اخرى في العالم من حيث ان لغة اهلها واحدة ويجمعهم جميعا بلا استثناء دين واحد بل ومذهب واحد فهى واحد علاوة على انحدارهم جميعا من جنس واحد ايضا ، وهذه العوامل جعلت هذه البلاد رغم اتساعها وانبساط صفحتها تقف في وجه كل من حاول غزوها او الاعتداء عليها وعلى حريتها ولم يستطع احد اطلاقا ان يمزق شملها او يضعف من روحها المعنوية خلال ازمان التاريخ الطويل اللهم الا في اواخر القرن التاسع عشر كما سبق ذكره .

وفي خلال النصف الاول من القرن العشرين نرى التمزيق الشكلى الذي وضعه السوفيت

الشيوعيون لتركستان الغربية فقد قسموها الى جمهوريات ستة (اوزبكستان — تركمنستان — تاجيكستان — قازاقستان — قيرغيزستان — قرا قلباقستان) وهذا التقسيم لشعب واحد وله مقوماته الواحدة كما اسلفنا انما هو من صنع الاستعمار الذي يحاول دائما تشتيت الشعوب واقامة الحواجز المصطنعة فيما بينها ، وعمل قومية لكل منها حتى لا يحدث وئام او وحدة فيما بينها وحتى يستطيع الاستعمار ان يحكم هذه الشعوب ويستبد بها وينشر آراءه ومذاهبه بعد ان يحاول القضاء على قوميتها وحضارتها .

مساحة وعدد سكان تركستان (توران)

اهل توران شعب تركي اصله واحد يتكلم اللغة التركية بلهجة واحدة ويدين بالاسلام وعلى مذهب الامام الاعظم أبي حنيفة النعمان رحمة الله عليه .

وتمتد مساحة البلاد من بحر قزوين ونهر اورال غربا الى سد الصين شرقا ومن سيبيريا ومنغوليا شمالا والى بلاد ايران وافغانستان والهند والتبت جنوبا . وتبلغ مساحتها الكلية (٥٦٠٧٠١٣) كيلو مترا مربعا اي اكبر من مجموع مساحة افغانستان وايران وتركيا والمملكة العربية السعودية مجتمعة .

وقد ذكر علماء الجغرافيا القدماء من عرب ويونان ان (توران) كانت تتألف من اقاليم (خوارزم اي بخارى وما وراء النهر وصغد ومر غيانه وآريانه وسيكتيا وخرقانيا وبافتريا واشروسنة وسريقا) وهي نفس الاقاليم التى قرأنا عنها كثيرا في المؤلفات الاسلامية القديمة .

وقد اشتهرت تركستان منذ القدم بخصوبة الارض وجمال مناظرها الطبيعية الخلابة وكثرة البحيرات والانهار والجبال الشاهقة المكسوة بالخضرة والزهور وبعضها متوج بالثلوج الدائمة في منظر بديع .

كذلك اشتهرت بقلاعها القديمة الشماء ومدنها الهندسية الصنع الباهرة بقصورها العظيمة الفخمة وحدائقها البديعة التنسيق ومساجدها ذات الابهة والجلال والفخامة والمعاهد المنتشرة في جميع انحاء البلاد زاهرة بالدارسين ويشع منها نور العلم والدين .

هناك في ارضها المعادن الوفيرة بجانب الثمار الشهية والكروم الناضجة والازهار الفاتنة تمتع البصر على امتداده وتملأ الجو على اتساعه بالنسيم المعطر الجميل .

وتجري خلال البلاد الانهار الكثيرة العذبة الصافية فنهري جيحون وسيحون وروافدها يجريان في ارض تركستان الغربية ونهري ايلي وتاريم في تركستان الشرقية ، وهذه الانهار يتفرع منها العديد من النهيرات والترع تربط البلاد بسلسلة فضية وتروي الارض الخصبة فتحيلها الى جنات غناء ومروج زاهية بخضرتها وزهورها وحدائق غنية بثمارها .

وتوجد ايضا صحارى واسعة شاسعة مثل صحراء تكلا مكان وصحراء اوست يورت وصحراء قيزيل قوم وصحراء آق قوم . ومع ان هذه الصحراوات غير ماهولة بالسكان فانها مستودع كبير لكنوز من الآثار القديمة والمعادن الثمينة .

اما جبال تركستان فهي العمود الفقري للبلاد واهمها سلسلة جبال تيانشان وتنكرى طاغ ، حيث

تعتبر المنبع العظيم والدائم للمياه التى تجري في انهار تركستان الاربعة اذ تنحدر منها السيول الفيضية لتجري بالخير والنعمة في هذه الانهار.

وتعتبر قمة خان تنكرى المركز العام لهذه السلسلة واعلى نقطة فيها يبلغ ارتفاعها (٧٣١٥) مترا عن سطح البحر وهي كتلة جبلية سوداء في نهايتها ثمّ ثلوج بيضاء لؤلؤية في وسطها وتنتهي بسفوح تغطيها الخضرة البديعة الزاهية.

من اهم مدن تركستان :

طاشكند	يبلغ عدد سكانها (٢٠٠٠٠٠٠) نسمة في الحالة الحاضرة
سمرقند	يبلغ عدد سكانها (٠٢٣٣٠٠٠) عام ١٩٦٥
مدينة بخارى	عدد سكانها (١٤٥٠٠٠) نسمة
مدينة خوقند	عدد سكانها (٨٤٦٦٠) نسمة
مدينة مرغيلان	عدد سكانها (٦٠٠٠٠) نسمة
مدينة اندجان	عدد سكانها (٨٣٦٧٧) نسمة
مدينة نمنكان	عدد سكانها (٧٧٣٥١) نسمة
مدينة عشق آباد	عدد سكانها (١٣٦٥٨٠) نسمة
مدينة جيمكنت	عدد سكانها (٧٤١٨٥) نسمة
مدينة سه هه ى	عدد سكانها (١٠٩٧٧٩) نسمة
مدينة قره غندى	عدد سكانها (١٦٥٧٧٩) نسمة
مدينة آلما اتا	عدد سكانها (٢٣٠٥٢٨) نسمة
مدينة جارجوى	عدد سكانها (٠٥٤٧٣٩) نسمة
مدينة وغانزى	عدد سكانها (٠٩٢٦٥٩) نسمة
مدينة كاشغر	عدد سكانها (٢٥٠٠٠٠) نسمة
مدينة ياركند	عدد سكانها (٤٠٠٠٠٠) نسمة
مدينة ختن	عدد سكانها (١٥٠٠٠٠) نسمة
مدينة فولجا	عدد سكانها (٩٠٠٠٠) نسمة
مدينة او روبجي	عدد سكانها (٣٥٠٠٠) نسمة
مدينة كيريا	عدد سكانها (٠٣٠٠٠٠) نسمة
مدينة آقصو	عدد سكانها (٠٧٠٠٠٠) نسمة
مدينة كوجار	عدد سكانها (٠٧٠٠٠٠) نسمة
مدينة كوبرلا	عدد سكانها (٠٢٩٠٠٠) نسمة
مدينة بوكور	عدد سكانها (٠٣٠٠٠٠) نسمة
مدينة طورفان	عدد سكانها (٠٢٥٠٠٠) نسمة
مدينة آلتاى	عدد سكانها (٢٥٠٠٠) نسمة

وهذه الاحصاء وفق احصاء ١٧ يناير عام ١٩٣٩م في وقت تمزيق الشعب بالارهاب الستالينى .

سكان توران

قال قتيبة بن مسلم البطل الاسلامي وفاتح بلاد تركستان – (ان التركي أحنّ الى وطنه من الابل الى معاطنها) فالشعب التركي الذي عاش على ارض تركستان كان امينا لمبادئه صادقا في وطنيته متحدا في امانيه وآماله ، حاضرة وبادية يحسان بالاحاسيس الواحدة ، ويتصف سكانه بالكرم والشهامة والاعتزاز بالنفس والعزة والكرامة ، فهم لضيوفهم كرماء ويبتهجون لقدوم الغريب المسالم ولكنهم دائما على استعداد للدفاع عن ارضهم اذا اعتدى عليها معتد او طمع في جزء منها طامع ، هذا الشعب لا يعرف للجبن معنى ولا يثنيه عن حقه تردد ، شعاره العزيمة والفداء وهدفه خدمة الوطن واعلاء كلمة الله والجهاد في سبيله .

واناشيدهم الوطنية الحماسية قديمها وحديثها يتجلّى فيها حب التركستانيين للحرية وتقديس الاستقلال وتغلغل روح القتال في نفوسهم في سبيل ذلك .

اولاً : نبذة تاريخية عن اصل سكان توران :

(آدم عليه السلام) عن نوادر المعاني للامام اليافعي(١) رحمه الله من اخبار عبد الله بن جابر رضي الله عنه قال : ان آدم عليه السلام عاش الف عام بعد هبوطه في الدنيا وكانت ذريته من حواء واحدا وعشرين ولدا وعشرون بنتا ، وكانت حواء تلد في كل مرة توأما (ولدا وبنتا) ماعدا ابنهما (شيث) عليه السلام فقد ولد بمفرده . وقد ولي آدم عليه السلام ابنه (شيث) بامر الله سبحانه وتعالى امور اولاده جميعا وكانت ذريته قد بلغت اربعين الفا . وبعد وفاة آدم عليه السلام لحقت به حوّاء بعد سنة وقيل بعد سبع سنوات .

وقد انزل الله على آدم اربعين صحيفة وقيل عشرين او عشرة صحائف اشتملت على الصلاة والصوم ومنافع للناس واجتناب الخمر ولحم الخنزير . وكان آدم عليه السلام يوصي الوليّ على الرعية ان يتعهدهم بالخير ويرعاهم في امورهم والّا يظلمهم في اموالهم وان واجب الملوك بذل الاحسان لتعم الفضائل ومكارم الاخلاق .

(شيث عليه السلام) يقول محمد جرير الطبري – أنّ شيث عليه السلام كان افضل اولاد آدم عليه السلام وقد انزل الله عليه خمسين صحيفة ، وقيل تسع وعشرون صحيفة اشتملت العلوم والحكمة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيره . وكانت اقامته في ارض الشام قضى فيها عمره الذي بلغ تسعمائة واثناعشر عاما نبيا للانس والجن . ثم قام بالامر انوش بن شيث وعاش ستمائة عام وفي تاريخ الطبري انه عاش تسعمائة عام . ثم قام بالامر قينان بن انوش بعد ابيه انوش وعاش ثمانمائة عام .

---

(١) هو عبد الله بن اسعد بن علي اليافعي من شافعية اليمن مولده ومنشؤه في عدن فاقام بمكة وتوفي فيها تاليفاته كثيرة منها مرآة الجنان ٤ مجلد مطبوع ونشر المحاسن الغالية وروض الرياحين ومرهم العلل المعضلة كلها مطبوعة . (٦٩٨ – ٧٦٨) ولادته ووفاته الاعلام صـ ١٩٨ ج ٤

خلف ابيه قينان (مهلائيل بن قينان) فهو جاء الى بابل بعد ان كثر الناس واقام وانشأ ولاية سوس ، وعاش تسعمائة وثمانية اعوام . وقام مقامه (برد بن مهلائيل) وفي عصره عبد الناس الاصنام ، وشاعت الوثنية وعاش تسعمائة وستين عاما .

فبعث الله (**ادريس عليه السلام**) نبيا في امته ليهديهم الى الطريق القويم وينهاهم عن عبادة الاصنام ، فبنى مائتى مدينة ونظم الحكم وعين مائة واربعين حكاما ونوابا على الاقاليم . ونزل عليه ثلاثون صحيفة من الله وظهر علم الفلك ودراسة النجوم وغيره من العلوم والفنون . وكذلك كان بناء الاهرامات في مصر في ايام ذلك النبي صلوات الله عليه . قال تعالى : « **ورفعناه مكانا عليا** » وبعثه الله في الناس نبيا وعمره مائتا عام ولبث يدعو الناس مائة وخمسين عاما الى عبادة الله وتوحيده . ذكر صاحب روضة الصفا – انه كان بينه وبين ملك الموت صداقة يزوره احيانا فزار في احدى زياراته فطلب منه ان يريه كيف يقبض الارواح ، فقبضه ثم اعاد روحه اليه ثم طلب منه ان يطوف به الى جهنم ، ثم طلب ان يريه الجنة فدخل الى الجنة فلم يخرج منها فلما الح ملك الموت بخروجه فقال انى قد ذقت مرارة الموت كما انى دخلت جهنم فصدق قوله تعالى : « **وان منكم الا واردها** » فاستحقت البقاء في الجنة . ومن اقواله عليه السلام : (احسن الخصال ثلاث : الحلم في حالة الغضب والكرم في حالة الاحتياج ، والعفو في حالة المقدرة) (العاقل لا يمزح بثلاث طوائف ، الملوك ، والعلماء ، والعقلاء) (وبقدر ما يتواضع الانسان يكون عاليا رفيعا ولا ينظر الى عيوب الناس ولا يكون مغرورا) وبعد عروج ادريس عليه السلام عاد الناس الى عبادة الاوثان .

(**نوح عليه السلام**) بعثه الله نبيا وعمره مائتان وخمسون عاما ليهدي الناس الى طريق الحق ، وبشريعة تخالف شريعة آدم عليه السلام ولكن لم يؤمن من الناس سوى ثمانين رجلا وامرأة وعاش باقي قومه في ضلال بل وحاربوه وآذوه هو ومن آمن به ولما يئس من ايمانهم دعا ربه بقوله : « **رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا** » عندئذ امره الله تعالى بصنع سفينة كبيرة وما ان اتم صنعها حتى فتحت السماء ابوابها بسيل منهمر وركب نوح سفينته ومعه من آمن به واخذ معه من الوحوش والطيور من كل زوجين اثنين وكان يمسك بيده اليمنى الذكور وباليسرى الاناث . طفت السفينة فوق الماء الذي اغرق الارض ومن عليها ولم يبق من بنى آدم سوى ركاب السفينة التى ظلت فوق الطوفان ستة اشهر رست بعدها ارض جبل جودى ، ولكن الله تعالى انزل الطاعون الذي قضى على كل من كان مع نوح ولم يبق منهم حيا سوى اولاده الثلاثة (سام وحام ، ويافث) وزوجاتهم .

عاش نوح بعد الطوفان مائتين وخمسين عاما ثم مات وعمره الف واربعمائة وخمسين عاما ودفن في بيت المقدس ولكنه قبل موته قسم الارض بين اولاده الثلاثة .

فكانت بلاد الشام وجزيرة العرب وفارس وخراسان لابنه الاكبر (سام) واصبح من ذريته جميع العرب والفرس والروم .

وكانت بلاد المغرب والزنج والحبشة والهند والسند والسودان لابنه (حام) وبلاد الصين وصقالبة(١) وتركستان لابنه الثالث (يافث) .

(**سام بن نوح**) ذكر المقدسيّ(٢) في كتابه ان نوحا عليه السلام اوصى ذريته جميعاً بتبعة (سام) وطلب من الله ان يكون سائر الانبياء والحكماء والملوك من نسله ، وقد عاش سام خمسمائة عام رزقه الله فيها بتسعة اولاد هم بالترتيب (ارفحشدا ابو الانبياء ، وكيو مرث ابو الملوك ، اسود ، يقين ، لورج ، لاو ، وعيلم ، ارم ، بورسام) وقد اصبح كل منهم واليا على قطر من الاقطار تحت طاعة (كيومرث) الذي صار ملكا عليهم جميعا . وكان لكل منهم لهجة خاصة به وبمن معه وبذلك تفرعت لغة سام الى تسع لهجات .

(**حام بن نوح**) عليه السلام — ذكر بعض المؤرخين انه كان من الانبياء والمرسلين وقد رزقه الله ايضا بتسعة اولاد هم (هند ، سند ، زنج ، نوبه ، كنعان ، كوش ، قبط ، بربر ، حبش) ومن ذريتهم سكان المغرب والحبشة وزنجبار وهندستان وغيرها ، وقد انتشروا ما بين خط الاستواء وخط ١٤ فعمروا هذه المنطقة .

(**يافث بن نوح عليه السلام**) ذكر ايضا انه كان من الانبياء والمرسلين وان قبائل الترك من نسله وعندما قسم (نوح) الارض بين اولاده كان نصيب يافث الشمال والشرق فطلب من والده ان يعلمه دعاء يجلب المطر فدعا نوح ربه فاستجاب له وانزل جبريلا عليه السلام فكتب له دعاء على حجر .

توجه يافث وذريته الى ارضهم وكان اذا احتاج هو واولاده الماء استعمل الحجر فينزل المطر باذن الله وسمي الحجر يده تاش أي حجر المطر . واستقام يافث وذريته وبنى ولايات ومدن بالصين وتنطق بلسانه (جين) . وقد رزقه الله احد عشر ولدا هم (جين ، صقلاب ، كماوى ، ترك ، خلج ، خزر ، روس ، منذ سان ، غز ، بارج ، منشيح) وانتشر هؤلاء الاولاد في ارض ابيهم فاقاموا المدن وسميت كل منها باسم واحد منهم .

وكان ترك هو ولي عهد ابيه (يافث) لانه كان غيورا وشجاعا وصاحب راي وحرفة . كما كان (جين) اكبر اولاد (يافث) وكان عاقلا وصاحب تميز ولذلك بنى له (يافث) بلاد جين (الصين) وكان

---

(١) (الصقالبة) هم الشعوب القاطنة بين جبال اورال والبحر الادرياتيكي في اوربا الشرقية والوسطى وهم قسمين صقالبة الشمال وهم (الروس البيض . والبولونيين) وصقالبة الجنوب — او اليوغسلافيين وهم (الصرب والكرواتيين والسلوفاكيون والبلغاريون . اما — صقلية — جزيرة في البحر المتوسط كانت تابعة لايطاليا . المنجد معجم العلام صـ ٣٠٧ .

(٢) المقدسى (٣٣٦ — نحو ٣٨٠)هـ ٩٩٠م هو محمد بن احمد بن ابي بكر البناء المقدسى رحالة جغرافي ولد في القدس وتعاطى التجارة فتجشم اسفارا هيأت له المعرفة بغوامض احوال البلاد . ثم انقطع الى تتبع ذلك فطاف اكثر بلاد الاسلام وصنف كتابه (احسن التقاسيم) في معرفة الاقاليم مطبوع ورسم للبلاد التى زارها خرائط ملونة امتاز المقدسى عن سائر علماء البلدان بكثرة ملاحظاته وسعة نظره ولم ينتبه احد او يحسن ترتيب ما علم به مثله .ا هـ بالاختصار من الموسوعة الميسرة والاعلام صـ ٢٠٣ ج ـ٦

عمل حرفة النسيج والحرير من القزّ والتصوير والنقش من اختراعاته وقد رزقه الله بولد سماه (ماجين) بنى له بلدا باسمه . وعلى ذلك فان ذرية (يافث) كما ترى انتشرت في اقطار كبيرة وتعددت لهجاتها الى ست وثلاثين لهجة وكانت منها قبائل ترك (الترك) والمغول وقبجاق وغيرها من سلاطين التركستان وبلاد الشمال .

(**هـود**) عليه السلام – مضى الف ومائتا عام ما بين نوح وابراهيم عليهما السلام وخلال هذه الفترة بعث الله نبيين هما (هود وصالح) عليهما السلام .

وهود – هو هود بن عبد الله بن رباح بن حارث بن عاد بن عوض بن ارم بن سام بن نوح عليهم السلام ، وقيل ان عمره اربعمائة واربعة وستون عاما وذكر علماء النصارى ان عمره ثلاثمائة وثلاثة واربعون عاما وذكر عامة المفسرين ان مدة حياته مائة وخمسون عاما . وقد بعثه الله نبيا في قومه مائة عام .

(**شديد وشدّاد**) هما من اولاد عاد اخوان وكانا مشركين بالله ، وكان شديد ملكا وعاصمة بلاده الشام ورغم اشراكه فقد كان عادلا جدا لدرجة ان احد القضاة في عهده ظل عاما بدون عمل ولما اراد ان يترك منصبه لاعتقاده بعدم استحقاقه الاجر عن وظيفته رفض (شديد) طلبه وافهمه ان الوظيفة هامة ولازمة حتى ولو كان الناس في صفاء وامان وقد حاول (هود) عليه السلام ان يدعوه لعبادة الله ولكن ابي ومات بكفره وتولى اخوه شداد مكانه ودعاه هود الى عبادة الله وحده حتى يغفر الله ما تقدم من ذنبه ويدخله الجنة – ووصف له هود الجنة وما بها من نعم لاتعد ولا تحصى وكان جواب شداد انه من السهل عليه ان يبنى مثل هذه الجنة في دنياه وفعلا ارسل لولاته في انحاء البلاد بجمع الفضة والذهب والمجوهرات وانواع المسك والعنبر ثم امر مهندسين ان يبنوا جنته في مكان لطيف الجو وان يكون البناء حجرا من ذهب وحجرا من فضة ومحشوة بالجواهر وارضها من المسك والعنبر ، وبعد ان اتم البناء توجه في حاشية كبيرة وحرس عظيم لافتتاح هذه الجنة وفي اثناء سيره راى غزالة جميلة الشكل واراد صيدها فسارع خلفها ولما اصبح بعيدا عن حاشيته برز له رجل مهيب الطلعة ففزع منه وسأله عمن يكون فاجابه انه عزرائيل وانه سيقبض روحه الآن وطلب منه شداد ان يمهله حتى يرى جنته ولكن عزرائيل اجابه ان امر الله واجب التنفيذ وقبض روحه هو ومن معه جميعا فماتوا في اماكنهم ولم يبق منهم احد .

(**صالح عليه السلام**) هو صالح بن عابر بن سام بن نوح عليهم السلام وقد بعثه الله في قبائل ثمود وهو في اربعين من عمره وعاش مائتين وستين عاما ودفن بدار الندوة ومن معجزاته اخراجه ناقة مع طفلها من وسط جبل .

(**ذو القرنين**) ذكرت سابقا انه ما بين نوح وابراهيم عليهما السلام لم يبعث الله الانبياء الا هودا وصالحا عليهما السلام . ولكن ذكر في كتاب اخبار الزمان ان ذا القرنين كان نبيا مرسلا بدليل قوله تعالى : « **قلنا يا ذا القرنين** » وهو خلاف الاسكندر الاكبر الذي لقب بذي القرنين وهو رومى من ذرية عيص بن اسحاق من ذرية سام بن نوح ، اما ذو القرنين موضوع حديثنا فهو من اولاد يافث وقد بعث بعد صالح عليه السلام وصرف اكثر حياته في الجهاد وفتح كثيرا من المدن والبلدان وبنى

سد ياجوج وماجوج في اولاد منشيح بن يافث وكانوا في اقصى المشرق وقيل ان اسمه الاصلي (هرمس) ودفن بعد وفاته في جبال تهامة .

(ابراهيم عليه الصلاة والسلام) هو ابن آزر وعاش مائة وخمس وتسعون عاما وذكر في تاريخ الزمان انه ختن نفسه في سن الثمانين ، وقص شاربه وازالّ شعر ابطه وعانته وقص اظافره واستنجى بالماء واستعمل المسواك وهذه الخصائل من خصال الطهارة من سنة ابراهيم عليه السلام حتى الآن . وكان ولداه اسماعيل واسحاق عليهما الصلاة والسلام على سنته وكان اسماعيل اكبر من اسحاق باربعة عشر عاما ومن معجزاته بئر زمزم .

ما تقدم من قصص الانبياء والمرسلين من عهد آدم انما هو لايضاح اصل الترك سكان اقليم توران (تركستان) .

شجرة تقريبي لنسب آدم ثم تتفرع ذرية نوح عليهم السلام

(آدم وحواء)

شيث – انوش – قينان – مهلائيل – برد – ادريس

نوح عليه الصلاة والسلام

سام	حام	يافث
اربخشدا	هند	جين
كيومرث	سند	صقلاب
اسود	زنج	كماوى
يقين	نوبة	ترك
لورج	كنعان	خلج
لاو	كوش	خزر
رعيلم	قبط	روس
ارم	بربر	سدسان
بور سام	حبش	غز
		باروج
		منشيح

ثانيا ــ في عهد الدولة الاسلامية

الخلفاء الراشدون ــ مدة حكمهم ثلاثون عاما وهم بالترتيب (ابوبكر الصديق – عمر بن الخطاب – عثمان بن عفان – على بن ابي طالب رضى الله عنهم. وقد عد الشافعي عمر بن عبد العزيز من الخلفاء الراشدين.

الدولة الاموية ــ مدة حكمها ثمانون عاما في الشام وواحد وتسعون عاما واربعة اشهر في العرب والعجم. وكان اول خلفائهم معاوية بن ابي سفيان وآخرهم مروان بن محمد.

الدولة العباسية ــ مدة حكمها خمسمائة وثلاثة وعشرون عاما وشهران بدأت من عام ١٣٢هـ الى عام ٦٥٦هـ (٧٥٠ – ١٢٥٨)م واول خلفائها ابو العباس عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله ابن العباس الهاشمي) واشتهر بالسفاح – وآخر خلفائها (المستعصم بالله).

الدولة الاسماعيلية ــ المعروفة بالفاطمية. بدأت دولتهم منذ عام ٢٩٦هـ وظلت ٢٦٨ عاما تعاقب فيها من الخلفاء اربعة عشر خليفة اولهم (مهدي بن اسماعيل بن الامام جعفر الصادق، وآخرهم العاضد لدين الله) وكانت حكومتهم في المغرب ومصر.

حكومة حسن الصباح ــ اختلف مذهب حكام (حكومة حسن الصباح وكيا بزرك) فبعضهم في المذهب الاسماعيلي والآخرون نزارية. وهم ملحدون، وكانوا سبعة حكام ومدة حكمهم ١٧٢ عاما. وكانت عاصمتهم (الموت) وهو حصن في جبال شمالي غربي قزوين كان حصنا للاسماعيلية بناه حسن الداعي للحق سنة ٢٤٦هـ ٨٦٠م واحتله حسن الصباح بالحيلة وجعله مركزا لقيادته سنة (٤٨٣هـ ١٠٩٠م). واول حكامهم حسن الصباح وآخرهم ركن الدين.

(اولاد بويه) يتصل نسب سلاطين (ديالمة) من اولاد بويه الى بهرام كور وكان بويه متوسط الحال، يعمل اولاده الثلاثة (علي وحسن واحمد) في خدمة ماكان بن كاكى في طبرستان عام ٣٣٧ هجرية وتمكن (علي) ان يصبح شاها لايران وخلفه حسن ثم احمد) واصبحت الشام تحت حكمهم وتخشاهم الروم. ومدة حكمهم (١٥٠) عاما.

(سلاطين آل عثمان) وهم من قبائل الترك الذين استطاعوا ان يقيموا دولتهم العظيمة التى شملت الارض العربية الاسلامية في آسيا كلها ودامت دولتهم ستمائة واربعون عاما ضعفت في نهايتها وانتهى حكم السلاطين بقيام جمهورية برئاسة مصطفى كمال باشا اتاترك.

ثالثا ــ اصل تسمية اسم توران (تركستان).

توران – أي تركستان وما وراء النهر، اصل سكانها من ذرية ترك بن يافث، وكان ترك ولي عهد والده يافث وسميت الارض باسمه (تركستان) ولكن في عهد سلطنة فريدون التى ظلت خمسمائة عام ظهرت تسمية ايران وتوران بدلا من تركستان.

وقد ذكر المؤرخون والبيضاوى في تفسيره (– ان سلطنة فريدون ومنوجهر) كانت في عصر شعيب وموسى ويوشع عليهم السلام ، وان يوشع بعث لبنى اسرائيل في عهد (منوجهر) . وسبب تسمية (ايران وتوران) ان (فراخ بن اتقيان بن جمشيد) قسم حكمه بين اولاده الثلاثة (ثور ،وسلم وايراج) فاعطى سلم بلاد الروم والمغرب والفرنج . واعطى ابنه تور بلاد الصين وتركستان . ثم اعطى (ايرج) من كينار فرات الى شاطئ جيحون . وكانت هذه الاراضى عامرة بالناس والخيرات . وبهذه القسمة سميت الأرض باسم حاكمها . فاصبحت تركستان تسمى (توران) واطلق اسم ايران على اراضى (ايرج) ؟ .

رابعا – قبائل تركستان

(١) – (**الاوزبك**) وهم قوم يتكلمون باللغة التركية والفارسية ، ويسكنون بخارى وما حولها وسمرقند وكته قورغان وديزح واوراتيبه (استروشن) وحصار وقرشي ودو شنبه وما حولها .

(٢) – (**التاجيك**) وهم قوم يتكلمون اللغة الفارسية ويسكنون خجند وما حولها وسمرقند ، وبخارى واوراتيبه وكان بادام وكاسان وجسته واسفرة ودرواز وخزار وبعض القرى الصغيرة .

(٣) (**القيرغيز**) وهم من الاتراك يسكنون الجبال ويرعون الماشية ويزرعون القمح من المطر غالبا ويعيشون في الجبال بين خجند وحصار واطراف بلاد فرغانه واندجان وطاشقند وغيرها .

(٤) – (**قزاق**) وهم قوم يتكلمون التركية ومن الرحالة يعيشون حيثما يوجد العشب والماء ويسكنون حوالى طاشكند ، والما اتا وقضلى ويسة المسمى بتركستان ويكونون اصحاب المواشي ويرعون الحصان ويكثر عندهم قيميز لبن الحصان بعد تحميضه من الاشربة النافعة للصحة .

الاسلام وتركستان

انعم الله سبحانه وتعالى على تركستان واهلها بنعمة الاسلام وصدق الايمان واشرق نور الاسلام على ارجائها وبزغ ضوء الايمان في قلوب سكانها واضاءت كلمات الله جل وعلا في القرآن الكريم واحاديث رسوله العظيم صلوات الله عليه وسلامه الطريق الحق لابنائها . فكان لتركستان واهلها جهاد مرموق في بناء الدولة الاسلامية وكان للكثير من ابنائها شرف تخليدهم في التاريخ الاسلامي لقيامهم بواجبهم المقدس سواء بنشر الرسالة السماوية الصادقة او الاشتراك في الفتوحات الاسلامية التى أمتدت لحدود فرنسا من بلاد الاندلس غربا وبلاد ما وراء النهر والصين شرقا وظهر العلماء المتفقهون الذين اجتهدوا في دينهم وبرعوا في علومهم وتركوا للمكتبة الاسلامية ذخيرة غنية من المؤلفات العظيمة التى ما زالت تساهم مساهمة فعالة في انارة القلوب وارشاد العقول . فكيف انتشر الاسلام في بلاد تركستان ؟

بدأ الاجابة بموقعة نهاوند التى كانت المعركة الفاصلة بين المسلمين والفرس . فقد استطاع (سعد ابن ابي وقاص) ان يسحق جيوش الفرس بقيادة (يزدجرد) وهرب (يزدجرد) ولكن المسلمين

تعقبوه وقتلوه وبذلك استولى المسلمون على ايران كلها عام ٦٤٢ ميلادية ودخل الفرس في الاسلام وسموا بالموالي . واصبحوا عنصرا هاما في الدول الاسلامية .

بنى المسلمون (البصرة) على الخليج العربي وبنوا الكوفة على الشاطئ الغربي لنهر الفرات واصبحت (الكوفة) عاصمة للحكم بدلا من المدائن . في تلك السنة نفسها (٦٤٥)م انقرضت الامبراطورية التركية في تركستان وقامت عدة دويلات تركية تنازعت فيما بينها واضعفت الخلافات قواها وقوميتها . وبدأ المسلمون يستعدون لغزو تركستان في الوقت الذي كانت الصين فيه تهدد بالاستيلاء على هذه البلاد ودخل تركستان بعض الداعين الى الاسلام وكان ذلك في عهد (عثمان بن عفان) رضي الله عنه ومنهم قثم ابن عباس ابن عم الرسول صلوات الله وسلامه عليه .

ووصل قثم بن عباس الى (سمرقند) عاصمة تلك البلاد في ذلك الحين ودعا اهلها الى الاسلام ولكن حاكمها المجوسي (معنتوشى) قتله ومعه رفقائه . عند ذلك قام المسلمون بغزو خراسان واستولوا عليها (وكان اكثر سكانها من الاتراك) ثم تقدموا صوب جنوب الشرق واستولوا على مدينتى (بلخ وهرات) ووصلوا الى نهر جيحون .

وفي عهد معاوية بن ابي سفيان صارت خراسان قاعدة حربية وتجمع فيها خمسون الفا من العرب المسلمين استعدادا للحرب . قبائل من بنى خزيمة وبنى تميم وبنى زيد وغيره . وسنحت الفرصة للمسلمين عندما نشبت الحرب بين ملوك تركستان وامرائها فاندفعت جيوش المسلمين الى طخارستان (المشهورة الآن بطالقان) وما وراء النهر واستمرت الحرب حتى عهد الخليفة عبد الملك . وكانت الجيوش الاسلامية في بادئ الأمر عاجزة عن تخطي حدود تركستان لشجاعة الاتراك واستماتتهم في الدفاع عن ارضهم . ولما تبين للخليفة عبد الملك فشل جيوشه في فتح تركستان عيّن (الحجاج بن يوسف الثقفي) على خراسان ولم يستطع القواد الذين ارسلهم الحجاج فتح تركستان ايضا .

عندئذ عيّن الحجاج البطل (قتيبة بن مسلم الباهلي) قائدا للجيوش عام ٨٦ هجرية . جهز (قتيبة) جيشا عظيما وكان معه القائد (اياس بن عبد الله بن عمر) وهو من امهر القواد وجعل على الخراج (عثمان بن السعدى)

واستمرت الحرب اثنى عشر عاما وكانت حربا طاحنة قاوم كثير من الاتراك مقاومة باسلة ، ولكن الجيوش الاسلامية انتصرت اخيرا على هذه المقاومة وقضت على الشرك بالله واخذ الاسلام ينتشر في ربوع تركستان حيث وجد اهلها في تعاليمه الحرية والاخاء والمساواة والتعاون والتعاطف والتراحم ، وتبين لهم ان المسلمين لم يفتحوا بلادهم للنهب او السلب او الاستغلال وانما غزوا بلادهم لنشر رسالة التوحيد واتباع الطريق القويم واقامة العدل لا فرق بين غنى وفقير ، ولا فضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى .

وآمن الشعب التركستاني بالدين الجديد ايمان المقتنع ولم يتردد في ايمانه القوي الصادق بالاندفاع في دفاعه عن الاسلام ونشره . ولذلك نرى بعد تلك المقاومة العنيفة اقبالا حاسيا على الاسلام وشغفا عظيما بالقرآن الكريم والاحاديث النبوية .

وليس من شك في ان تقبل الامة التركستانية للدعوة الاسلامية بسرعة وايمانهم الصادق بها في وقت سريع انما يؤكد رقي العقلية التركية وسرعة تقريرها للحقائق اذا ما تبين لها الرشد من الغي . ولذا فانهم ما كادوا يتبينون حقيقة الدعوة الاسلامية حتى انضوا تحت رايتها طائعين ، ودخلوا في دين الله افواجا موقنين ان في تعاليمه تنظيم امورهم واصلاح احوالهم ونفوسهم وانه دين العقل ودين الفطرة ودين المروءة والمساواة ودين السعادة في الدنيا والآخرة .

هكذا دخل الاسلام تركستان وهكذا انتشر ولذلك لم تمر فترة طويلة حتى اصبح للاتراك شأنا عظيما في عهد العباسيين فتولوا امور القيادة العسكرية والسياسية في الخلافة العباسية وصار لهم النفوذ ومناصب الوزارة والوكالة ، وكانوا موضع المحبة والاعزاز لدى الخلفاء العباسيين .

وقد مدحهم كثير من الشعراء وكتب عنهم مناقبهم واخلاصهم العديد من الأدباء .

(قال ابو اسحاق) لعله الصابي المتوفي عام ٣٨٤ عن ٩١ عاما :

وفتية من كماة الترك ما تركت
للرعد كباتهم صوتا ولا صيتا
قوم اذا قوبلوا كانوا ملائكة
حسنا وان قوتلوا صاروا عفاريتا

وقال (ابن الرومى)(١) المتوفي عام ٢٨٢هـ وهو غني عن التعريف :

اذا ثبتوا فسدّ من حديد
تخال عيوننا فيها بحار
وان برزوا فنيران تلظى
على الاعداء يضرمها استعار

وقال تغزلا بعض الشعراء في حسن الاتراك :

وتركيّ له في الخد خال
كمسك فوق كافور ندي
تعجب ناظري لما رآه
فقال الخال صلّ على النبيّ
فقلت له ملكت نصاب حسن
فأدّ زكاة ذا الحسن البهيّ
فقال ابوحنيفة لي امام
يرى ان لا زكاة على الصبيّ
فان تك مالكي الراي ومن
يكون يرى برأي الشافعيّ

فلا تطلب زكاة الحسن منى
فاخراج الزكاة على الوليّ
فقلت له فديتك من فقيه
أيؤمر بالزكاة سوى الحليّ
فان لم تعطنى ما رمت طوعا
اخذت اذن برأي الحنبليَ

(١) هو ابو الحسن علي بن العباس بن جريج الرومي مولى بنى العباس (٢٢٠ – ٢٨٢) ماخوذ من ديوانه المنشور من قبل دار احياء التراث العربي بالصفحة الاولى

جهود الاتراك في نشر الاسلام

تأسست الدولة السامانية في المقاطعات الغربية من تركستان والدولة الخاقانية في شرقها واستطاعت الدولتان ان تنشرا الاسلام فيما وراء سيحون وكاشغر.

دخلت قبائل اوغوز وقارلق الاسلام وهما من قبائل الاتراك. وقد اسلم في يوم واحد من عام (٣٥٠) (١٠٤٨)م مائتا الف اسرة يبلغ تعدادها مليون نسمة تقريبا. وفي عام ٤٣٥هـ اسلم عشرة آلاف اسرة من أهالى (بالا ساغون) وكشغر دفعة واحدة في احتفال مهيب ذبحوا فيه عشرين الف رأسا من الغنم للتضحية وبقيام الدولة الغزنوية في جنوب تركستان وافغانستان والهند الشمالية وامتداد الدولة الخاقانية الى غرب تركستان انفتحت باقي القلوب للاسلام ورفرفت رايته على انحاء البلاد.

وعندما بدأ الانقسام في الدولة العباسية وضعف خلفائها ظهرت الدولة الطولونية ثم الاخشيدية في مصر والشام والدولة السامانية في تركستان والدولة الخاقانية في شرقها وجنوبها والدولة الغزنوية في افغانستان والهند. وكان مؤسسها من الاتراك ثم اتحدت هذه البلاد تحت راية السلجوقية الكبرى عدا مصر والهند. كذلك ضمت دولة السلاجقة بلاد الاناضول. ثم عادت تلك البلاد على اثر انقسام الدولة السلجوقية الى دويلات متعددة.

وقد قامت في تركستان دول قوية مثل الدولة الخوارزمية والدولة التيمورية الكبرى وامارات اخرى تأسست في تركستان بعد انقسامها ولكن كل هذه الدويلات والامارات قامت بخدمة الاسلام ونشر دعوته فكان حكامها وجنودها غزاة فاتحين باسم الدين ودعاة مخلصين لاعلاء كلمة الاسلام والحق.

وقد وجد التركستانيون الذين تفيض نفوسهم شجاعة واقداما منذ القدم وجدوا في الجهاد في سبيل الله اعز امنية واقرب غاية الى تحقيق ما في صدورهم من حب صادق وايمان كامل بالعقيدة الجديدة.

لقد تأثر الترك بالاسلام فآثروا فيه عملا وعلما وكانوا مسلمين نية وقولا وعملا – فلم يكتفوا بالمراسيم والالفاظ ولم يقفوا عند حدود المظاهر بل كان اسلامهم وايمانهم جهادا صارما بالسيف والقلم. اصبحت قلوبهم معارف القرآن وامتزجت ارواحهم بفقه السنة والسيرة المحمدية الطاهرة وجعلوا اقامة الشعائر وحدود الله نصب اعينهم. وكانت الغيرة الدينية والحمية الصادقة للعقيدة المحمدية دافعا قويا الى قيامهم بالدعوة والارشاد فساهموا في ذلك الواجب بنصيب موفور ليس في بلادهم فقط بل خارج حدودهم عملا بقوله تعالى « **ولتكن منكم امة يدعون الى الخير** » فقام دعاتهم بنشر الاسلام في بلاد تبت وبين اخوانهم المغول بهضاب (مغولستان) اي منغوليا، كما اسلم على أيديهم عدد كبير من بلاد الصين من الاجزاء المتاخمة لتركستان ويكفي ان نذكر اللفظ الصينى الذي يدل على المسلم في اللغة الصينية فكلمة (خوى – خوى) تعنى مسلم وهى محرفة باعتراف الصينيين عن كلمة (اويغور) وهى اشهر قبيلة تركية واكثرها عددا في التركستان الشرقية.

ولم تقف جهود الدعاة الترك عند حد فقد اتصلوا باتراك البلغار وسواحل نهر فولجا (ايتل) ووصلوا الى بولندا وفنلندا واستونيا وسائر اقطار البلطيقية فكان لهم اثر بالغ في نشر الاسلام بين الكثيرين من اهلها .

ولقد خلّد التاريخ الاسلامي السلطان محمود الغزنوي الذي كان لفتوحاته في الهند صدى عظيما في العالم الاسلامي . فقد حطم هذا السلطان التركي معاقل الشرك والوثنية ودكّ حصون الكفر ونشر دين التوحيد في ربوع الهند فدخل الاسلام الملايين تلو الملايين من الهنود ، كما أن التركستانيين لم يقفوا عند حد الجهاد بالغزو او الجهاد بالدعوة بل ايضا اقبلوا على الدرس والتحصيل واجتهدوا في البحث والاستقصاء وكان منهم في هذا الميدان قادة علم وحملة للواء العلم والدين والتاريخ قد سجل العديد من اسماء العلماء الاتراك واشاد بجهودهم وما كان لهم من اقدام راسخة في خدمة الدين ورفع شأنه .

ولا شك ان كان للترك عبر التاريخ السياسى للدولة الاسلامية دور كبير وواضح ، فالسجل حافل باعمال السلاجقة والاتابكة والسامانيين والخاقانيين والغزنويين والمماليك والعثمانيين والشيبانيين والاشترخانيين ومنغتيين وغيرهم . فقد حارب ملوك تلك الدول ضد الوثنيين والصليبيين وكانوا الحمى لبلاد الشرق والامة الاسلامية من اخطار المغول الوثنيين ثم كان لهم الفضل بعد ذلك في دخولهم الاسلام .

ولو حاولنا ان نحصى عدد العلماء الذين نبغوا من تركستان لخدمة العالم الاسلامي لاحتجنا الى مجلدات ومجلدات ولكنى هنا لا يسعنى سوى الايجاز وفقط للتذكير او على سبيل المثال فليس من سبيل الى احصاء اولئك الجهابذة الحكماء والعلماء والفلاسفة ، فلم يكن علمهم لتركستان وحدها ، وانما بحثوا واجتهدوا وآلفوا خدمة للانسانية وخيرا للبشرية يدفعهم حبهم العميق للاسلام .

ومنذ العهد العباسى الى آخر عصر امارة المنغتية عام ١٣٣٨هـ كان تيار العلم يدفق من (بخارى) و(خوارزم) و(سمرقند) و(طاشقند) و(ـ غر) و(بلخ) حتى بعض قرى تركستان المجهولة فقد اشتهرت اسماؤها بظهور علماء افذاذ نابغين فيها .

ومما يدعو الى العجب ويثير الدهشة الشديدة سرعة تعلم اهل تلك البلاد اللغة العربية ولكن العجب يزول والدهشة تحل محلها الفخر والاعتزاز عندما نعلم ان السبب هو الحب العظيم للعقيدة الاسلامية فلغة القرآن هي العربية الفصحى ولذلك اقبلوا بنهم بالغ على تعلم اللغة العربية ، وتغلغلوا في دقائقها واسرارها بصدق وعزيمة فكان لهم ما ارادوا .

فقد نبغوا فيها وعلت كعوبهم عن اصحابها الاصليين فكان لهم الباع الاكبر في ميادين اللغة والادب والدين وظهر نوابغ الائمة المسلمين وعلمائهم وفي بخارى وسمرقند وخجند وفرغانه وغيرها . ومنهم على سبيل المثال لا الحصر :

(امير المحدثين الامام ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري) صاحب (الجامع الصحيح) اصح الكتب الاسلامية بعد القرآن الكريم ، وهو من نسل (الجعفيين) وهم قبيلة يمنية عربية استقرت في بخارى مع العرب الفاتحين الاوائل وتصاهروا مع اهلها وتناسلوا فيها . ولد في عام ١٩٤هـ وتوفي في

خرتنك في عام ٢٥٦هـ وقد اخرجه من بخارى اميرها خالد بن احمد بن الذهلي من بنى ذهل بعد وشاية فيه الى سمرقند وتوفي الى رحمة الله تعالى قبل وصوله اليها في قرية (خرتنك).

وقد قيل ان جد الامام البخاري (المغيرة الجعفي) بخاري الاصل ولكنه اسلم على يدي (الجعفي) ولذلك دعي بالمغيرة الجعفي.

فقد كان لهذا الامام العظيم فضل كبير في خدمة الفقه الاسلامي فقد جمع والف (الجامع الصحيح) (والادب المفرد) (والتاريخ الكبير) (والتاريخ الصغير) (وكتاب الضعفاء) و(خلق افعال العباد) وغيرها من كتب الدنيا والدين.

(الفقيه ابو الليث السمرقندي)(٢) ألف (بستان العارفين ، وتنبيه الغافلين وله تفسير جميل للقرآن الكريم).

(والامام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري) صاحب الصحيح المشهور المتوفي عام ٢٦١هـ وهو غني عن البيان ومذكور بكل لسان.

(والامام الشيخ ابو منصور الماتريدي(٣) والامام (ابو داوود السجستاني)(٤) صاحب السنن المشهور والمبراسيل وغيرها. (والامام ابو عيسى بن سورة الترمذي)(٥) صاحب السنن والشمائل

---

(١) هو نصر بن محمد السمرقندي الحنفي المتوفي عام ٣٧٥هـ له بستان العارفين) كتاب مختصر مفيد للغاية على (١٥٠) بابا في الاحاديث والآثار الواردة في الآداب الشرعية وبعض الاحكام الفرعية يروى انه ثلاث نسخ الكبرى والوسطى والصغرى. والموجود في بلاد العرب والروم هو الصغرى. من كشف الظنون بالاختصار ج ١ ص ٢٤٣ وله من التأليفات فضائل رمضان) و(المقدمة) في الفقه مطبوع و(شرح جامع الصغير في الحديث و(عيون المسائل) فتاوى (وتراجم) (ودقائق الاخبار) في بيان اهل الجنة واهوال النار) و(مختلف الرواية) في الخلافات بين ابي حنيفة ومالك والشافعي و(شرعة الاسلام) في الفقه و(رسالة في اصول الدين) وغيرها. من الاعلام بالتصرف

(٢) هو محمد بن محمد بن محمود من ائمة الكلام نسبته الى ماتريد محلة بسمرقند من كتبه (التوحيد) و(اوهام المعتزلة) و(الرد على القرامطة) و(مآخذ الشرائع) في اصول الفقه و(كتاب الجدل) و(تأويلات القرآن) و(شرح الفقه الاكبر) المنسوب الى ابي حنيفة مطبوع مات بسمرقند عام ٣٣٣هـ الاعلام.

(٣) هو سليمان بن الاشعث بن اسحاق بن بشير الازدي السجستاني (٢٠٢ – ٢٧٥) ابوداود امام اهل الحديث في زمانه اصله من سجستان رحل رحلة كبيرة وتوفي في البصرة له السنن وهو احد الكتب الستة جمع فيه (٤٨٠٠) حديث انتخبها من خمسمائة الف حديث وله المراسيل في الحديث (والبعث) و(تسمية الاخوة) رسالة وللجلودي كتاب اخبار ابي داود. ا هـ من الاعلام للزركلي ص ١٨٢ ج ٣

(٤) هو محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ابوعيسى من ائمة علماء الحديث وحفاظه من اهل ترمذ (على نهر جيحون) تتلمذ للبخاري وشاركه في بعض شيوخه وقام برحلة الى خراسان والعراق والحجاز وعمي في آخر عمره وكان يضرب به المثل في الحفظ ومات بترمذ (٢٠٩ – ٢٧٩) من تصانيفه الجامع الكبير والشمائل و(التاريخ) و(العلل) في الحديث ، الاعلام ص ٢١٣ ج ٣

وغيرها . (والحكيم الترمذي) صاحب السنن وجامع الاصول(١) وغيرها . (والامام ابوبكر القفال الشاشى الطاشقندي)(٢) صاحب الاصول واصول الفقه الحنفي والشافعي . (ملك العلماء الكاساني)(٣) صاحب البدائع والصنائع في ترتيب الشرائع . (وشمس الدين محمد السرخسي الاوزجندي)(٥) صاحب المسوط . والامام فخر الدين محمد المشهور بقاضى خان الاوزجندي(٤) صاحب الفتاوى المشهور . (والشيخ سراج الدين الاوشى)(٦) صاحب منظومة بأبدأ الامالى في العقيدة السلفية !

(١) هو محمد بن علي بن الحسن بن بشر ابو عبد الله الحكيم الترمذي المتوفي عام ٣٢٠هـ من تأليفاته نوادر الاصول) في احاديث الرسول) و(الفروق) وله كتاب غرس الموحدين) (أدب النفس) و(غور الامور) و(المسائل المكنونة) و(الاكياس والمغترين) (بيان الفرق بين القلب والفؤاد والقلب واللب) و(العقل والهوى) وغيرها ا هـ بالاختصار من الاعلام ص ١٥٦ ج ٧

(٢) هو ابوبكر محمد بن علي بن اسماعيل القفال الشافعي امام عصره بلا مدافعة وكان فقيها محدثا اصوليا لغويا لم يكن بما وراء النهر للشافعيين مثله في وقته ، رحل الى خراسان والعراق والحجاز والشام وعنه انتشر مذهب الشافعي في بلاده توفي سنة ٣٣٥هـ مفتاح السعادة بالاختصار

(٣) هو الامام ابوبكر بن مسعود الكاساني الحنفي المتوفي سنة سبع وثمانين وخمسمائة ، شرح تحفة الفقهاء في الفروع لاستاذه الشيخ الامام الزاهد علاء الدين محمد بن احمد السمرقندي الحنفي شرحا عظيما في ثلاث مجلدات وسماه بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، فلما اتمه عرض على المصنف استاذه فاستحسنه وزوجه ابنته فاطمة الفقيهة فقيل (شرح تحفته وتزوج ابنته) وفاطمة هي بنت محمد بن احمد السمرقندي مؤلف التحفة – تفقهت على ابيها وحفظت التحفة وكانت تنقل المذهب نقلا جيدا وكانت ربما ترد فتوى الكاساني وتعرفه وجه الخطأ فيرجع الى قولها وكان زوجها يحترمها ويكرمها وكانت الفتوى اولا تخرج عليها خطها وخط ابيها السمرقندي ثم تخرج بخطها وخط زوجها الكاساني . قال داود بن علي احد فقهاء الحلاوية بحلب – هي التى سنت الفطر في رمضان للفقهاء بالحلاوية كان في يديها سواران فاخرجتها وباعتها وعملت بالثمن الفطور كل ليلة من ليالي رمضان واستمرت على ذلك الى اليوم . ا هـ مفتاح السعادة

(٤) هو محمد بن احمد بن سهل ابوبكر شمس الائمة قاض من كبار ائمة الاحناف مجتهد من اهل سرخس في خراسان اشهر كتبه المبسوط في الفقه والتشريع ثلاثون جزءا وله شرح السير الكبير للامام محمد الشيبلى ٤ مجلدات والاصول في اصول الفقه وشرح مختصر الحاوى توفي عام ٤٨٣هـ الاعلام ص ٢٠٨ ج ٧٠

(٥) هو حسن بن منصور بن محمود بن عبد العزيز الاوزجندي الفرغاني المشهور بقاضى خان فقيه حنفي له الفتاوى ٤ اجزاء و(الامالي) و(الواقعات) و(المحاضر) و(شرح الزيادات) و(شرح الجامع الصغير) و(شرح ادب القضاء) لخصاف توفي ليلة النصف من رمضان سنة ٥٩٢هـ الاعلام ومفتاح السعادة

(٦) هو سراج الدين بن علي بن عثمان (عثمان الاوشى الفرغاني المتوفي عام ٥٧٥ هجرية ومنظومته بدأ الامالي ٦٦ بيتا في العقائد السلفية وهي مقبولة ومتداولة فرغ من نظمها سنة ٥٦٩هـ ويبدأها بقوله (يقول العبد في بأ الامالى – بتوحيد بنظم كاللآلي . اله الخلق مولانا قديم – وموصوف باوصاف الكمال) قام بشرحها جماعة من العلماء منهم محمد بن ابي بكر الرازي ، وعز بن جماعة المتوفي عام ٨١٩هـ ومحمد النكساري المتوفي عام (٩٠١) و(علي القاري) المتوفي عام ١٠١٤هـ وسماه ضوء المعالي ا هـ كشف الظنون ص ١٣٥٠

(شيخ الاسلام برهان الدين بن علي المرغيناني) (١) الراشداني ، صاحب الهداية والتجنيس ، و(الذيل) و(كفاية المنتهى . وغيرها . (والشيخ ثابت اله الخجندي) صاحب شرح صحيح البخاري . والعلامة المحقق الشهير ابو مسعود محمود الزمخشري (٢) صاحب الكشاف في التفسير وغيرها . (والامام محمد الفربري البخاري) راوي الجامع الصحيح عن الامام البخاري . (والشيخ عبد القاهر الجرجاني (٣) ويوسف السكاكي (٤) صاحب مفتاح العلوم . (والعلامة الميرسيد الشريف الجرجاني (٥) صاحب التعريفات المشهورة وشارح النسأي وشارح الفرائض السراجية وشارح المواقف للايجى ، ومقاليد العلوم وشارح الجغميني وغيرها .

---

(١) هو علي بن ابي بكر بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني (٥٣٠ – ٥٩٣)هـ (١١٣٥ – ١١٩٧)م ابو الحسن برهان الدين من اكابر فقهاء الحنفية كان حافظا مفسرا محققا اديبا ومن المجتهدين من تصانيفه (بداية المبتدى) و(شرحه الهداية) و(منتقى الفروع) ودالفرائض) و(التجنيس والزيد) في الفتاوى و(مناسك الحج) و(مختارات النوازل) ا هـ من الاعلام ج ٥ ص ٧٣ بالاختصار

(٢) هو محمود بن عمر بن محمد بن احمد الخوارزمي الزمخشري جار الله ابو القاسم من ائمة العلم بالدين (٤٦٧ – ٥٣٨)هـ

(١٠٧٥ – ١١٤٤)م ومن محققي المفسرين واللغة والآداب ولد في زمخشر من قرى خوارزم وسافر الى مكة فجاور بها زمنا فلقب بجار الله وتنقل في البلدان ثم عاد الى الجرجانية فتوفي فيها . اشهر كتبه (الكشاف) في تفسير القرآن و(اساس البلاغة) و(المفصل) و(المقامات) (الجبال والامكنة والمياه) و(الفائث) و(غريب الحدث) و(المستقصى) في الامثال و(نوابغ الكلم) و(ربيع الابرار) ادب و(القسطاس) في العروض و(نكت الاعراب في الاعراب) و(اطواق الذهب) و(اعجب العجب) شرح لامية العرب وله ديوان شعر و(معجم عربي وفارسى) مجلدان ا هـ بالاختصار من الاعلام ص ٥٥ ج ٨

(٣) هو عبد القاهر الجرجاني المتوفي عام (٤٧١)هـ (١٠٧٨)م واضع اصول البلاغة له شعر رقيق ومن كتبه (اسرار البلاغة) (دلائل الاعجاز) و(الجمل) في النحو (التتمة) و(المغنى) في شرح الايضاح ثلاثون جزءا اختصره في شرح آخر سماه المقتصد (اعجاز القرآن) و(العمدة) في تصريف الافعال ومئة عامل ا هـ

(٤) هو ابو يعقوب يوسف بن ابي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي (٥٥٥ – ٦٢٦)هـ ١١٦٠ – ١٢٢٩م برز في علمه في اللغة ابان حكم السلطان محمد خوارزمشاه وكان معاصرا لنصير الدين الطوسى وله كتاب (مفتاح العلوم) ولخص ووضع الحواشي والتعاليق عليها جمع من علماء اللغة خلال عدة قرون متتالية ا هـ الاعلام ومفتاح السعادة

(٥) هو علي بن محمد بن علي الحنفي الجرجاني (٧٤٠ – ٨١٦)هـ (١٣٤٠ – ١٤١٣)م من كبار العلماء العربية ، كانت بينه وبين سعد التفتازاني مباحثات ومحاورات في مجلس تيمور لنك يقال ان مصنفاته زادت على خمسين مصنفا منها التعريفات وشرح المواقف وشرح الجغميني في الهيئة ومقاليد العلوم وتحقيق الكليات وشرح السراجية في الفرائض وحواشي للمطول والمختصر للتفتازاني في المعاني وتقسيم العلوم واصول الحديث وحاشية للكشاف وشرح التذكرة للطوسى في الهيئة وشرح الملخص . ا هـ من الاعلام ومفتاح السعادة .

(والعلامة سعد الدين.

التفتازاني (١) صاحب المختصر المعاني والتلويح الى كشف غوامض التنقيح في اصول الفقه وشرح الكلم لنوابغ للزمخشري ، والمطول في علوم البلاغة وغيرها . (والعلامة صدر الشريعة وتاج الشريعة وبرهان الشريعة (٢) وصدر الافاضل ومفسر القرآن الكريم ابو البركات عبد الله بن احمد النسفي : (الشيخ سديد الدين الكاشغري ، و(الشيخ محمود الكشغري) (٣) و(العلم الثاني الحكيم (ابو نصر الفارابي (٤)

---

(١) هو مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني (٧١٢ – ٧٩٢)هـ (١٣١٢ – ١٣٩٠)م من ائمة العربية والبيان والمنطق توفي بسمرقند ودفن في سرخس من كتبه تهذيب المنطق والمطول والمختصر في المعاني ، ومقاصد الطالبين وشرحه والنعم السوابغ وارشاد الهادي وشرح العقائد النسفية ، وحاشية على شرح العضد والتلويح الى كشف غوامض التنقيح وشرح التصريف العزي وشرح الاربعين وحاشية الكشاف ا هـ الاعلام والمفتاح مختصرا .

(٢) هو عبيد الله بن مسعود بن محمود بن احمد المحبوبي البخاري (المتوفي عام ٧٤٧هـ – ١٣٤٦م) صدر الشريعة الاصغر ابن صدر الشريعة الاكبر من علماء الحكمة والطبيعيات واصول الفقه والدين له تصانيف مفيدة منها تعديل العلوم في اقسام العلوم العقلية كلها ثم شرح هذا الكتاب بجميع اقسامه ولقد ابدع فيها بحيث اوجد تحقيقات عجز عنها الاوائل سيما المنطق والكلام ويشهد بما ذكرنا من طالع ذلك الكتاب والتنقيح في اصول الفقه وشرحه التوضيح وشرح الوقاية وشرح الوقاية والنقاية ، مختصر الوقاية في الفقه والوشاح في علم المعاني وحكي ان العلامة قطب الدين الرازي اراد ان يجتمع مع صدر الشريعة ويتباحث معه فارسل اليه اولا من تلامذته مولانا مباركشاه وكان مباركشاه من غلمان الرازي ورباه صغيرا وعلمه كبيرا وتبناه فصار مشهور الآفاق ليتعرف كيفية الحال فحضر مباركشاه درس صدر الشريعة وهو يومئذ في الهرات والعلامة بالرى فوجده يدرس كتاب الاشارات لابن سينا ولا يتابع فيه المصنف ولا واحدا من شارحيه الامام والطوسى فكتب مباركشاه الى العلامة ان الرجل نار وقادة والاقدام ربما يورث الملام فعمل العلامة برأيه وقبل نصحه ولم يتجاسر على ما قصده ا هـ الاعلام والمفتاح .

(٣) هو محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري المتوفي عام (٤٦٦)هـ (١٠٧٣)م فاضل من اهل كشغر له كتاب (ديوان لغات الترك) مطبوع القسمان الاول والثاني منه والثالث مخطوط ، كما ذكره خير الدين زركلي في كتابه الاعلام ج ٨ ص ٤٣

(٤) هو محمد بن محمد بن طرخان بن اوزلغ ابو نصر الفارابي (٢٦٠ – ٣٣٩)هـ (٨٧٤ – ٩٥٠)م ويعرف بالمعلم الثاني اكبر فلاسفة المسلمين تركي الاصل مستعرب ولد في فاراب على نهر جيحون وانتقل الى بغداد فنشأ فيها والف بها اكثر كتبه ورحل الى مصر والشام واتصل بسيف الدولة بن حمدان وتوفي بدمشق كان يحسن اليونانية واكثر اللغات الشرقية المعروفة في عصره قيل انه كان يعرف اكثر من سبعين لسانا ويقال ان الآلة المعروفة بالقانون من وضعه واختراعه فلعله اخذها عن الفرس فوسعها وزادها اتقانا فنسبها الناس اليه ، وعرف بالمعلم الثاني لشرحه مؤلفات ارسطو المعلم الاول وكان زاهدا في الزخارف لا يحفل بامر مسكن او مكسب يميل الى الانفراد بنفسه ولم يكن يوجد غالبا في مدة اقامته بدمشق الا عند مجتمع ماء او مشتبك رياض ، له مائة كتاب منها (الفصوص) ترجم الى الالمانية و(احصاء العلوم والتعريف باغراضها) و(المدخل الى صناعة الموسيقي) و(آراء المدينة الفاضلة) و(الآداب الملوكية) و(مبادئ الموجودات) ترجمت الى العبرية و(ابطال احكام النجوم) و(اغراض ما بعد الطبيعة) و(السياسة المدنية) و(جوامع السياسة) و(النواميس) و(الخطابة) و(ديوان الادب) و(ما ينبغي ان يتقدم للفلسفة) ا هـ الاعلام والمفتاح بالاختصار.

و(شيخ الرئيس ابوعلي سينا البخاري(٤) الراميتنى فخر الاطباء والحكماء صاحب القانون .

٢٨

(١) هو ابوعلي الحسين بن عبد الله بن سينا ، (٣٧٠ – ٤٢٨)هـ (٩٨٠ – ١٠٣٧)م مولده في احدى قرى بخارى نشأ وتعلم في بخارى وكان ابوه من عمال الدولة السامانية تميزت السنوات الاولى من حياة ابن سينا بعدة خصائص ابرزها ذكاؤه المبكر وذاكرة نادرة وقدرة على المثابرة في الدرس والتحصيل ، ففي سنة الخامسة انتقل الى بخارى وفيها حفظ القرآن وقبل سن العاشرة بدأ دراسة علوم الحكمة والطب والمنطق والفلسفة والفقه وبرع في علوم الطب حتى ذاعت شهرته كطبيب قبل السابعة عشرة من عمره ، بل انه عالج الامير نوح الساماني في هذه السن بعد ان عجز عن ذلك شيوخ الاطباء ولما بلغ الثامنة عشرة بلغ الغاية في دراساته الفلسفية وفي هذه السنة الف كتابه (المجموع) فاتصل منذ هذا التاريخ بالشئون السياسية بالاضافة الى التاليف . اما عن ذاكرته النادرة فيدل عليها حفظه القرآن قبل سن العاشرة وتوفره على كتب الطب في خلال عامين واستظهاره كتاب ما بعد الطبيعة لارسطو قبل التمكن من فهمه ، بل انه لما احترقت مكتبة آل سامان اتهم بحرقها قيل حتى يستأثر بما حفظه من كتبها واما عن مثابرته فقد روي انه كان في ايام طلبه العلم لا ينام ليلة بطولها ولا يلتفت بالنهار الى عمل غير القراءة والتحصيل وربما غلبه النوم فاذا هو يحلم بحل تلك المسائل باعيانها وتتضح له وجوهها في منامه ، وكما روى عن نفسه (انه قرأ كتاب ارسطو لما وراء الطبيعة اربعين مرة قبل ان يقع شرح الفارابي له) وانه توفر على دراسة اسرار اللغة في سن الاربعين بعد ان تولي الوزارة واشتهر بعلو كعبه في الفلسفة حتى يصقل اسلوبه في التأليف ، وذلك حين قال احد معاصريه في مجلس السلطان (انك فيلسوف وحكيم واما كلامك في اللغة فلا نرضاه) وتبرز هذه المثابرة في انصرافه الى التاليف من ذلك انه كان يكتب كل يوم خمسين ورقة من كتابه (الشفاء) بل كان يؤلف في معضلات الفلسفة وهو على طريق سفره ، تتلمذ على الشيخ عبد الله الناتلي فقرأ عليه الرياضيات والمنطق والفلسفة وفي عام (١٠٠١) ميلادي انتقل الى جرجان على اثر سقوط الدولة السامانية على ايدي الغزنويين وبعد ثلاث سنين انتقل الى همدان حيث تولى الوزارة لاميرها ثم خرج هاربا الى اصفهان عام ٤١٤هـ ١٠٢٣م حيث دخل في خدمة اميرها علاء الدولة بن كاكوية وفي خلال ذلك اشتغل بالتحصيل كما اشتغل بالتاليف ، ومن مفكري عصره ممن اتصل بهم صاحب الترجمة (البيروني) و(ابن مسكويه) صاحب كتاب الاخلاق (والصوفي الشيخ ابو سعيد ابو الخير) ومن تلاميذه الجوزجاني وابو القاسم الكرماني وابو عبد الله المعصومي وابو الحسن ابن زيلة وغيرهم كانت الفلسفة هي ميدان ابن سينا الاول وكان لآثار الفارابي اثر عظيم في تفتح مغاليق الفلسفة اليونانية كما روى ذلك عن نفسه وليس ادل على مبلغ شغفه بالفلسفة من قوله بعد قراءة كتاب الفارابي (وانفتح عليّ في الوقت اغراض ذلك الكتاب وفرحت بذلك وتصدقت في ثاني يوم بشيء كثير على الفقراء شكرا لله) لهذا نراه يهوّن من دراسة علم كالطب بقوله (ثم رغبت في علم الطب وصرت اقرأ الكتب المصنفة فيه وعلم الطب ليس من العلوم الصعبة فلا جرم فاني برزت فيه في اقل مدة حتى بدأ فضلاء الطب يقرأون عليّ علم الطب وانا مع ذلك اختلف الى الفقه واناظر فيه) اعتبر ابن سينا المنطق مدخلا لدراسة الفلسفة وتأثر بالفارابي في الاخذ بنظرية المعرفة واعتبار الكليات مستقلة من محتوياتها وانها من الفيض الالهي ، وقسم ابن سينا الفلسفة الى عملية الاخلاق والسياسة المدنية والى نظرية تشتمل الطبيعيات والرياضيات والالهيات اى علم الوجود المطلق والمحسوسات عنده ذات دور ثانوي في المعرفة العقلية ، وكان يرى ان العلل لايمكن ان تتداعى الى ما لا نهاية بل لابد من الانتهاء الى علة اولى هي مبدأ كل موجود كما تضمنته فلسفته التقريب بين الفلسفة اليونانية وعقيدة الشيعة والتصوف . اما اضافاته في الطبيعيات فتشمل الوزن النوعي والمقائيس الدقيقة واصلاح العلل في التقاويم بحسب الارصاد القديمة دراسات عن المعادن انتهى بها الى انكار التحول من معدن الى معدن اذ قد تتغير في صورتها ولكن كل معدن يبقي حافظا لصفاته الاصلية . اما اضافاته في الطب فشملت ابحاثه في السكتة الدماغية انواع الشلل حصى المثانة السل الرئوي اكتشاف الدورة المستديرة المسببة للانكلستوما اليرقان الاضطرابات العصبية وغيرها .

اهم مؤلفات ابن سينا

١) في الفلسفة كتاب الشفاء في المنطق والآلهيات ، والطبيعيات والموسيقي استحثه على تأليفه تلميذه الجوزجاني ويقع في ٢٨ جزءا ترجمه الى اللاتينية حنا الاسباني وكنديسالينس وقد طبعت اجزاء منه عام ١٣٠٣هـ بطهران وطبع قسم الآلهيات مع ترجمته الى الالمانية وشرح المستشرق هورتن عام ١٩٠٩ ثم طبع محققا بالقاهرة ١٩٥٦ .

(كتاب الاشارات والتنبيهات) وللكتاب جملة شروح طبع لاول مرة بمدينة ليدن بهولندا باشراف المستشرق فورجية مع ترجمة فرنسية ، و(كتاب النجاة) وهو مختصر كتاب الشفاء ترجمه كارام الى اللاتينية وطبع لاول مرة عام ١٥٩٣ بمدينة روما مع كتاب القانون وفي مصر عام ١٣٣١هـ (الحكمة المشرقية) او (اسرار الحكمة المشرقية) وهي مجموع رسائل منها منطق المشرقيين والقصيدة المزدوجة طبعتا في القاهرة ١٩١٠م (والقصيدة العينية) او قصيدة النفس بالقاهرة عام ١٣١٨هـ كما نشرها المستشرق كاراديفو مع ترجمة فرنسية عام ١٨٩٩م و(رسالة بن يقظان) نشرها كوفان مع ترجمة عبرية ثم قصة الطير .

وفي الطب اشهر هذه المؤلفات (القانون) ترجمه الى اللاتينية جيرارد الكريموني لاول مرة عام ١١٨٧م ث اعيد طبعه ١٥ مرة ما بين عام (١٤٧٣م وعام ١٥٠٠م) ثم صدر منها منقحا في روما عام ١٥٩٣م واصبح مرجعا للدراسات الطبية في اوربا حتى منتصف القرن السابع عشر الميلادي وقد طبعت اجزاء منه في طهران عام ١٨٦٧م وفي لكهنو بالهند عام ١٨٧٩م وفي القاهرة طبع كاملا في ثلاثة اجزاء عام ١٨٧٧م عن قاموس الاسلامي ج ٣ ص ٦١٩

وحيث ان بعضا من نواحي حياة ابن سينا لم تزل مجهولة فاننا ننقل ترجمة ما ذكره صاحب بدائع الوقائع زين الدين الوصفي وبسند نقله الى تاريخ المعيني ، ولعله اليمني فصنف التاريخ اليميني فهو محمد بن عبد الجبار العتبي المتوفي عام ٤٣١هـ فهو قد عاصر الشيخ الرئيس والعهدة على الراوي فبدأ الفياض ما خص لمن خص لا مانع لمن وهبه واعطاه فيقول : (ان عبد الله بن سينا والد الشيخ الرئيس كان في غاية من الحذاقة في علم السياق والكتبة من اهل الديوان يخشون منه ومن دقة حسابه فيحتاطون في اعماله اذ انه تولى وزارة احد ملوك آل سامان مدة سبع سنين ثم استعفي واشتغل بعبادة ربه ، حتى توفي وحين وفاته كان عمر ابي علي سنة ونصف سنة تقريبا وكانت جاريته تحمله الى السوق وفي طريقها تمر الى مدرسة تسمع منها مذاكرة طلاب العلم فيميل الولد اليها كلما مرت من قربها وفي احدى المرات تدخل المدرسة حاملة له فيقع نظر الاستاذ الى الطفل وكان من اهل العلم والعرفان والقيافة فتفرس في وجهه وراح في تفكير عميق فلاحظ الحضار من طلاب العلم ما بدا في وجه الاستاذ فاستغربوا وطلبوا من الاستاذ كشف ما يراه فقال : ان هذا الطفل لشأنا في المستقبل فسيكون فريدا في الامة المحمدية في ناحية العلم والعرفان وانتم قد لا تصدقون صدق تفرسي لو قلت لكم (انه يدرك الآن ما لا يدرك البعض منكم ولاجل اثبات هذا المدعى طلب من شلة من الطلبة ان يذاكروا دروسهم ويدخلوا في مذاكرتهم شيئا لا علاقة له في الموضوع او يحملوا محملا غير صحيح في التوجيه وحينما ذاكر الطلبة مذاكرة جديا ظهر الانبساط والبشاشة في وجه الطفل وحينما قلبوا التوجيه في محمل غير صحيح ظهر التنافر والاعراض منه فتعجبوا غاية العجب ثم سأل الاستاذ عن منبت هذا الفرع فاجابت الجارية (حسين بن عبد الله بن سينا) الذي توفي ولده منذ ثلاثة اشهر فكان هو من اعز اصدقاء الاستاذ فاقام الاستاذ حفلة العزاء لصديقه ثم عقد بام الطفل ليقوم بتربيته . وحكي قصة اخرى اغرب من الخيال فسبحان ما وهب ما يشاء لمن يشاء وهو انه حينما ولد ابوعلي قامت القابلة لغسله وحين عملية الغسل سقط خاتمها الثمين في الطشت ومن الطشت الى البالوعة فلما لم يجدوا الخاتم بعد بحث طويل اتهموا الجارية بسرقته وكلما ارادوا ضرب الجارية وايذائها لاجل الخاتم صرخ الطفل صراخا مزعجا واذا وقفوا سكت الطفل فيستغربون منه ولا يعرفون السبب فيقول : (انه اول ماتكلم به — لقد آذيتم الجارية البريئة لاجل الخاتم فالخاتم سقط في الطشت ومنه الى البالوعة فلما كان الخاتم ثمينا بحثوا في البالوعة فوجدوا الخاتم فيها . وهو تولى الوزارة لبعض ملوك آل سامان فسأله الملك يوما كيف تقضي لياليك ؟ فقال انى اطالع في الليل ولكن اعمال القصارين يزعجني ويشوش على ذهني فامر الملك بعدم عمل القصارين في الليل وبعد مدة اعاد الملك السؤال نفسه فاجاب (ان اعمال قصاري السمرقند يسبب ازعاجي فاستغرب الملك ولم يقل شيئا اذ المسافة بين بخارى وسمرقند ما يقرب من ٣٦ فرسخا فعلم ان

كلامه لم يعجب الملك ، ففي ليلة صباحها قال (لم يزعجنى صوت عمل قصاري سمرقند الليلة) فكتب الملك تاريخ تلك الليلة وارسل بريده يستفسر من اخبار تلك الليلة فاخبروه بان في تلك الليلة توفي رئيس القصارين ولم يعملوا في تلك الليلة بسببه .

ومن لطائف حذاقة ابن سينا في الناحية الطبية ما روي ما قد يكون العلاج ممكنا ولكنه في حكم المستحيل وهو ان احدا من وجهاء العراق اصيب بمرض عضال عجز كبار الاطباء عن علاجه فلما سمعوا شهرة حذاقة ابن سينا ارادوا معالجته ولكن هو وزير الملك ولايمكن حضوره اليهم والمسافة بينهم وبين ابن سينا مسافة ليست بالقصيرة ، فجهزوا المريض مع من يقوم باعتنائه من اخوانه واولاده وكان من عادة ابن سينا حين وزارته ان المرضى يجتمعون ويصطفون صباحا ومساء في ساحته عند ذهابه الى الديوان ورجوعه فيقف عند كل مريض ويعرف مرضه ويقول علاجه فهذا الوجيه وقف في قطار المرضى وحينما وصل عنده فطالع في وجهه وتأمل قليلا ثم مضى في سبيله ولم يقل من العلاج شيئا فيئس المريض واهله وارادوا الرجوع وتركوا المريض في بيت مهجور ونزلوا الى السوق لشراء ما يلزم في السفر وفي الطريق وكان في صحن الدار غضارة فيها شيئ من اللبن واشتدت السخونة في المريض وارتفعت حرارته غاية الارتفاع واشتد عطشه ولم يكن بقربه ماء ليطفئ ظمئه ويرى ان افعى تخرج رأسها من احد الشقوق وتصل الى الغضارة وتشرب ما فيها من اللبن وتعود ادراجها ثم تعود فتستفرغ ما شربت وتغيب وقد اشتدت الحرارة في المريض واراد ان يبل حلقه ولو كان فيخ حتفه وقد يئس من الحياة فزحف الى جهة الغضارة وشرب ما فيها واذا يشعر في نفسه النشاط والعافية فقام من محله ويتمشى ويترنم فوصل مرافقوه وشاهدوا ذلك فاستغربوا من عافيته بعد ان يئسوا منها وارادوا الرجوع ولكن لم يعرفوا سبب زوال المرض ولذا وقف المريض مرة اخرى في صف المرضى وحينما وقع عين ابي علي عليه قال له من أين لك ما يستفرغ الافعى فقص مامر عليه من الحكاية فقال واننى علمت ان العلاج الوحيد هو شرب ما يستفرغ الافعى واذا قلت لك ذلك فقد ترضى بالموت ولا ترغب شرب ما يستفرغ الافعى ثم من هذا الذي يتحكم عليها حتى يشرب اللبن ثم يجبرها بالاستفراغ لاجلك وكان ذلك في حكم المستحيل . (قيل ان الطب كان معدوما فاوجده بقراط ، وكان ميتا فاحياه جالينوس ، وكان متفرقا فجمعه الرازي وكان ناقصا فأكمله ابن سينا) قيل تصانيفه يزيد عن مائة مصنف ما بين مطول ومختصر ومن تصانيفه لسان العرب عشر مجلدات توفي بهمدان ٤٢٨هـ بالاختصار من مفتاح السعادة لطاشكبري زادة ، والاعلام وبدائع الوقائع والقاموس الاسلامى .

الكبير والشفاء والاشارات . وابو ريحان البيروني(١). الذي نقل فلسفة الهند وعلومها . (ابو زيد البلخي)(٢) اول من كتب الجغرافيا على طريقة قدماء اليونان . (والخوارزمي – ابو عبدالله محمد بن موسى الخوارزمي)(٣) واضع علم الجبر والمقابلة . (وابناء موسى بن شاكر وهم محمد واحمد والحسن) أشهر رياضي العهد العباسي واوائل المخترعين من المسلمين في الحيل والهندسة وهم الذين حققوا للمامون مقدار الدرجة الارضية ، وصححوها واخترعوا الجبر والمقابلة ونشروا الحساب الهندي بين المسلمين .

---

(١) هو محمد بن احمد ابو الريحان البيروني (٣٦٢ – ٤٤٨)هـ (٩٧٣ – ١٠٤٨)م ولد بقرية (البيرون) من قرى خوارزم وعاصر قيام الدولة الغزنوية في خراسان وفتوحاته الهندية ، درس الرياضيات والفلك والهيئة والطب والتاريخ وبرع فيها وارتحل الى الهند وعنى باستقصاء حضارتها وفلسفاتها وطوائفها واساطيرها وتاريخها وبعد عودته من الهند استقر بمدينة غزنة ودخل في خدمة السلطان مسعود الغزنوي وفي خلال ذلك انصرف الى التأليف في التاريخ والاجتماع . والطبيعيات اشهر مؤلفاته (كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية) وكتاب (تاريخ الهند) ويشتمل على دراسة الفلسفة الهندية وديانات الهند وآدابها وتاريخها وعاداتها والدراسات الفلكية بها ، وله في الفلك (القانون المسعودي) الذي اهداه الى السلطان مسعود و(التفهيم لاوائل صناعة التنجيم) وله (الجواهر في معرفة الجواهر) و(كتاب الصيدلة) توفي عام ٤٤٨هـ ا هـ من القاموس الاسلامي ج ١ ص ٤٠٩

(٢) هو احمد بن سهل ابوزيد البلخي (٢٣٥ – ٣٢٢)هـ (٨٤٩ – ٩٣٤)م احد الكبار الافذاذ من علماء الاسلام جمع بين الشريعة والفلسفة والادب والفنون ولد في احدى قرى بلخ وساح سياحة طويلة ثم عاد وقد علت شهرته فعرض عليه حاكم تخوم بلخ وزارته فاباها وذكره الكتابة.فرضيها فكان يعيش منها الى ان مات في بلخ وقد سبق علماء البلدان في الاسلام كافة الى استعمال رسم الارض في كتابه (صور الاقاليم الاسلامية) وفي فهرست ابن نديم قائمة مؤلفاته وهي كثيرة منها (اقسام العلوم) و(شرائع الأديان) و(كتاب السياسة الكبير) و(كتاب السياسة الصغير) و(الاسماء والكنى والالقاب) و(ما يصح من احكام النجوم) و(اقسام علوم الفلسفة) و(كتاب الشطرنج) و(ادب السلطان والرعية) و(كتاب القرود) و(فضائل بلخ) و(اخلاق الامم) و(نظم القرآن) وينسب اليه كتاب (البدء والتاريخ) ا هـ من قاموس من الاعلام للزركلي ج ١ ص ١٣١

(٣) هو ابو عبد الله محمد بن موسى الخوارزمي عاش ببغداد ولمع اسمه ابان خلافة المامون العباسي توفر على دراسة الرياضيات و(الفلسفة) و(الجغرافيا) و(التاريخ) وصنف فيها بعد ذلك بيد ان سيرته يحيط بها الابهام حتى لم يعين تاريخ ولادته او وفاته .

ينعت بالاستاذ اقامه المأمون العباسي قيما على خزانة كتبه وعهد اليه بجمع الكتب اليونانية وترجمتها وامره باختصار المجسطي (لبطليموس) فاختصره وسماه (السند هند) اي الدهر الداهر فكان هذا الكتاب كما يقول ملتبرون الجغرافي اساسا لعلم الفلك بعد الاسلام وللخوارزمي كتاب (الجبر والمقابلة) ترجم الى اللاتينية ثم الى الانكليزية ونشر بهما وطبع بالعربية مختصر منه و(الزيج) نقل عنه المسعودي والتاريخ) نقل عنه حمزة الاصفهاني و(صورة الارض من المدن والجبال الخ) و(عمل الاسطرلاب) ووصف (افريقيا) وهو قطعة من كتابه (رسم المعمور من البلاد) وعاش الى مابعد وفاة الواثق بالله .

قيل اول من صنف في الجبر والمقابلة الاستاذ الخوارزمي وتوفي بعد سنة (٢٣٢هـ) (٨٤٧م) الاعلام ج ٧

اما محمد بن موسى بن شاكر المتوفي عام ٢٥٩هـ ٨٧٣م هو ابو عبد الله عالم بالهندسة والحكمة والنجوم وهو احد الاخوة الثلاثة الذين تنسب اليهم (حيل) بنى موسى في (الميكانيك) وهم مشهورون بها واسم اخويه احمد والحسن وكانوا مقربين من المامون العباسي يرجع اليهم في حل ما يعسر عليه فهمه من آراء متقدمي الحكماء وكانت لهم همم عالية في تحصيل العلوم القديمة وكتب الاوائل واجهدوا انفسهم في شأنها وانفذوا الى بلاد الروم من اخرجها لهم واحضروا النقلة من الاصقاع الشاسعة فاظهروا عجائب الحكمة ، ووضعوا كتابا يشتمل على كل غريبة اطلع عليه ابن خلكان وقال انه من احسن الكتب وامتعها قلت ورايت في مخطوطات الفاتيكان مجموعا اوله (كتاب الحيل لبنى موسى بن شاكر المنجم لعله هو الذي رآه ابن خلكان ا هـ الاعلام ج ٧ ص ٣٣٧

اما الخوارزمي محمد بن احمد بن محمد بن يوسف ابو عبد الله المتوفي عام ٣٨٧هـ (٩٩٧)م عاش بنيسابور ابان حكم الدولة السامانية واتصل خاصة بالوزير ابي الحسن العتبي عبيد الله بن احمد وصنف له كتاب مفاتيح العلوم الذي يعتبر اقدم موسوعة جامعة في التعريف بالعلوم التى كانت متداولة في عصر المؤلف ويشتمل على جزءين الاول على العلوم اللغوية والفقهية والثاني في العلوم الطبيعية مقسما الى ٩٣ فصلا ويعد كتابه هذا من اقدم ما صنفته العرب على الطريقة الموسوعية قال المقريزي وهو كتاب جليل القدر ا هـ من القاموس الاسلامي ج ٢ ص ٢٩٥ الاعلام لخير الدين الزركلي ج ٨ ص ٢٠٤

(الكاتب الكبير ابوبكر الخوارزمي)(١) و(الاديب المعروف الشطرنجي الرولي)(٢) .
و(خالد بن عبد الملك المتخصص الكبير في مرصد المامون (٣) و(الجوهري) (٤) الذي قدم للامة العربية احسن القواميس اللغوية العربية واكملها ، هؤلاء جميعا ابناء تركستان اتيت بهم على سبيل المثال لا الحصر لابين ما ضربت به هذه الدولة في الفقه الاسلامي والتفسير والحديث والسيرة والعلوم الرياضية والدنيوية والتى كان لها فضل عظيم في رفع لواء الحضارة العربية الاسلامية من سهم وافر مما يدل على تأصل العقيدة الاسلامية الحقة في فترة قصيرة في نفوس اهل تركستان .

(١) ابوبكر الخوارزمي (٣٢٣ – ٣٨٣)هـ (٩٣٥ – ٩٩٣)م محمد بن العباس الخوارزمي من ائمة الكتاب واحد الشعراء العلماء كان ثقة في اللغة ومعرفة الانساب وهو صاحب (الرسائل) المعروفة برسائل الخوارزمي وله ديوان شعر ولد نشأ في خوارزم ورحل في صباه الى بعض البلدان فدخل سجستان ومدح واليها طاهر بن محمد ثم هجاه فحبسه وانطلق فتابع رحلته واقام في دمشق مدة ثم سكن حلب وانتقل الى نيسابور فاستوطنها واتصل بالصاحب بن عباد وتوفي بها وكانت بينه وبين البديع الهمذاني محاورات وعجائب نقل بعضها ياقوت في معجم الادباء واورد ابن خلكان والثعالبي طائفة من اشعاره واخباره وكان يقال له الطبري لانه ابن اخت محمد بن جرير الطبري فامه من خوارزم واباه من طبرستان ا هـ من الاعلام ج ٧ ص ٥٢

(٢) هو ابو حفص الشطرنجي مولى بنى العباس كان ابوه اعجميا من موالي المنصور فاسم الشطرنجي اسما اعجميا فغيره ابوه بعمر بن عبد العزيز ونشأ في دار المهدي وهو شاعر علية بن المهدي منقطعا اليها وكان غزلا اديبا ظريفا شغف بالشطرنج فنسب اليه ، قال محمد الجهم البرمكي – رايت باحفص الشطرنجي انسأنا يلهيك حضوره عن كل غائب وتسليك مجالسته عن كل الهموم والمصائب ، قربه عرس وحديثه انس وجده لعب ولعبه جد ديّن ماجن وكان رشيد يحترمه ويستحسن كلامه ا هـ فوات الوفيات لابن شاكر توفي عام ٢١٠هـ

(٣) هو عبد الله بن هارون الرشيد (١٧٠ – ٢١٨)هـ (٧٨٦ – ٨٣٣)م ابن المهدي بن ابي جعفر المنصور واسم امه مراجل سابع الخلفاء من بنى العباس واحد اعاظم الملوك في سيرته وعلمه وسعة ملكه ، العالم المحدث اللغوي قامت دولة الحكمة في ايامه ، وقرب العلماء والفقهاء والمحدثين والمتكلمين واهل اللغة والاخبار والمعرفة بالشعر والانساب واطلق حرية الكلام للباحثين واهل الجدل والفلاسفة ، ولولا محنة خلق القرآن في سنى الاخيرة من حياته واخباره وفضائه كثيرة . الاعلام بالاختصار ج ٤ ص ٢٨٧

(٤) هو اسماعيل بن حماد الجوهري المتوفي ٣٩٣هـ ١٠٠٣م ابو نصر اول من حاول الطيران ومات في سبيله لغوي من ائمة اللغة وخطه يذكر مع خط ابن مقلة اشهر كتبه (الصحاح) اربع مجلدات وله كتاب في العروض ومقدمة في النحو اصله من فاراب ودخل العراق صغيرا وسافر الى الحجاز فطاف البادية وعاد الى خراسان ثم اقام في نيسابور وصنع جناحين من خشب وربطهما بحبل وصعد سطح داره ونادى في الناس لقد صنعت ما لم اسبق اليه وساطير الساعة فازدحم اهل نيسابور ينظرون فتأبط الجناحين ونهض بهما فخانه اختراعه فسقط الى الارض قتيلا . ا هـ الاعلام لخير الدين لزركلي ج ١ ص ٣٠٩

لقد ساهمت تركستان في تثبيت دعائم الدعوة المحمدية وجاهد ابناؤها في رفع لواء الحضارة العربية الاسلامية ... ساهمت بعلمائها ومحدثيها وفلاسفتها ، ولم يكن الجهاد في الدراسة والتحصيل والاجتهاد في امور الدين محصورا في فئة معينة من الناس بل كان ملوك وامراء تركستان يتسابقون قبل رعاياهم الى حلقات العلم وكلهم آذان صاغية الى علمائهم ومنهم من كان مقتدرا في العلم مثل الامير حيدر بن الامير شاهمراد من آل منغيت فقد ظهر امير من العلماء العاملين في عصر امارته في عاصمة بخارى عام ١٢١٥هـ وكان سخيا تقيا واشتهر بالامير سعيد فاتح البلدان وكان يقضي نصف نهاره يلقي العلم لتلاميذه الذين بلغ عددهم اربعمائة ثم يقضي باقي نهاره في بيت الحكم اما بقية ليله في تهجد بذكر الله حتى اشرق الصباح وفي كل عام كان يكسو عشرة آلاف من فقراء رعيته ويعطيهم مما رزقه الله كما كان للعلماء والفقهاء عنده مكانة عظيمة وكل احترام وتقدير ، وكان لهم في مجالسه الصدارة وكان منهم وزراؤه وقضاة رعيته وولاة اقاليمه يكافئهم بالجوائز الثمينة والمراتب الرفيعة ويجيبهم الى مطالبهم التى كانت لخدمة العلم ، فأنشأ لهم المراصد وشيد دور الكتب والمدارس وغيرها .

وقد كانت المدارس في تركستان عربية وحلقات الدرس والعلم كلها باللغة العربية ومما قيل عن تركستان شعرا :

علماء الاسلام كانوا بـــدورا
وسماء البـــدور تـــركستان
ان اردت الدنيا ترى المجد فيها
قـــد اقـــيمت بصـــرحه اركـــان
او اردت الدين الحنيف تجدها
وهي للبر والهـــدى عـــنوان
وطـــن المصلحين دينا ودنيـــا
تتغنى بفضلها الازمـــــان

وقد اصبحت اللغة العربية هي لغة القبائل التركستانية بعد ان كانت تتكلم الفارسية البحتة والتركية فمثلا كلمة الصبر العربية استعملوها بدلا من الدرنك الفارسية وكلمة (طعام) استعملوها بدلا من (خوردني خوراك) التي ينطق بها الفارسية والتاجيكية وبدلا من (يمك) التي ينطق بالازبكية والتركية ، اما في شرقها فتستعمل كلمة (غيزا) وهى محرفة عن اللغة العربية ايضا من كلمة (غذاء) .

كذلك كلمة (اذان) فهى بالفارسية والتاجيكية (بانك) ولكن كلمة الاذان هى التي تستعمل دون البانك . ولفظ الجلالة (الله) فهو بالفارسية والتاجيكية (خدا) وخدا بالازبكي (تنكرى) و(خداى) لكن على العموم يستعمل لفظة (الله) . اما لفظي (الطهارة والوضوء) فهما بالفارسية والتاجيكية (آبدست كرفتن) وبالازبكية (آبدست آلماق) ولكن على العموم يستعمل لفظ (الطهارة) .

و(المدرسة) بالفارسية (مكتب خانه) وبالازبكية (او فو يورتي) ولكن اصبح الاستعمال الشائع كلمة (المدرسة) و(المسجد) بالفارسية والتركية (عباد تخانه او نماز خانه) و(خانقاه) واصبح الاستعمال

الكلي (المسجد) . ولفظ (العبادة) بالازبكي والتركي (تانياك) و(جوقونماق) ولكنهم جميعا استعملوا لفظ (العبادة) . ولفظ (العلم) بالفارسي (دانستن) وبالازبكي (بيلو بيلا جاق) واصبح الاستعمال لكلمة (العلم) هو الجاري . ولفظ (المذهب) بالفارسي (جاى رفتن) وبالازبكي (يود يسورت اورتي) ولكن لفظ (المذهب) هو المستعمل .

وخلاصة لذلك انه كما ذكرت من قبل ان اللغة العربية بعد انتشار الاسلام اصبحت هي لسان القوم بها يقرأون القرآن آيات الله البينات وبها تنطلق اصواتهم عالية بالاذان فوق المنائر يقيمون شعائر الدين من صلاة وتلاوة القرآن الكريم وذكر الله تعالى في قيامهم وقعودهم .

وخلاصة القول فان اهل تركستان وقد اقبلوا اقبالا شديدا على اللغة العربية يفضلونها على لغتهم الاصلية العريقة فانما ذلك يدل دلالة صريحة على ايمانهم القوي الوثيق بالدين الحق السمح الذي هداهم الله به الى طريق الصواب فكانوا فخرا وعزة للمسلمين جميعا في انحاء العالم .

لقد تحدث اهل تركستان بالعربية عن اقتناع وايمان بانها لغة الحق لغة الرسول الكريم وخاتم الانبياء والمرسلين محمد عليه الصلاة والسلام وهي لغة او لسان القرآن الكريم ولسان اصحاب النبيّ وخلفائه وكل من آمن به وبرسالته العظيمة الشاملة . ولكن ليس كل من تحدث بالعربية الفصحى او كان ابنا من ابنائها يعتبر مؤمنا صادق الايمان . فان اللسان العربي الفصيح والبلاغة القرشية التليدة لم ينفعا (ابا لهب وابا جهل) بل كانتا حجة ودليلا عليهما ودليلا بادانتهما .

في حين أن (سلمان الفارسي وبلال الحبشي وصهيب الرومي) نالوا بمعرفة اللسان العربي والايمان الصادق الحظوة الكبرى والمنزلة العظيمة عند الله ورسوله الامين وقد قال النبي عليه السلام عن سلمان رضي الله عنه (سلمان منا اهل البيت) وقال ﷺ : (لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى) وقال الله تعالى في كتابه العزيز : « **ان اكرمكم عند الله اتقاكم** » .

ان صلاح الدين الايوبي الكردي الاصل وسلاطين الاتراك الذين اخضعوا لسيطرتهم الشرق والغرب وغيرهم ممن خضعوا تحت راية الاسلام وجاهدوا في سبيل رفع كلمة الدين وهؤلاء العلماء والحكماء والفقهاء الذين انجبتهم تركستان وساهموا بالكلمة والقلم والعمل في سبيل الامة الاسلامية . ان هؤلاء جميعا كان دافعهم الايمان الصادق والعزيمة القوية التي استمدوها من تعاليم دينهم الجديد وعقيدتهم الراسخة به . لقد دام النصر لهم قرونا طويلة من التاريخ الاسلامي فقد كانوا ينصرون دين الله فنصرهم . وكانوا وحدة لا تتجزأ عملا بقوله تعالى : « **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا** » فغزوا البلدان ونشروا الاسلام بين الامم ورفعوا حضارة عظيمة زاهرة آثارها خالدة لانها حضارة العلم والمدنية التي فاضت على العالم كله بعد ذلك بنور المعرفة والعلم .

عـاصمة بخـارى

بخارى احدى مدن (توران) واشتق اسمها من بخار بمعنى (علم) لكثرة ما انجب من علماء افاضل وحكماء بارعين ، وزيد في اسمها (شريف) اي (بخارى شريف) نسبة الى جامع الاحاديث الشريفة محمد اسماعيل بخاري . وقيل اسمها (يبخار) باللغة العبرية والسريانية ومعناه ايضا (العلم) .
وكانت ارض بخارى سابقا عبارة عن تكوينات طبيعية من صحراء وجبال تملأها المغارات وتحوطها الاتربة يشق بعضها انهارا كبيرة وعظيمة . ثم مر الزمن وبدأت الامطار والسيول تغزو هذه الرقعة من الارض وفاض نهر سيحون فاخضرت الارض واخرجت من باطنها نباتا وثمارا مختلفة الانواع والاشكال وصارت الارض مكانا صالحا للسكنى والحياة واحاطتها اغادير الماء (صغدا) باللغة الفارسية . وفي اصطلاح يقال (صغد سمرقند فوق نهر السيحون وبخارى) اسفل النهر ، وتبلغ مساحة حوض نهر سيحون (دريای زر فشان) بالفارسية قبل عام ١٨٦٨م (٨٠٠٨٥٠) كيلو متر مربع كان يعيش على ارضه اربع ملايين نسمة من الفلاحين . وفي عام ١٨٦٨ قامت الحرب ثم انتهت بمعاهدة من اثنى عشر مادة بين الامير المظفر امير بخارى والامبراطور اليكساندر نيكلا ويج الروسى .
وبموجب المعاهدة المذكورة اصبحت سمرقند تابعة للروس ودخلت منابع السيحون بمنافعه الكثيرة في حدود الدولة الروسية . وقام الامبراطور الظالم اليكسندر (والكافرون هم الظالمون) ببناء سد على النهر المذكور فكان ذلك سببا لمصدر القلاقل والمشاجرات سنويا حيث كان الماء دائما في نهري نادباي وراغوم في سمرقند واصبحت اراضيها البالغ مساحتها (٢٤٢٣٠) كيلو متر مربع تقريبا غنية بزرعها وثمارها في حين اصبحت اراضى بخارى جرداء لا حياة فيها بسبب قلة المياه . وظلت المعاهدة سيفا قاطعا من عهد اليكسندر حتى قامت الثورة الشيوعية بزعامة لينين اليهودي الديانة وتمكنت القوات الشيوعية من الاستيلاء على (بخارى) وعند ذلك اطلقت المياه في نهر سيحون وعادت الخضرة الى ارض بخارى وانتشرت الزراعة وخاصة القطن في ربوعها . وقد كان هناك تقسيم لحصص الماء منذ زمن طويل حتى بناء السد عام ١٨٦٨م وكانت مقسمة ثلاثة اقسام اشترط ثلثان منها لاراضى بخارى لان اراضيها كانت ضعف اراضى سمرقند ولذلك فقد كان (صغد) بخارى يأخذ قبل المعاهدة الروسية من (صغد) سمرقند الزيادة اللازمة حتى قطعت المياه عن بخارى كما سبق ذكره ثم عادت بعد ضمها للدول الشيوعية .
وتتكون (بخارى) من سبع (تومان) أي وحدة ادارية تنقسم الولاية او الاقاليم اليها اي سبع قرى كبيرة تضم (٥٣٣٩٠٠) نسمة وتبلغ مساحتها (٥٧٦٣٠) كيلو مترا مربعا وبناية في شامل نهر شاهرود واطرافها محاطة بحصار عال (قلعة) طولها ٣٥ مترا وعرضها ٥ ١٧ مترا . ثم ادارة محاصرة داخل جدار محيطه (١٣٠٠٠) مترا وكذلك حصن مربع مساحته (٦٥٢) كيلو مترا مربعا ثم بنى حصن وقلعة في ايام خلافة عبد الله المامون العباسى سنة (٨٢٠)م لحمايتها من قطاع الطرق التركمانية .
وكانت قبائل التركمان من البدو الذين يعيشون في صحراء (شوار) يتسللون الى بخارى في خفية للنهب والسرقة فبنى (اسماعيل بن احمد السامانى) مغارة ارتفاعها تسعون ذراعا .

انظر شكل (   ) منارة مسجد كلان بخارا

يعد منظرة وضع التقسيم

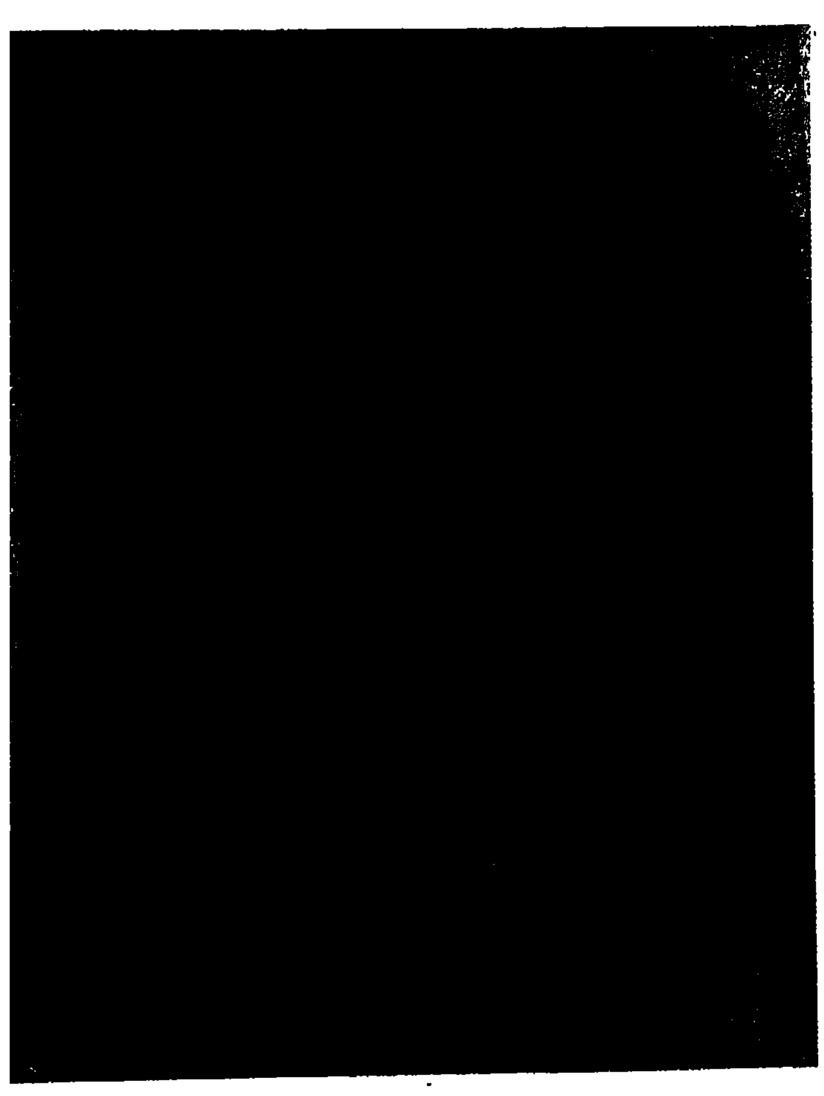
هى اكبر واطول منارة على الاطلاق ويقال ان ارتفاعها يبلغ (٩٠) مترا وهي مبنية بشكل هندسي ملولب لطيف من القاعدة الى الراس (متساوية) في الحجم بحيث من يطلع فيها يستطيع ان يقف في قمتها بدون خوف ويجلس على القمة جملة افراد لاتساعها وانه كان في طيقها المواجهة للقبلة كان يقف ثمانية من المؤذنين يؤذنون بصوت واحد ولم يكن حينذاك مكبرات الصوت فكانت اصواتهم تصل الى مسافات طويلة والى ثمانية عشر كيلو مترا من كل جانب تقريبا ، ولا سيما في صلاة الفجر والجمعة والافطار والامساك في شهر رمضان ومدافع للافطار والامساك كانت تتبع اذان تلك المنارة وقد بناها قيزيل ارسلان خان السلجوقي عام (١١٢٧)م وهي منارة مشهورة في الشرق لاهميتها ولبداعة منظرها وحسن هندستها ويأتي يوميا كم من عشاق الفن والآثار لرؤيتها وقد جاء في بعض الروايات ان الجبس الذي بنيت له هذه المنارة قد مزج جصها مع لبن الجمال ويزعم ان البناء الذي وضع الاساس على هذا الجبس قد اختفي عامين ولم يضع الآجر الا بعد ان تصلب الجبس وبمرور الزمن بنى السلاطين والامراء والاغنياء داخل شهر بخارى (٣٦٠) مسجدا صغيرا وثمانية جامعا يصلى فيها الجمعة والاعياد ومائة مدرسة كبيرة واربعين فندقا عظيما وخمسين شارعا وخمسة وثمانين حوضا (برك مياه) علاوة على العمارات الضخمة المبنية كلها من الآجر الاحمر والاحجار البيضاء والجبس المنقوش المزخرف . وحتى نهاية الدولة الاسلامية المنغتية كانت هذه البنايات تؤدي كل دورها ولكنها اصبحت الآن وفي ظل النظام الشيوعي مسارح ومخازن ومستودعات ودور السينما ..الخ

وقد كانت الامارات التابعة لبخارى في عهد السيد الامير مظفر الدين المنغيت وبعد معاهدة الصلح التى عقدها مع الامبراطور اليكسندر في عام ١٨٦٨م تحوي ثلاثين مدينة كبيرة ومتوسطة وصغيرة . وكان عدد السكان (٣٥٠٠٠٣٠) نسمة يقيمون على ارض مساحتها (٦٥٠٠٠٠) كيلو متر مربعا . (المدن التابعة لامارة بخارى) وكانت العاصمة هي (بخارى) كما كانت اسماء المدن هي : ١) (حصارا) اسمها السابق (حصار شادمان) ٢) (قراتيكين) ٣) (كولاب) أي ختلان . ٤) (بلجوان) ٥) (درواز) ٦) (يولجى) ٧) (ديهنو) ٨) (بايسون) ٩) (خزار) ١٠) (كركى) ١١) (شيرآباد) (الترمذ سابقا) ١٢) (قورغان تيفه) ١٣) (قباديان) ١٤) (كلف) ١٥) (بردليق) ١٦) (شهر سبز اى كيش) ١٧) (كتاب) ١٨) (يكه باغ) ١٩) (جراغجى) ٢٠) (قرشى اى (نسف) ونخشب) ٢١) (كرمينه) ٢٢) (خطرجى) ٢٣) (كان ميخ) ٢٤) (قياقلى) ٢٥) (نوراتا) ٢٦) (جهرا رجوى) ٢٧) (ضياء الدين ظ) ٢٨) (سرآسيا) ٢٩) (اوسطى) ٣٠) (يارتيفة) .

ثم سبع (قرى) تومان اطراف بخارى عبارة عن (غجدوان) (قراكول) و(خير آباد) و(وافكند) و(وردا نزى) و(راميتن) و(كا كان) و(خير كوش) و(زاندني) هذا خلاف القرى الصغيرة التى كانت تابعة للمدن السالفة الذكر . وقد كانت هذه الامارات والمدن كلها متحدة تحت حكم آل منغيت وآخرهم الامير مظفر وعبد الاحد والأمير عالم ولكن منذ عهد (لينين) وبعده (ستالين) ثم (خروشوف) قسمت توران الى جمهوريات شيوعية باسم أوزبكستان ، وتاجيكستان وقازاقستان وتركمنستان الخ

بعد ان كانت ارضا واحدة وعاصمة واحدة هي (بخارى) اصبحت اقساما لكل منها نظامها وحدودها فكان ذلك هو التفكك والخطر الاكبر لشعب تركستان . لقد كان الحكم في بخارى قائما على الشرع والدين وكان الامير بنفسه يباشر الرقابة على عماله . وقد وصل عقاب المتلاعب في حقوق الناس او غشهم الى حد جلده ٣٩ جلدة بدرة من الجلد (الادارة في بخارى) ١) الامير . ٢) الورزاء (وزير الداخلية – وزير الخارجية – وزير المالية – وزير الدفاع – امير العاصمة) ٣) مفتي اكبر يرأس عشرة من علماء الافتاء . ٤) الادارة والامن والدفاع تتكون من (آخوند) (مفتي عسكر) و(ادارة المياه) و(رئيس المدافع) و(رئيس شئون المساجين) وغيرهم .

وكانت الاوقاف عامة من اختصاص رئيس القضاة (قاضي كلان) فكان لبخارى لكل وقف متولي ومحاسب ورئيس وكذلك كان هناك رئيس لليهود ورئيس للمجوس من المسلمين فقد كان يوجد في بخارى حارتان مخصصتان لليهود وفي كل عام تحصل منهم الجزية وكان لهم نظامهم وتقاليدهم الخاصة بهم



(معاهدة عام ١٢٨٨)هـ

كان من شروط المعاهدة ان يكون في بخارى اثنا عشر الف جنديا رسميا للمحافظة داخل بخارى . وايضا اثنا عشر الف جنديا في المدن الاخرى التابعة لبخارى ، وكذلك اثنا عشر الف جنديا روسيا تحت تصرف امير بخارى ، ومن شروطها ايضا انه في حالة اعتداء دولة على حدود بخارى اوحدوث اضطراب ضد الحكم داخل بخارى فان روسيا تقوم بالدفاع عن بخارى . وقد حدث تمرد على امير بخارا مظفر الدين في بلاد شهر سبز وكتاب فارسل الروس جيشا قضى على التمرد والعصيان واعادوا هذه البلاد خاضعة لحكم امير بخارى تنفيذا للمعاهدة .

(منتجات بخارى) كان انتاج بخارى وقتذاك من صناعات يدوية مثل المنسوجات الحريرية والقطيفة وعمل المفارش الصوف والخيوط المصنوعة من الفضة والذهب والقصب وعمل حليّ النساء من الذهب والفضة والاحجار الكريمة الغالية وكانت هذه الصناعات غاية في الدقة والجمال وكان السائحون الذين يفدون للبلاد يعجبون من روعتها ويقبلون على شرائها باثمان غالية . اما انتاج بخارى الزراعي فكانت الارض غنية بالحنطة والشعير والارز وانواع شتى من الخضر علاوة على الفواكه كالمشمش والعنب والخوخ والتين والرمان والسفرجل والتفاح ، والخربز والبطيخ وغيرها من اجود الانواع والذها طعما .

كما عمر باطن الارض بالمعادن كالتبر والبترول والذهب والفضة والكبريت والرصاص وغيرها . كذلك كثرت الماشية لوجود العشب الوفير وامتلك الفلاحون اعدادا كبيرة منها يتاجرون في بعضها ويذبحون لضيوفهم البعض الآخر . وقد جعل الاكتفاء الذاتي اهل بخارى لا يحتاجون لواردات خارجية بل كان هناك فائض كبير من انتاجهم الزراعي والحيواني والمعدني والصناعات اليدوية . ولذلك كانوا يصدرون للخارج الحرير والمفارش والجلود القراقولي التى كانت مطلوبة خارج بخارى . وارض بخارى خصبة طيبة للزراعة حتى صحراءها فكان الفلاح يبذر الحب في الصحراء فاذا بالامطار وحالة الجو الطبيعية تساعد على نمو النبات وكان الكيس من الحبوب يتضاعف للفلاح بمائة وواحد وعشرين كيسا في موسم المطر ثم يتضاعف في السنة التالية التى تليها بدون تعب او مشقة ونعود مرة ثانية الى جلد القراقولي فهو منسوب الى بلدة قراقول وكان اصحاب المواشي في هذه المدينة يخصصون للتجارة خراف ونعاج خاصة وبرعوا في حساب النعاج الحبلى فيذبحون بعضا منها في مدة يكون باقيا لها على الولادة حوالى خمسة ايام تقريبا من ايام ولادتها . وبعض من هذه النعاج تلد في هذا اليوم فيذبح ولدها او بعد ثلاثة ايام وللتجار معرفة تامة بذلك وجلد نعاج هذه البلدة شهرة لا تضاهيها شهرة للنعاج في البلاد الاخرى ولذلك سميت خراف قراقول .

وقد كان اصحاب المواشي يسلخون الجلد ويملحوه ثم يصدر للخارج وخاصة الى (موسكو) حيث يقبل على شرائه الامراء والاعيان باسعار غالية ليضعوه على اطراف ملابسهم طرازا وفي رقابهم للزينة

ويصنعون من الشعر الفراوي الخاصة للرأس ، وهذا الجلد ملون بالوان طبيعية وبه نقوش جميلة الزينة والمنظر بقدرة الله تعالى ولذلك قدرت قيمة جلد النعجة الواحدة باكثر من قيمة ثلاث او اربع نعاج . فكان تجار بخارى يربحون ربحا عظيما من تجارتهم في هذه الجلود والمفارش والصوف والحرير التى يصدرونها للخارج .

(**الحرف في بخارى**) كان سكان بخارى يحترفون ثلاثة انواع من العمل . (التجارة – الفلاحة – رعي الماشية) وتجارتها وكانت حرفة (التجارة) ثم حرفة تربية المواشي هما اربح الحرف وكان صاحب المواشي يعرف عدد ماشيته وانواعها من خيول وجمال وابقار واغنام ولم يكن يتكلف كثيرا في غذائها فهي ترعى على عشب الارض ونباتات الصحراء وتشرب من المياه الجارية من الجبال . وكانت ديانة الجميع الاسلام وكان لهم علماء وقضاة ويتبعون جميعا المذهب الحنفي .

(التعليم في بخارى)

كانت العاصمة ملتقي طلاب العلم من جميع الجهات وكان عددهم يصل الى اكثر من عشرين الفا يتلقون العلم ستة شهور ثم يأخذون بقية العام عطلة ، ولذلك كانت العطلة الدراسية عادة قديمة في العاصمة بخارى . وكانت المدارس الموجودة قبل الحكم الشيوعي في بخارى كثيرة منها مدارس كبرى ومدارس متوسطة وفيما يلي بيان بعضها وايراداتها الموقوفة عليها ويلاحظ ان الايراد قد حسب بسعر (التنغة) وهى عملة فضية بخارية تقدر قيمتها باربعة وعشرين تنغة في الجنيه الاسترليني حاليا والجنيه الاسترليني كانت في عام ١٣٩٥هـ كانت تساوي (٧٥) ريال سعودي بسعر العملة السعودية .

اسم المدرسة	تاريخ بنائها	حجم المدرسة	الايراد الموقوف عليها في عام
١ كوكلدا ش	١٥٧٩ م	كبرى غـرفـهـا ١٦٠	(١٥٠٠٠٠) تنغة فضة
٢ جعفر خوجه		كبرى غـرفـهـا ١٦٠	(٢٥٠٠٠٠) تنغة فضة
٣ جـويبـــار		كبرى غـرفـهـا ١٦٠	(١٣٠٠٠٠) تنغة فضة
٤ مـيرعـــرب	١٥٣٦ م	كبرى غـرفـهـا ١٦٠	(١٥٠٠٠٠) تنغة فضة
٥ محمد علي حاجي		كبرى غـرفـهـا ١٦٠	(١٥٠٠٠٠) تنغة فضة

٦ ترسون جان		كبرى	غـرفها ١٦٠	(٢٤٠٠٠٠) تنغة فضة
٧ ديوان بيكى	١٦١٩ م	كبرى	غـرفها ١٦٠	(١٥٠٠٠٠) تنغة فضة
٨ كاو كشان		كبرى	غـرفها ١٦٠	(١٩٠٠٠٠) تنغة فضة
٩ عبدالعزيز خان	١٦٥٢ م	كبرى	غـرفها ١٦٠	(١٣٠٠٠٠) تنغة فضة
١٠ ميرزا الوغ بيك	١٤١٧ م	كبيرة		(٤٠٠٠٠) تنغة فضة
١١ كـلا باد		كبيرة		(٨٠٠٠٠) تنغة فضة
١٢ خوجه بارسا		كبيرة		(٥٠٠٠٠) تنغة فضة
١٣ ابراهيم آخوند		كبيرة		(٤٠٠٠٠) تنغة فضة
١٤ فتح الله قوشبيكى		كبيرة		(٨٠٠٠٠) تنغة فضة
١٥ عبد العزيز خان	١٦٥٢	كبيرة		(١٣٠٠٠٠) تنغة فضة
١٦ بى خليفة		كبيرة		(٥٠٠٠٠) تنغة فضة
١٧ خليفه نيازقل		كبيرة		(٥٥٠٠٠) تنغة فضة
١٨ عـز الديـن		كبيرة		(٤٠٠٠٠) تنغة فضة
١٩ خـيابـان		كبيرة		(٦٠٠٠٠) تنغة فضة
٢٠ ملا محمد شريف سوداكر		كبيرة		(٦٠٠٠٠) تنغة فضة
٢١ جويبارجـة		كبيرة		(٦٠٠٠٠) تنغة فضة
٢٢ عبد الله خان		كبيرة		(٥٠٠٠٠) تنغة فضة
٢٣ نادر ديوان بيكى	١٦٢٣ م	كبيرة		(٤٠٠٠٠) تنغة فضة
٢٤ السـرى		كبيرة		(٤٠٠٠٠) تنغة فضة
٢٥ خوجه نهال		كبيرة		(٥٠٠٠٠) تنغة فضة
٢٦ شـاريم بي		كبيرة		(٤٠٠٠٠) تنغة فضة
٢٧ دار الشفا		كبيرة		(٤٠٠٠٠) تنغة فضة
٢٨ جار بكـر		كبيرة		(٧٠٠٠٠) تنغة فضة
٢٩ بدل بيـك		كبيرة		(٤٠٠٠٠) تنغة فضة
٣٠ خوجه دولت		كبيرة		(١٣٠٠٠٠) تنغة فضة
٣١ ملا مسكين		كبيرة		(٦٠٠٠٠) تنغة فضة
٣٢ داملا شيرا او شيردار		كبيرة		(٤٠٠٠٠) تنغة فضة

٣٣ دوست جهرة آقاسى	كبيرة	(٤٠٠٠٠) تنغة فضة
٣٤ خوجه نقيب	كبيرة	(١٢٠٠٠٠) تنغة فضة
٣٥ كل آيم	متوسطة	(٣٥٠٠٠) تنغة فضة
٣٦ خضر بيك	متوسطة	(٣٥٠٠٠) تنغة فضة
٣٧ رحمن قل	متوسطة	(٣٠٠٠٠) تنغة فضة
٣٨ اير نظحر	متوسطة	(٣٥٠٠٠) تنغة فضة
٣٩ حافظ قنغرات	متوسطة	(٣٥٠٠٠) تنغة فضة
٤٠ حسين باى	متوسطة	(٣٠٠٠٠) تنغة فضة
٤١ اسماعيل خوجه	متوسطة	(٣٠٠٠٠) تنغة فضة
٤٢ جادرى خان	متوسطة	(٣٠٠٠٠) تنغة فضة
٤٣ شرافت بانو	متوسطة	(٣٠٠٠٠) تنغة فضة
٤٤ كريبان جاك	متوسطة	(٣٠٠٠٠) تنغة فضة
٤٥ جوبين كلان	متوسطة	(٣٠٠٠٠) تنغة فضة
٤٦ بالاى حوض	متوسطة	(٣٠٠٠٠) تنغة فضة
٤٧ آى بناق	متوسطة	(٣٠٠٠٠) تنغة فضة
٤٨ شاه اخصى	متوسطة	(٣٠٠٠٠) تنغة فضة
٤٩ تحت طاق كوربه	متوسطة	(٣٠٠٠٠) تنغة فضة
٥٠ بازار برنج	متوسطة	(٣٠٠٠٠) تنغة فضة
٥١ حاجى قربان	متوسطة	(٣٠٠٠٠) تنغة فضة
٥٢ سيد امير عالم خـــان	كبرى	(٢٥٠٠٠٠) تنغة فضة
٥٣ ميرجان علي	متوسطة	(٣٠٠٠٠) تنغة فضة
٥٤ عسكر بـى	متوسطة	(٣٠٠٠٠) تنغة فضة
٥٥ سرترا شى	متوسطة	(٣٠٠٠٠) تنغة فضة
٥٦ مدرسة جقور	متوسطة	(٣٠٠٠٠) تنغة فضة
٥٧ قوشبيكى	متوسطة	(٣٠٠٠٠) تنغة فضة
٥٨ اتاليق	متوسطة	(٢٥٠٠٠) تنغة فضة
٥٩ مدرسه نقيب خورد	متوسطة	(٢٥٠٠٠) تنغة فضة
٦٠ غـازيان	كبرى	(١٥٠٠٠٠) تنغة فضة
٦١ باى آستاه	كبرى	(١٥٠٠٠٠) تنغة فضة
٦٢ بارسا خوجة	كبرى	(١٥٠٠٠٠) تنغة فضة

٦٣ بازار كوسفد	كبرى	(١٥٠٠٠٠) تنغة فضة
٦٤ قوش مدرسة	كبرى	(١٥٠٠٠٠) تنغة فضة
٦٥ عبد الشكور باى	كبرى	(١٥٠٠٠٠) تنغة فضة
٦٦ خوجه رشيد	متوسطة	(٥٠٠٠٠) تنغة فضة
٦٧ صــدر بي	متوسطة	(٢٥٠٠٠) تنغة فضة
٦٨ بدل بيك كهنه	متوسطة	(٢٥٠٠٠) تنغة فضة
٦٩ سيد كمال	متوسطة	(٢٥٠٠٠) تنغة فضة
٧٠ مدرسة خوجه كرباس	متوسطة	(٢٥٠٠٠) تنغة فضة
٧١ مدرسة جار بقالى	متوسطة	(٢٢٠٠٠) تنغة فضة
٧٢ مدرسة خوجه بشمان	متوسطة	(٢٢٠٠٠) تنغة فضة
٧٣ مدرسة ميرزا فضيل	متوسطة	(٢٥٠٠٠) تنغة فضة
٧٤ مدرسة عالمجان	متوسطة	(٢٠٠٠٠) تنغة فضة
٧٥ مدرسة طوبجى باشى	متوسطة	(٢٠٠٠٠) تنغة فضة
٧٦ مدرسة قاضى لطيف	متوسطة	(١٨٠٠٠) تنغة فضة
٧٧ مدرسة ايشان بير	متوسطة	(١٤٠٠٠) تنغة فضة
٧٨ مدرسة حمام كنجك	متوسطة	(٢٠٠٠٠) تنغة فضة
٧٩ مدرسة خوجه زين الدين	متوسطة	(٢٠٠٠٠) تنغة فضة
٨٠ مدرسة دأملا حسن	متوسطة	(١٥٠٠٠) تنغة فضة
٨١ مدرسة امام باره دوز	متوسطة	(٢٠٠٠٠) تنغة فضة
٨٢ مدرسة حضبرت امام	متوسطة	(٢٠٠٠٠) تنغة فضة
٨٣ مدرسة ترك جندى	متوسطة	(٢٠٠٠٠) تنغة فضة
٨٤ مدرسة خوجه عصمت	متوسطة	(٢٠٠٠٠) تنغة فضة
٨٥ مدرسة سه بلان	متوسطة	(٣٠٠٠٠) تنغة فضة
٨٦ مدرسة بدر الدين	متوسطة	(١٤٠٠٠) تنغة فضة
٨٧ مدرسة افغان بي	متوسطة	(١٥٠٠٠) تنغة فضة
٨٨ مدرسة مير كمال	متوسطة	(١٤٠٠٠) تنغة فضة
٨٩ جوره بيك	متوسطة	(١٢٠٠٠) تنغة فضة
٩٠ ايشان املا	متوسطة	(١٥٠٠٠) تنغة فضة
٩١ عبيد الله خان	كبرى	(٢٠٠٠٠٠) تنغة فضة
٩٢ عبدالله خان بن اسكندرخان	كبرى	(٢٠٠٠٠٠) تنغة فضة
٩٣ مولانا شريف	كبرى	(١٥٠٠٠٠) تنغة فضة
٩٤ مهتر عنبر	متوسطة	(٥٠٠٠٠) تنغة فضة

٩٥ بازار لك	متوسطة	(٤٠٠٠٠) تنغة فضة
٩٦ مادرى خان	متوسطة	(٣٠٠٠٠) تنغة فضة
٩٧ كوجخ سنكين	متوسطة	(٣٠٠٠٠) تنغة فضة
٩٨ كذرد يكرزى	متوسطة	(٢٠٠٠٠) تنغة فضة
٩٩ بازار سبزى	متوسطة	(١٥٠٠٠) تنغة فضة
١٠٠ مدرسة لبحوض قاضى كلان	متوسطة	(١٥٠٠٠) تنغة فضة

فكان مجموع الايراد الموقوف على المدارس المذكورة هو (٧٦١٠٠٠٠) سبع ملايين وستمائة وعشرة آلاف تنغة فضة ضرب بخارى . علاوة على المدارس الاقل من المتوسط وتبلغ حوالى ١٣٨ مدرسة متوسط ايرادها من خمسة آلاف الى عشرة آلاف تنغة فضية أي حوالى (٦٤٠٠٠٠) تنغة فضية .

ومن بعض تلك المدارس نذكر بعضها (مدرسة سيد امير عالمخان) (ومدرسة بازار برنج) (ومدرسة آى بناق) (ومدرسة شايخصى) (ومدرسة تحت طاق كوربه) و(مدرسة خليفه ساقي) و(مدرسة بازار علف) و(بازار بسته) و(سراى طاش) و(مدرسة عطاران) و(مدرسة بازار نو) و(بازار كفش) و(مدرسة ميرد وستوم) و(مدرسة شكسته بندان) و(مدرسة تيركران) و(مدرسة كاسه كران) و(مدرسة صابون كران) و(مدرسة لبحوض دستور خانجى) و(مدرسة بهادربي) و(مدرسة ازبك) و(مدرسة بازار سيسمان) وكان في هذه المدارس يقيم من (٥٠٠) الى (٢٠٠٠) من طلاب العلم حسب سعة المدرسة وكان الطلاب يقبلون للتحصيل من نواح مختلفة من (افغانستان) و(تركمنستان) و(تركستان) و(تاتارستان) و(وقزاقستان) و(نوغيستان) و(تاجيكستان) ومن كولاب وقراتيكين وفرغانه وحصار يتعلمون وينالون من وظائف الدولة وفي قطاع اخرى ويصبحون من الثراء لما لطلاب العلم من المكانة المرموقة عند اهل بخارى ويتزوجون ويجدون احتراما اكثر من اهله ولذا ضرب المثل بأن بخارا غريب برور يعنى (بخارى مربي الاغراب) .

وحيث ان اهل بخارى واهل الشرق قاطبة يهتمون بالحمامات فكان في كل حارة او ناحية حمام عام للرجال واخرى للنساء وباب الحمام يفتح في الثلث الاخير من الليل ويضرب بوقه ايذانا بفتح ابوابها ويسمى هذا البوق (حمام بوغ) وفي هذا الوقت نفسه يفتح دكان (بلذة نخود) وذلك طعام يصنع من اللحم والحمص (البليلة) ومن المساء الى هذا الوقت يطبخ في قدور كبار مليئة باللحم فيذوب اللحم ويبقي البليلة مع مرقة اللحم والبليلة فبخارى مشهور بهذا النوع من الطعام ، فترى من ذاهب الى الحمام ومن ذاهب المطبخي لاحضار (بلذة نخود) ومن دخل الحمام ففرغ من الاستحمام يأتي بيته ليتناول من هذا الطعام ثم يشرب الشاى الأخضر ويقوم بأداء ما ألزم نفسه بعبادة ربه من الصلاة والأوراد حتى يؤذن الفجر فيتوجه الى المسجد لاداء صلاة الفجر جماعة لذلك فللحمامات عندهم اهمية خاصه ، فنذكر اسماء بعض الحمامات المعروفة فهى كالآتي (حمام تحت طاق رويمال) و(حمام بازار كتاب) و(حمام

بازار آهنكران) و(حمام كنجك) و(حمام بازار خوجه) و(حمام كفش آلك) و(حمام غازيان) و(حمام تحت بشته) و(حمام سربازار كارد) و(حمام ضعيفان) و(حمام كاوكشان) والبرك التى تسمى بالحوض (حوض بالاى ريكستان) و(حوض ليسك) و(لبحوض خوجه زين الدين) و(حوض كلاباد) و(حوض آى بناق) و(حوض جعفر خوجه) و(حوض رشيد) و(حوض دروازه مزار) و(حوض عربان) و(ولب حوض خوجه كلان) و(حوض خيابان) و(حوض كاوكشان) و(حوض باباى باره دوز) و(حوص بلند) و(حوض دستور خانجى) و(حوض جوقمان) و(حوض خوجه بلغار) و(حوص باباقل حاجى) و(حوض ملا غفور) و(حوض ملا يان) .

الابواب التى كانت تشمل سور محيط مدينة بخارى وهي اثنا عشر بابا الباب يسمى (دروازة) في الفارسية ١) دروازه نما زكاه . ٢) دروازه سلاخ خانه . ٣) دروازه قواله . ٤) دروازه مزار . ٥) دروازه اوغلان . ٦) دروازه تل باج . ٧) دروازه حضرت امام . ٨) دروازه سمرقند . ٩) دروازه خواجه عصمت . ١٠) رواه سه فلان . ١١) قراكول . ١٢) شيخ جلال . وفي شرق بخارا سلسلة جبال (كوه.تن طاغى) وبابا طاغى) تتصل هذه السلاسل الى بامير حدو القارة الهندية التى ارتفاعها تبلغ من (٦٥٠٠) متر الى (٧١٠٠) متر وهذه الجبال متوجة بالثلوج تتكون منها الانهار المتعددة وفي سفوح هذه الجبال تقع مدينة (حصار شاد مان) وله حصن يمتد سورها حوالى (٥٥٠٠) متر ومعادن الموجودة هناك ملح جبلى حديد وفولاذ ، كبريت ، ومومياء وقصدير ورصاص وجبس ومجوهرات وأحجار ثمينة كلعل وياقوت وذهب وفضة ، والنهر في (قراتيكين) ماؤه ممزوج بالذهب اذ أن تراب النهر ممزوج بالرمال وهذه الرمال فيها ذهب والناس يستخرجون الذهب منها ولذا ماء هذا النهر صحى في الغاية يزيل الأمراض المستعصية ، ومن المعادن البترول وغاز الطبيعى والنفط والأسمنت .

وجبالها مخضرة تنبت اشجارا متنوعة من الفواكه والمكسرات كالفستق واللوز الجبلى والقعقع والبخارى والرمان والمشمش والتين وغيرها وهى تنبت طبيعيا وبدون من يقوم بزرعها وكذلك الزهور متنوعة الالوان يستفيد منها اطباء العالم الخارجي ، ولذلك قوم يعيشون هناك على الجبال يسمى هذا القوم بالمجا بجيم الفارسية ينزلون في وقت الخريف يجمعون من تلك الثمرات الناشفة ويقتاتون بها ويبيعون الفائض عن حاجتهم كالمشمش الناشف والتوت الناشف والتين والزبيب والمكسرات ولا احد يمانعه لانها ليس ملكا لاحد وغاباتها كذلك لها نوع خاص من الخشب ذات الرائحة الزكية يسمى (البرص) بضم الباء والعرعر ومن الحيوانات الغير الاليفة الغزال باشكالها ومن ذوات القرون المتشابكة ومن الطيور في الجبال كالحجل والبلبل خصوصا في فصل الربيع تسمع تغاريد الطيور المتنوعة من زار هذه المناطق يتمتع تمتع الحياة السعيدة . (ومن ذوات المخلب من الطيور الجارحة) يوجد (نسرين) و(الصقر) و(شاهين) و(بحرين) و(لاجين) وغيرها بوفرة في الجبال والغابات ، لذلك الدكاترة والاطباء يوصون مرضاهم بان يقضوا اجازاتهم في تلك المراعي والغابات والجبال .

(المكتبـــات)

اهتم الحكام في بخارى بالمكتبات فكانت في العاصمة احدى عشر مكتبة عامة يستفيد المطالعين منها وهي كالآتي :

العدد	اسم المكتبة	عدد الكتب بها	الوقف الخاص بها في العام
١	جعفر خوجه	٤٠٠٠٠	٣٥٠٠٠ تنغه فضية
٢	كاوكشان	٣٥٠٠٠	(٢٢٠٠٠) تنغة فضة
٣	خوجه نهال	٣٠٠٠٠	(٢٠٠٠٠) تنغة فضة
٤	كوكلدا ش	٣٢٠٠٠	(٣٠٠٠٠) تنغة فضة
٥	عبد العزيز خان	٢٥٠٠٠	(١٨٠٠٠) تنغة فضة
٦	ميرزالغ بيك	٢٠٠٠٠	(١٦٠٠٠) تنغة فضة
٧	بدل بيك	١٥٠٠٠	(١٤٠٠٠) تنغة فضة
٨	دار الشفا	١٠٠٠٠	(١٢٠٠٠) تنغة فضة
٩	بازار كو سفند	٨٠٠٠	(١٠٠٠٠) تنغة فضة
١٠	بالاى حوض	٦٥٠٠	(٥٠٠٠) تنغة فضة
١١	جويبـــار	٥٣٠٠	(٤٨٠٠) تنغة فضة

فيكون مجموع ما كان بها من كتب (٢٢٦ ٧٠٠) كتابا وجملة الموقوف عليها في عام (١٦٢٣٠٠) تنكه فضية ضرب بخارى وقد اقيم في العاصمة بخارى عشرون دارا كبيرة لايواء طلبة العلم الفقراء وكان الموقوف لها من عشرين الفا الى اربعين الف تنكة فضية علاوة على عشرين دارا اخرى لصغار طلبة العلم الفقراء الموقوف للدار الواحدة من خمسة عشر الف الى عشرة آلاف تنغة فضية سنويا أي لو حسبنا المتوسط لكان مجموع ما يصرف على هذه الدور حوالى (٨٥٠٠٠٠) تنغة فضية ، وكانت الاقامة في الدور المذكورة تشمل اطعام الطلبة جميعا صباحا ومساء .

وبلغت مدارس تحفيظ القرآن الكريم وتجويده ١٢ مدرسة تقوم بتدريس القرآآت السبع وعلم التجويد بواسطة اساتذة اكفاء وكان يأتي لهذه المدارس الطلاب من جميع انحاء البلاد وبعد ان حفظوا القرآن الكريم يعودون الى بلادهم . وبلغت جملة الموقوف على هذه المدارس (١٨٠ ٠٠٠) تنغة فضية سنويا .

(توفير الراحة لأداء فريضة الحج)

توفير الراحة ومكان المبيت لحجاج بخارى سواء في الاماكن المقدسة او الطريق اليها فقد اقيمت التكايا (حاجى خانه اورباط) في كابل وبيشاور وبغداد ودمشق الشام وبيت المقدس واسطمبول ومصر وجدة ومكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف يجد فيها حجاج بخارى المسكن والمآكل .

وفي مكة المكرمة توجد تكية امير بخارى الامير عبد الاحد بقاعة الشفا في الشامية وفي المسفلة رباط قوشبيكى وفيها وفي زقاق البرسيم رباط آخر للسيد امير عبد الاحد . وفي الشام زاوية نقشبندية ورباط اوزبكية وفي العراق بالاعظمية رباط الازبكية ، وفي تركيا باسطمبول سلطان احمد يوقشى رباط البخارية بناه آستانه قلى بيك وزير السيد عبد الاحد خان امير بخارى وفي مصر ٩ درب اللبان بجوار قلعة محمد علي رباط البخارية وفي كابل المدرسة الازبكية وفي القدس زاوية ازبكية بجوار جامع القدس وفي بيشاور جامع توره قلي وحاجى خانه وفي المدينة المنورة زادها الله شرفا وتعظيما رباط البخارية بالباب المجيدى ورباط أخرى بقرب مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت بناه آستانه قلى قوشبيكى وزير الأمير عبد الاحد خان وفي ايران في خليان محمد رضا رباط بخارية وفي جدة حاجى خانه ورباط بخارية وفي الطائف رباط حاجى عمرو رباط حاجى سراج تاجيك ورباط اندجان وغيره ومن اهالي فرغانة وازبكستان وتاجيكستان وتاتارستان وتركمنستان اربطة كثيرة في مكة والمدينة . وكانت الواردات تصل لهذه التكايا قبل وصول الحجاج ولذلك فانهم كانوا يتمتعون بالاكل والشرب والخدمة والسكن مجانا حتى طلوعهم الى عرفات فكانت تقام لهم الخيام من المال الخاص بالسيد الامير عبد الاحد رحمه الله رحمة واسعة .

كما كان هناك ثلاثون قارئا يتلون ثلاثين جزءا من المصحف الشريف كل يوم وكذلك يقرأون ثلاثين جزءا من صحيح البخاري . وكان عمي الامير عبد الاحد يرسل كل المال اللازم من بخارى باسم الشيخ محمد سعيد ابوالخير لتكية مكة والسيد محمد رضوان شيخ الدلائل لتكية المدينة المنورة .

كذلك كان امير بخارى يرسل كل عام هدية خاصة لشريف عون ولسلطان انتراك . وقد احب اهل بخارى سكان الحجاز واحترموهم لانهم جيران بيت الله وجيران نبيه الكريم صلوات الله وسلامه عليه فهم خير الناس وكم كانوا يفرحون اذا نزل زائر على احدهم من اهل الحجاز فهو ضيف محبوب يتسابق الجميع على راحته واكرامه . واذكر من ضيوف بخارى السيد محمد المدني الذي عاد الى المدينة المنورة ومعه من الهدايا والمال ما جعله يشتري بستانا في طريق سيدنا حمزة رضى الله عنه وفي الباب المجيدى بنى دارا كبيرة اشتهر باسم فندق المدني . وكذلك سافر من المدينة المنورة الى بخارى السيد محمود شويلى وتوجه الى عمي الامير عبد الاحد وقال شعر بين يديه وضح فيه فقره وانه من طلاب العلم ومن جوار رسول الله ﷺ ويرغب الزواج وليس معه تكاليفه وقد اكرمه الامير وزوده بكل ما يحتاجه فعاد الى المدينة المنورة وتزوج وانجب ولدا سماه عبد الاحد .

اهتم امراء بخارى بالطرق التي تربط المدن ببعضها وعملوا على راحة المسافرين فبنوا اماكن لنزول المسافرين بها والراحة بها وكانت هذه الاماكن محطات بها ماء ويتوفر بها الطعام والخدمة الجيدة الجياد الجاهزة لاستبدال الجياد المتعبة بها . كذلك كان بكل محطة طبيب لاسعاف المرضى من المسافرين وصرف الدواء مجانا . ولم يهمل الامراء الطرق بالصحراء ونظرا لصعوبة حفرالآباربها فقد بنى المهندسون بعد جهد ومشقة الف بركة ماء (سردابة) في عهد امراء سابقين ومنهم الامير عبدالله خان . وعينت الحكومة خفراء للعناية بهذه البرك والخزانات . وكانت المياه تتجمع من اطراف المراعي وجوانب الصحراء في وقت المطر في حوض كبير جدا مغطى حتى لا يتبخر منه الماء وقد بنى الحوض من الخرسانة المسلحة ومن آجر احمر صلب وجبس ولذلك كانت المياه دائما متوفرة فاصبحت الراحة مكفونة للمسافرين والسواح والقوافل التجارية والجنود . ملحوظة : هذا النظام بدأ من عصر السامانيين .

(الدولة السامانية)

يقال ان بنى سامان من بنى سامه الذين ينسبون الى سامه بن لؤي من سلسلة النسب للنبي ﷺ وبنو سامه سكنوا عمان . وكما تعرف اولاد لؤي هم : سعد وسامة وعوف وعامر وكعب وهم قريش البطاح . وتنسب الدولة السامانية الى سامان ياوغى وهو من قبائل اوغور التركية ومن رهبان نوبهار الزردشتى المجوس في بلخ وقد استعان طاهربن الحسين من امراء العباسيين باسد بن سامان في بعض أعماله .

وقد نشأ اولاده الاربعة (نوح واحمد ويحيي والياس) نشأة حسنة وارتفع شأنهم عند المأمون حينما كان واليا على خراسان من قبل ابيه الرشيد . فلما تولى المامون الخلافة ولى نوح بن اسد على سمرقند وولى اخاه احمد على (فرغانه) وولى يحيي الشاش (طاشقند) واشتروشن . اما اخاهم الياس فولاه (هرات) . ولما توفي نوح اضيف عمله الى اخوته ثم توفي اخوه احمد فقام بالولاية بعده ابنه نصر ثم من بعده اسماعيل بن احمد الذي يعتبر مؤسس هذه الدولة . والدولة السامانية تعتبر اول دولة اسلامية مستقلة تأسست في تركستان واصبحت عاصمتها (بخارى) التى كانت منذ دخول الاسلام بها عام ٢٦٠هـ مخلصة للخلفاء العباسيين ويحارب ملوكها كل من خرج على طاعة هؤلاء الخلفاء فقد قضوا على الصفاريين والعلويين في طبرستان . وظلت سيادة الدولة السامانية (١٣٠ عاما) حكمها خلال هذه المدة تسعة حكام اولهم اسماعيل وآخرهم زائد الساماني ، وبدأ حكمهم من عام ٢٦١هـ الى عام (٣٩١هـ) وامتد سلطانهم الى ما وراء النهر وفرغانة وخوارزم وخراسان الى سيستان . وكان لهذه الدولة اثر كبير في الادب والفنون فقد ترعرعت تحت رعايتها الادب الفارسى الاسلامي واشتهرت بالعدل والاصلاح والغنى والثروة وازدهرت العلوم والمعارف وانتشرت في انحاء تركستان الجمعيات العلمية فاقبل الناس على اختلاف طبقاتهم على العلم واصبحت تركستان كعبة للادب والعلوم يقصدها من جميع الانحاء طالبو العلم والمعرفة يغترفون منها على ايدي علمائها الذين نبغ منهم عدد ليس بالقليل .
وقد ارتفعت وارتفعت في عهد تلك الدولة التجارة والزراعة كما تقدمت الفنون والصناعات حتى اشتهرت منتجاتها الصناعية من المنسوجات الحريرية والمصنوعات المعدنية في جميع الآفاق وكانت التجارة اهم العوامل القوية في نشر الاسلام بين باقي القبائل التركية . وقد كانت الدولة السامانية في اوج عظمتها ومجدها حينما تأسست على منهجها دولتان اسلاميتان تركيتان ايضا احداهما في شرقها هي الدولة الخاقانية والاخرى في جنوبها هي الدولة الغزنوية .

(الدولة الخاقانية)

لم تذكر مصادر التاريخ الا القليل النادر عن تأسيس هذه الدولة . ولكننا نعلم ان اول من أسس الدولة الخاقانية هو السلطان (ستوق بغرا خان) ودانت لحكمه كل البلاد التى تقع شمالي جبال تيانشان وجنوبها أي تركستان الشرقية كلها . وتعرف هذه الدولة في بعض كتب التاريخ باسم دولة (آل افرا سياب) او دولة خانات تركستان او الدولة الخاقانية كما اطلقنا هنا او الخانية او القرا خانية . وذكرها المؤرخ التركي رضا نور (الدولة الاويغورية) واطلق محمود الكشغري عليها الدولة الخاقانية أما الاوربيون فذكروها الدولة الايلكخانية . وقد كان لهذه الدولة مهما كانت تسميتها شأن عظيم في انتشار الاسلام بين جزء كبير من الاتراك .

فان السلطان (ستوق بغرا خان) عمل على نشر الاسلام بعد ان بسط نفوذه على جميع القبائل التركية في وادي سيحون . واصبحت الدولة الخاقانية تهدد الدولة السامانية بعد ان قويت واشتد ساعدها وفعلا استطاع السلطان ايلكخان ناصر الاستيلاء على ما وراء النهر ثم حارب السلطان محمود الغزنوي لسلخ خراسان من املاكه ولكن الحرب انتهت بينهما بالصلح .

وقد كانت هذه الدولة ذات صبغة تركية محضة في كل امورها وشئونها وفي عصرها صنفت كتب كثيرة باللغة التركية منها كتاب (قود اتقوبليك) الذي كتبه يوسف خاص الحاجب (١٠٦٩ — ١٠٧٠) واهداه الى السلطان (ابي علي حسن تابغاج بغرا خان) (قاراخان) وقد احتوى هذا الكتاب باكثر من (٦٥٠٠) بيت ولهذا الكتاب قيمة فلسفية واجتماعية عظيمة فضلا عن قيمته الادبية . وقد ترجم القرآن الكريم لاول مرة الى اللغة التركية في عصر تلك الدولة . ولم تستمر الدولة الخاقانية طويلا رغما عن عظمة قوة حكامها بسبب النزاع الداخلي بين امراء الدولة الذين يؤلفون الهيئة الحاكمة بها ولكن السلطان يوسف قادر خان (١٠١٤ — ١٠٢٠)م استطاع توحيد الكلمة حتى وفاته وعندئذ عاد الانقسام والنزاع الذي استغله الغزنويون وسلاطين السلاجقة فتمكن الخاقان ملكشاه وابنه سنجر من بسط نفوذهما على سمرقند وكشغر ثم انتقل هذا النفوذ الى قرا ختاى التركي الوثنى بعد موقعة عام (١١٤١)م .

(الدولة الغزنوية)

يعتبر مؤسسها (البتكين) وكان مملوكا للملك الساماني عبد الملك واصبح حاجبا له ثم استطاع بمنصبه هذا ان يظهر بمظهر الحاكم الحقيقي للبلاد واستوزر ابو علي القلمي بفضل نفوذه فلذلك كان لا يصدر امرا بدون علمه او مشورته . ولما اراد الملك الساماني ابعاد البتكين عن العاصمة لم يجد وسيلة تساعده على تحقيق غرضه الا بتقليده اكبر منصب حربي في البلاد ألا وهو ولاية خراسان عام (٣٤٩)هـ وقام عبد الملك (وكان منصور بن نوح) وقتذاك باصدار امر له بذلك ولكن (البتكين) لم

يرض عن هذا المنصب فعاد عام ٣٥١هـ وتقابل في الطريق مع جيش ارسله اليه منصور وتمكن (البتكين) من هزيمته ثم توجه الى (غزنة) فقضى على اسرتها الحاكمة وأسس لنفسه دولة تركية جديدة .

بعد موت (البتكين) خلفه ابنه (ابو اسحاق ابراهيم) الذي لم يستطع الاحتفاظ بسلطانه الا بمعونة السامانيين وهكذا اصبحت الدولة الغزنوية امارة تابعة للسامانيين . وعندما مات ابو اسحق ابراهيم اتفق الاتراك على تولية (بلكه تيكين) الحكم ثم تولى بعد وفاته (سبكتكين) زمام السلطة وكان قويا حازما ولذلك يعتبر (سبكتكين) المؤسس الحقيقي للدولة الغزنوية .

سيطر سبكتكين على افغانستان كلها وهاجم الملك (جيبال) الهندي كما ولاه نوح الساماني على خراسان وبذلك ازدادت قوته وثبتت دعائم حكمه . في ذلك الوقت كانت الدولة السامانية آخذة في الضعف والانحلال بينما كانت الدولة الغزنوية تزداد قوة ونفوذا . ولما توفي (سبكتكين) عام ٩١٧م أي بعد عشرين عاما من ولايته ترك لابنائه ملكا عظيما ونفوذا واسعا . ترك (سبكتكين) ولدين اسماعيل ومحمود ، ولكن محمود هو الذي تولى الحكم فكان اعظم ملوك هذه الدولة ومن اكبر حكام الاتراك ومفخرة للاسلام ومن اسمى عباقرة تركستان فقد قضى هذا العاهل العظيم على الدولة السامانية واستولى على خراسان والعراق وخوارزم وانتزع من الخاقانيين ما وراء النهر وانتصر على الهند انتصارا باهرا سبع عشر مرة . واستطاع بفوزه المبين ان يضم الهند الشمالية الى دولة الترك ورفرف بذلك علم الاسلام على سماء الهند بقوة التركستان .

وقد حاز السلطان محمود شهرة كبيرة في بلاد الشرق بين الامم الاسلامية مما دعا وفودا كثيرة من المسلمين المتطوعين من كافة البلاد الاسلامية الى التطوع تحت لوائه للقتال معه ضد اعدائه وحبا في الجهاد والشهادة في سبيل الله وذلك عندما اتسعت فتوحاته وثقلت اعباؤه . فقد اخذت حروبه الصبغة الدينية ولم تكن غايته سوى اعلاء كلمة الله والقضاء على الوثنية وتحطيم اوكارها واصنامها .

ولقد خلد التاريخ بطولات السلطان محمود وسجل في صفحاته المشرقة اسم هذا البطل المسلم فقد احرز اول انتصار لجيش تركستان الاسلامي في الهند . ويذكر بعض مؤرخي الغرب ان السلطان محمود فتح الهند كما فتح اياها الاسكندر الاكبر الا ان فتوحات الاسكندر انتهت بموته ولكن فتوحات محمود وآثارها باقية الى اليوم وخير شاهد عليها الاسلام المنتشر في ارجاء الهند .

ولم يكن السلطان محمود قائدا عسكريا عظيما وفاتحا غازيا مرموقا فقط . بل حاكما حكيما واداريا ناجحا وسياسيا كاملا جمع بين القمة في السيف والقلم فكما كان ضليعا في فنونه الحربية كان أيضا فنانا ماهرا واديبا ، فتح صدره لرجال العلم والادب والفنون يشجعهم معنويا وماديا فاصبحت عاصمة بلاده (غزنين) كعبة لمشاهير الشرق من رجال السياسة والفلسفة والشعر والفلك واللغات الشرقية ومركزا للعلم والمعرفة ومشرقا لاشعة الحكمة والآداب واجتمع عنده الكثير من اعلام المسلمين ونوابغ الترك كالفيلسوف ابي نصر الفارابي مفخرة الاتراك والمسلمين في كل عصر وابي ريحان البيروني والبيهقي المؤرخ ، كما نبغ في عصره وبتشجيعه الكاتبان الشهيران ابوبكر الخوارزمي وبديع الزمان الهمذاني ولزم

بابه الشعراء (العنصري والعسجدي والفرخي وغيرهم من شعراء الفرس كما قصده هوميروس العجم الشاعر المشهور ابوالقاسم الفردوسي صاحب (الشاهنامه)(ه) الذي سجل فيها تاريخ ابطال الفرس نظما (ملحمة) . بسط السلطان محمود سلطانه على بلاد واسعة شملت من ناحية الغرب خراسان واجزاء من العراق وطبرستان ومن الشمال ما وراء النهر وخوارزم ومن الشرق البنجاب كلها وفي الوسط افغانستان .

بعد وفاته عام (٤٢١)هـ (١٠٣٠)م خلفه ابنه محمد ثم خلفه اخوه مسعود . وفي عهد مسعود وجهت اول ضربة شديدة الى الدولة الغزنوية بقيام دولة جديدة في تركستان هي الدولة السلجوقية .

وفي عام (٤٣١)هـ (١٠٣٤)م هزم طغرل بك السلجوقي السلطان مسعود الغزنوي في موقعة حامية دارت رحاها في مكان يسمى (دندان قان) بين مرو وسرخس جنوب تركستان ، واثر هذه الموقعة انتزعت منه تركستان وخراسان وجميع الممتلكات الغربية ولم يبق من دولتهم سوى (غزنة والهند) فقط حتى قضت عليهم الدولة الغورية .

(الدولة السلجوقية)

تنسب الدولة السلجوقية الى سلجوق بن دقاق من بطون قنبوق احدى عشائر (اوج اوروق) من قبائل اوغوز التركية وكان سلجوق قد هاجر من تركستان الشرقية الى تركستان الغربية واستوطن مدينة (جند) على ساحل نهر سيحون مع اتباعه وعشيرته وهناك هداه الله الى الاسلام فانار به قلبه . وكانت الدولة السامانية حينئذ قد بلغت من الضعف حالة لم تقدر معها على صد هجمات الاتراك غير المسلمين الذين كانوا يغيرون على الحدود وينهبون المسلمين وياخذون منهم الاتاوات . ولكن (سلجوق) استطاع ان يرد غارات هؤلاء المشركين وهزمهم ومنذ ذلك الوقت بدأت شهرته في تلك النواحي من تركستان مما جعل قبائل الاغوز تحتمي به وتخضع لزعامته . في تلك الفترة كانت حالة تركستان السياسية في فوضى نتيجة للحروب المتوالية بين الخاقانيين والسامانيين ، وكان من اثر ذلك ان اتيحت الفرصة للسلاجقة لتظهر شجاعتهم وبراعتهم الحربية خاصة وقد استفادوا من مساعدتهم للسامانيين استفادة كبيرة اثناء معاركهم ضد الخاقانيين ولكنهم كانوا يفكرون في انفسهم ويخططون لمصيرهم ومستقبلهم . واثناء ذلك لحق (سلجوق) بربه وترك ابناء اربعة (اسرائيل ، ميكائيل ، موسى ، يونس) ولكنهم اختاروا اسرائيل (ارسلان) زعيما لهم حاملا اللقب الرسمي في البيوت المالكة التركية قديما (يابغو) .

كان تحت امرة اسرائيل عددا كبيرا من الفرسان الاشداء ذوي البأس والقوة ولكنهم لم يستطعوا الثبات امام السلطان محمود الغزنوي الذي جاء الى ما وراء النهر عام (٤١٦)هـ (١٠٢٥)م ودبر خطة بعد تحالفه مع قدرخان ملك الخاقانيين واستطاع ان يأخذ (ارسلان) اسيرا وبذلك تشتت جنده الاتراك فهاجر منهم الكثير الى العراق وآزربيجان مع بعض زعمائهم ولكن اعدادا منهم استقرت في ماوراء النهر تحت امرة طغرل بيك وجقرى بيك وغيرهما من امراء السلاجقة . كان السلاجقة يقضون الصيف في نوراتا ويقضون الشتاء في مراعي خوارزم وقاسوا في معيشتهم المشقة والصعاب من الغزنويين الذين كانوا يريدون القضاء عليهم . وقد استطاع السلاجقة رغم ما لاقوه من متاعب وتعب

ان ينتصروا على الغزنويين في معاركهم التي خاضوها معهم حتى كانت معركة (دندان قان) هي المعركة الفاصلة بينهما . فقد خرج السلطان مسعود الغزنوي بنفسه على راس جيش جرار وافر العدد والعدة للقضاء على السلاجقة ولكن السلاجقة رغم قلة عددهم وعتادهم استطاعوا بشجاعتهم وبسالتهم وبراعتهم الحربية ان يهزموا الجيش الغزنوي شر هزيمة . وتم لهم الاستيلاء على نيسابور . والريّ وبذلك اصبح طغرل بيك بن ميكائيل بن سلجوق على راس الدولة الفتية التركية الجديدة . (الدولة سلجوقيه الكبرى) وسطع نجمها في سماء التاريخ وكانت قافلة جديدة من قوافل المجد والسؤدد التي انجبتها تركستان .

بدأ (طغرل بيك) بعد ان تبوا عرش تركستان يعمل على توسيع رقعة مملكته فاستولى على جرجان وطبرستان ، وقهستان وهمدان واصفهان وآذربيجان وخوزستان حتى وصل الى بغداد في عهد الخليفة القائم بامر الله عام (٤٤٧)هـ (١٠٥٧)م فاجزل له الخليفة الترحاب وامر الخطباء ان يخطبوا باسمه على منابر المساجد في عاصمة البلاد الخلافة وقلده الخليفة زمام السلطة ولقبه بملك الشرق والغرب .

عزز طغرل بيك مكانته عند الخليفة حينما القي القبض على الملك الرحيم ابي نصر الديلمي آخر ملوك بني بويه الذين كانوا قد تغلبوا على خلفاء بغداد ووضعوهم تحت سيطرتهم وفرضوا مذهبهم الشيعي على مذهب اهل السنة . فلم يكن اذاً امام الخليفة الا ان يستقبل طغرل بك استقبال المنقذ العظيم الذي رد الى السنة مكانتها والى الخلافة جلالها وكرامتها . وتطورت الاحوال في صالح طغرل بك اذ تزوج ابنة الخليفة وبهذه الرابطة القوية زاد نفوذه وامكنه ان ينشيء امبراطورية تركية قوية تضمّ اليها كل بلاد الشرق التابعة للخلافة وسطع اسمه بحروف لامعة ، كالنجوم المضيئة في السماء على جبين تاريخ تركستان .

توفي طغرل بك في السبعين من عمره عام (١٠٦٣) وكان عقيما فتولى الامر بعده ابن اخيه (الب ارسلان) فسار على نهج عمه في مواصلة الفتوح وتثبيت دعائم الامبراطورية الاسلامية فاتجه الى مملكة الروم واستولى على شيروان وكرجستان وتمكن من احتلال ارمينيا فكسر بذلك شوكة ملوك الارمن الذين كانوا خاضعين لقياصرة الروم . ثم ضم امارات ديار بكر وحلب الى ملكه وبذلك اصبح الطريق ممهدا امامه الى الاناضول .

ارسل (الب ارسلان) طلائع جيشه الى كل جانب حتى انتهى الى قيصرية وكانت اعظم انتصارات على قيصر الروم في موقعة (ملاذكرد) . كان جيش تركستان في تلك الموقعة خمسة عشر الف مقاتل بينما كان جيش قيصر الروم بقيادة قيصرهم (رومانوس ديوجينوس) يزيد على مائة الف مقاتل وقد انهزم الروم في هذه المعركة شر هزيمة ووقع ملكهم في الاسر ولكن الب ارسلان عامله احسن معاملة ثم اطلق سراحه واعاده الى بلاده سالما في حراسة بعض جنوده . وبهذا النصر المبين والفوز الباهر رفرف علم تركستان على آسيا الصغرى وفرضت الجزية على الروم ، كما كان لهذا الانتصار العظيم اكبر اثر في تاريخ العالم فقد حلت به اعظم كارثة للمسيحية في الشرق وقصم ظهر الدولة البيزنطية الكبرى واصبحت الاناضول وطنا تركيا من جديد اذ تأسست هناك دولة تركية عظيمة دافعت طويلا عن الاسلام ووقفت في وجه الصليبيين سدا منيعا يرد اعداء الله عن النيل منها او

الاعتداء على عزتها وكرامتها . ومعنى (ألب ارسلان) الاسد الابيض وهي كلمة تركية بمعنى بطل او شجاع .

توفي (الب ارسلان) عام (٤٥٥) (١٠٧٢)م فتولى السلطة بعده ولي عهده الخاقان الاعظم ملكشاه الذي سار على خطة ابيه فواصل الغزو والفتوحات حتى وصل شواطئ مرمره واستولى على القدس وطرد الروم من انطاكية واوربا الشرقية ، وضم الشام وحلب الى ملكه كما انضمت اليه البقية الباقية من تركستان التى كانت لا تزال تحت حكم الخاقانيين.

اصبحت الامبراطورية التركستانية في عهد (ملكشاه) اعظم امبراطورية في العالم وقتذاك وذكر اسمه في خطبة الجمعة في جميع المساجد من الصين الى آخر الشام ومن اقاصى البلاد الاسلامية في الشمال الى آخر البلاد اليمن وحمل اليه ملوك الروم الجزية وهم صاغرون . بعد وفاة الخاقان ملكشاه عام (١٠٩٢)م تنازع الامراء على عرشه وبدأت عوامل الضعف تظهر في اركان هذه الامبراطورية الشاسعة ولكن (سنجر) بن ملكشاه استطاع ان يعلن نفسه خاقانا على الدولة وقضى على المنازعات واعاد الامور الى مجراها الطبيعي .

ويعد السلطان (سنجر) آخر السلاطين العظام في هذه الامبراطورية السلجوقية . اذ انه تمكن ان يوحد تحت زعامته جميع البلاد الاسلامية ويدين له جميع الامراء السلاجقة بالولاء والطاعة كما كانوا في عهد ابيه (ملكشاه) علاوة على انه استطاع ان يخضع لحكمه الغوريين والغزنويين والخاقانيين الغربيين والشرقيين بعد ان انتصر عليهم انتصارا باهرا في معاركه معهم . ولكن هذا الخاقان العظيم لم يلبث ان انهزم اخيرا في معركة (قطوان) بجوار نهر سمرقند عام (١١٤١)م أمام الاتراك غير المسلمين الذين يقال لهم (قاراختاى) وكانوا قد أسسوا دولتهم في تركستان الشرقية ونتيجة لذلك فقد ولاية ما وراء النهر. تتابعت النكبات على (سنجر) حتى فاجأه الموت عام (١١٥٨)م فتفككت الدولة وانقسمت اشلاء فقد استقل (خوارزمشاه) بتركستان واعلن قيام الدولة (الخوارزمشاهية) كما قامت حروب داخلية بين الامراء السلاجقة انتهت بقيام دويلات انشأها سلاجقة كرمان وسلاجقة الروم او سلاجقة الاناضول .

ثم ما لبثت ان انتهت ولم يبق منها جميعا غير دولة سلاجقة الاناضول التى مهدت لظهور الدولة العثمانية . التركية فيما بعد . نشأت دول اخرى صغيرة في تلك الفترة كلها من البيوت السلجوقية وتأسست على انقاضها وعرفت بالدول الاشبكية واهمها (الدولة الآرتقية) و(اتابكية دمشق) و(اتابكة موصل) و(اتبكة سوريا) و(اتابكة سنجار) و(اتبكة الجزيرة) و(اتبكة اربل) و(اتبكة آذربيجان) و(اتابكة فارس) و(اتابكة نورستان) و(شاهات ارمينية) وقد ادى بعض هذه الدول التركية الصغيرة خدمات جليلة سامية للاسلام في الحروب الصليبية .

(الدولة الخوارزم شاهية)

ظهر في تركستان اثر ضعف الدولة السلجوقية دولتان تركيتان ، احداهما دولة اسلامية (هي الدولة الخوارزمشاهية) والاخرى غير اسلامية (وهي دولة قارا ختاى) ويعود الفضل الى قيام الدولة الخوارزمشاهية الى الدولة السلجوقية . فقد ولى السلاجقة رجلا شجاعا عادلا من اتباعهم يدعى (قطب الدين انوشتكين) على خوارزم ولقب بخوارزمشاه وقد استطاع هذا بحسن سياسته ان ينال بعض الاستقلال في عهد السلاجقة .

ولما ضعفت الدولة السلجوقية استقل ابناؤه استقلالا تاما بخوارزم بعد وفاته . ثم بلغت دولتهم اوج عظمتها وعزها في عهد (تكش بن ايل ارسلان) الذي كان من اعظم رجال هذه الدولة فقد استولى على خراسان في عام ٥٨٣هـ وعلى الرى واصفهان وما جاورها كذلك . وقضى على الحكم السلجوقي في العراق وخضع له العراق العجمي بما فيه الرى وهمدان . وفي عام (٥٩٣)هـ استطاع ان يلحق الهزيمة بجيش الخليفة الناصر لدين الله عند همدان ، وكان قد طلب منه ان يتخلى عن البلاد التى فتحها ويرتد عنها الى الشرق . وحينما تربع ابنه قطب الدين محمد على العرش استولى على افغانستان من الدولة الغورية كما استولى ايضا على ايران كلها وانتزع ما وراء النهر من دولة (قرا ختاى) وقد امتد سلطان قطب الدين من شواطئ نهر سيحون الى سواحل دجلة . وقد حافظت هذه الدولة على النظم والتقاليد التى كانت مرعية عند السلاجقة وسارت على نهجهم في تشجيع العلماء والنهضة بالعلم نظرا لانها كانت في الاصل فرعا من الدولة السلجوقية الكبرى ، كما كانت قدوة حسنة لملوك الاتراك جميعا .

وكان لهذه الدولة احسن الاثر في خدمة الآداب والعلوم سواء الفارسية او التركية . وقد اتسمت هذه الدولة التى اعتبرت من اعظم الدول في آسيا لما احرزته من انتصارات باهرة بالعدل ونشر المعارف والآداب في مناطق نفوذها . ولكن نهاية هذه الدولة كانت على يد جينكيز خان فاسباب انهيار دولة الخوارزمشاهية كثيرة وقد ذكر صاحب كتاب تلفيق الاخبار بعضا من الاسباب الخفية ونحن اضربنا القول عن ذكرها وانما نذكر بعض الاسباب الظاهرة ، فمنها ما ذكره صاحب كتاب روضة الصفا حيث قال . (ان التنافر والتخالف بين خوارزمشاه والخليفة العباسي الناصر لدين الله كان على اشده حتى حاربه واراد خلعه فارسل الخليفة الى جينكيز خان يحرضه على الخروج على خوارزمشاه والتعرض لمملكته يريد بذلك اشغاله وكسر شوكته ولم يسمع الخليفة كلام العقلاء بوخامة عاقبته فكان بذلك (كالباحث بظلفه عن حتفه) حيث صار سببا لخراب مملكته وانقطاع الخلافة من ذريته . وكلام الخليفة وان تأثر في قلب جينكيز خان غير انه لم يستعجل لما كان بينه وبين خوارزمشاه معاهدة ومصالحة ، واستقبح نقض العهد الى ان وقع من غاير خان حاكم اترار في حقه من الغدر والخيانة

التى لا تليق بمن فيه اسلامية بل لا تصدر ممن فيه ادني انسانية . وبيانه : ان جينكيز لما فرغ من استخلاص جميع ممالك تركستان بعد حروب كثيرة وفي مدة مديدة ولم يبق هناك من ينازعه وصفا له الوقت والحال واجتمع عنده كثير من الاموال اراد ان يستريح من متاعب الحروب وان يقضى بقية عمره بالراحة واللهو وان يعمر البلدان ويرفه الرعايا ببث العدل بينهم وبذل الاحسان وجلب التجار من سائر الاقطار وانه قد سئم من الحروب المتتابعة في الازمنة المتطاولة وكان يهرب عنها باقصى جهده ، ويميل الى جانب الصلح مهما امكنه ولو ببذل الموجود خصوصا مع خوارزمشاه فان بلاده اقرب اليه وهيبته قد تمكنت في قلوب العباد وعساكره قد ملأت السهل والوهاد وهو مع ذلك يحب المسلمين ويعظم شعائر الدين فارسل في حدود سنة ٦١٢ رسلا الى خوارزمشاه يطلب منه المعاهدة والمهادنة وتردد التجار من الجانبين وارسل اليه هدايا غالية وتحفا سامية ومع السفراء محمود يلواج الخوارزمي وعلي خوجه البخاري ويوسف الاتراري فلما تمثلوا بين يديه وبلغوا الرسالة اليه وقدموا الهدايا المرسلة قبل ملتمسه بعد اللتيا واللتى بتدبير محمود يلواج ومهارته فرجعوا الى جينكيز خان مقضى المرام فاستبشر به جينكيز خان غاية الاستبشار وصمم ان لا ينقض العهد ابدا مالم ينقضه الخوارزمشاه ولهذا كان لا يصغى الى كلام الخليفة اصلا ومر على ذلك ثلاث سنين والتجار والزوار مترددين في اثناء تلك المدة آمنين مطمئنين الى ان بدل خوارزمشاه نعمة الله كفرا وتسبب لخراب الديار حيث ارتكب ما لا يرتكبه اخس الكفار . وذلك ان جماعة عظيمة قيل عددهم يبلغ (٤٥٠) من تجار بلاد جينكيز خان قدموا سنة ٦٥١هـ الى اترار وهي بلدة متاخمة لملك خوارزمشاه وجينكيز خان واول بلد يحكمها خوارزمشاه وبها وال من قبل خوارزمشاه كان اولا يسمى (اينا لجق) وله قرابة لخوارزمشاه ثم لقبه بـ(غائر خان) فلما قدم التجار من مسلمي رعايا جينكيز خان ومعهم بضائع غاية في النفاثة وكان بعض من هؤلاء التجار يعرف غائر خان ولا علم له باعطاء هذا اللقب من قبل سيده فخاطبه باسمه الاول اينا لجق لعدم علمه بالمنع فغضب عليه غائر خان وانضم الى ذلك تسولاته النفسانية من الطمع في اموالهم فارسل الى خوارزمشاه قاصدا وهو اذ ذاك بالعراق وقد رجع من حرب الخليفة بنية الرجوع اليه في الربيع الآتي يخبره بان جواسيس جينكيزخان قد قدموا على هذه الديار في زي التجار وحيث ان زوال ملكه كان قريبا امره بلا تردد ولا تفكر بقتلهم جميعا فاغتنم الوالي الخائن ذلك لانه كان اقصى مرامه فيما هنالك فقتلهم عن آخرهم واخذ اموالهم كلها فلم ينج من هذه المذبحة غير واحد فاخبر جينكيزخان بالحادثة المؤلمة . فأرسل جينكيزخان رسالة مع وفد لتلافي الامر قدر المستطاع وهذا الوفد مكون من عدة اشخاص من العقلاء والعلماء المعروفين ببلاطه بالبطولة والمجد يبين في الرسالة ان عامله في الاترار فعل هذه الحماقة وان هؤلاء القتلى لهم الاقارب والورثة فيلزم ارسال ديتهم لايصالها الى اهليهم جبرا لخاطرهم مع ارسال الجاني لينال جزاءه عندهم وامام اعينهم فكان جوابه قتلهم عن آخرهم فغضب جينكيزخان وحلف ان يدمر كل موضع تطأ فيه خيل خوارزمشاه ، فوقع ما وقع من الوقائع المدهشة التى لم ير التاريخ البشري شرا مستطيرا من زحف المغول وقيل ان جميع القتلى في الحروب في ادوار مختلفة وقرون متطاولة لم يبلغ قدر ما قتل في هذا الزحف المشئوم انا لله وانا اليه راجعون) وما لبث ان دارت الدائرة على خوارزمشاه فهرب اخيرا الى جزيرة في بحر قزوين وتبعه جيشه حيث اعتصم بها الى

ان مات طريدا من ارضه .

فتولى بعده الملك ابنه جلال الدين منكبرتي فورث ملكا ضائعا ولكنه قضى عشر سنوات مجاهدا مقاتلا اعداءه متحملا الصبر والعذاب حتى قتل شريدا في قرية من قرى الاكراد .

وكان في مملكة جينكيز قبل زحفه كثير من المسلمين ، وكانوا من اعز رعاياه فيحترمهم ويعظم شعائرهم ولذا جعل دية المسلم اربعين بالشا من الذهب بينما جعل دية المغولي قيمة اتان من الحمار ودعا العارف بالله الشيخ نجم الدين الكبرى للانتقال الى مملكته مع تلاميذه ليسلموا من الكارثة التى ستحل على بلدهم ولكن الشيخ ابي واستشهد وهو ماسك بقبضته من قزعة راس كافر مغولي قائلا هذه الاشعار الفارسية حين شهادته :

ما زان محتشمانيم كه ساغر كيرند

نه ازان مفلسكان كان بز لاغر كير ند

بيكى دست مي خالص ايمان نوشند

بيكى دست دكر برجم كافر كير ند

وبعد شهادته لم يستطع عشرة اشخاص ان ينقذوا المغولي من يد الشيخ الشهيد حتى اضطروا بقطع قوعته وكانت هذه الكوارث العظمى انتقاما للمسلمين المقتولين ظلما في الاترار .

وبعد فراغ جينكيز من اعماله الحربية والقضاء على عدوه عاد الى بلاده وحين مروره الى بخارى طلب من صدر جهان حاكم بخارى ان يحضر العلماء عنده ليناقشوا امامه مناقشة حرة وبدون خوف ووجل ويوضحوا له ما يجب معرفته في الاسلام ومحاسنه وكان يستمع بواسطة ترجمانه الاركان الخمسة من الاسلام فاستحسنه فقال : يجب ان يكون الدين الحق والحقيقة هكذا ، ثم سأل عن صدر جهان هل كان يأخذ خوارزمشاه اعمال الميرية من العلماء فاجاب بنعم فقال : كيف يرجو النصر والظفر بهذه المعاملة فان النصر موقوف على الدعاء والدعاء يقتضى النشاط وفراغ البال بل الى الاحسان والانعام ، ثم امر نوابه بان لا تؤخذ العوائد الميرية من اهل العلم كافة ولما استقر بوطنه الاصلي قسم ملكه لاولاده الاربعة من زوجته الكبرى (باى يجه) وتوفي في ٦٢٤/٩/٤هـ عن ثلاث وسبعين سنة .

اما خليفته (اوكتاى قا آن) استمر على القا آنية الى ان مات سنة ٦٤٣هـ وكان ملكا عادلا شهما محبا للمسلمين والزم على نفسه بتعمير ما خربه ابوه من البلدان وفي ايامه انتشر الاسلام في الصين فالجوامع الموجودة هناك الآن من بناء ذلك العهد فطائفة (تونكان) من الذين اسلموا في تلك المدة وكان قيد بن قاشين ابن اوكتاى يوالي المسلمين ويكاتبهم بواسطة بركه خان ولم تنقطع مراسلته مع الملك الظاهر بيبرس وسائر ملوك مصر الى ان توفي .

واول من أسلم من اولاد جينكيز خان بركه خان بن جوجى خان وهو الذي قضى على هلاكو للخلافة العباسية وسيأتي بيانه مفصلا .

(دولة قرا ختاى)

دولة غير اسلامية في بلاد منشوريا وشمال الصين ولكنها ما لبثت ان تفككت في هذه البقاع وعاد الفارون من فلولها الى تركستان وطنهم الاصلي ولكنهم لم يسالموا اهلها بل اثاروا القلاقل والفتن فما كان من ملك تركستان الخاقاني ارسلان خان الا ان حاربهم عام ١١٣٨م وهزمهم هزيمة منكرة . ولكن آخرين منهم قد عادوا عن طريق الشمال ووصلوا (بالاساغون) في تركستان الشرقية بعد ان اجتازوا سواحل (يتى ساى) وبلاد قبائل القيرغيز واستطاعوا نزع هذه المدينة من ايدي الخاقانيين وجعلوها مهدا لدولتهم الجديدة .

استولى القار اختائيون على كاشغر وختن وغيرها من المدن الهامة فاخضعوا بذلك لسلطانهم الدولة الخاقانية الشرقية . ثم زحفت جيوشهم الى ما وراء النهر وخوارزم وهزموا السلطان محمود الخاقاني ملك الدولة الخاقانية الغربية التابعة للدولة السلجوقية في موقعة (خجند) وفي عام (١١٤١)م تغلبوا على السلطان سنجر السلجوقي في موقعة (فطوان) شمالي سمرقند واضطر هذا السلطان الى دفع اتاوة سنوية الى (قارا ختاى) .

امتد بذلك نفوذ قرا ختاى من بلاد القيرغيزالى مدينة بلخ ومن خوارزم الى صحراء الغوبي . وكانت هذه الدولة تركية قلبا وقالبا ولكنها كانت غير اسلامية كما لم يكن هناك التعاون بين الملك والرعية بالطريقة التى تقوم على المحبة مما ادى الى بعض حركات الانفصال . ففي تلك الفترة قويت شوكة جينكيز خان في منغولية وتغلب على جلوك خان رئيس قبائل نايمان فالتجأ هذا الأخير الى تركستان ثم تزوج ابنة الخاقان واعلن نفسه خاقانا على الدولة بعد ان انتزعت من هذه الدولة بلاد ما وراء النهر بمعرفة خوارزمشاه .

وجد المسلمون فرصتهم سانحة حين انتقص نفوذ قرا ختاى وتقلصت حدودهم وبدأت عواصف جينكيز خان تهز اركان دولتهم ، فانضم المسلمون الى صفوف جينكيز خان ليثأروا لانفسهم علاوة على حسن معاملة جينكيز خان لهم : قامت الحرب بين كوجلوك وجينكيز خان كان النصر فيها للمغول الذين قضوا على دولة (قارا ختاى) واقاموا الدولة المغولية التى حلت محل (قارا ختاى) وخوارزمشاه ايضا معا .

(الدولة المغولية التركية)

تأسست اول الامر في منغوليا فقد كان لجماعات المغول امارات صغيرة من اسرة تنتسب الى قبائل (تغزغز) التركية وهاجرت من تركستان الشرقية الى منغوليا اثر مهاجرة الاويغوريين اليها عام(٨٤٠)م وعندما توفي سابع امرائها (يسوكي) بهادر خان عام ١١٧٥م آلت السلطة الى ابنه (تيمو جين) الذي كان في الثالثة عشر من عمره . كان الفتى (تيمو جين) رغم صغره قوي الجسم فارسا ماهرا حاذقا في رماية السهام ذو عزيمة وبأ س ولكن القبائل رفضت زعامته لصغر سنه وحاول شيوخها التخلص من منافسته فطاردوه كما يطارد الوحش ، ولكنه كان مكافحا سريع الخاطر يسعى الى الوصول الى هدفه حتى تحقق له ما اراد . فقد التف حوله نفر من انصاره الذين اخلصوا لابيه من قبله وظلوا معه حتى اصبح زعيم قبيلة ولم يبلغ العشرين من عمره .

اخذ (تيمو جين) يحارب تارة ويحيك الدسائس تارة اخرى لكي يضم القبائل الاخرى تحت زعامته . فحارب ابن عمه (جاموقا) وتغلب عليه عام (١٢٠١)م تم نشر نفوذه بين جميع القبائل في شرق منغوليا بعد ان تغلب على (طغول خان) صديقه القديم وزعيم قبيلة (ده كرايت) وذلك عام (١٢٠٣)م . وبعد ثلاث سنوات استولى على غرب منغوليا بعد ان شقت قبائل نايمان القوية . وبذا اصبحت جميع القبائل التركية وغيرها في بلاد المغول منضوية تحت رايته قوة واحدة تحت زعامته وذاع صيته في جميع الانحاء .

وفي ذلك العام ١٢٠٦م (٦٠٤)هـ الذي وحد فيه الجميع تحت قيادته عقد مؤتمرا عظيما (قورولتاى) اعلن فيه (قسيس الشامانية) ان السماء خلعت على تيمو جين لقب (جينكيز خان) وقد اصبح اسمه منذ ذلك الوقت وكان عمره اثنين واربعين عاما (جينكيز خان) كان هذا السلطان قائدا يجيد فنون الحرب والقتال ، خبيرا بقيادة الجيوش شديد البطش قليل الكلام كثير التفكير غليظ القلب .

وقد استطاع في مدة قليلة ان يكون جيشا مدربا احسن تدريب ، وزوده باتراك من الاويغوريين والاتراك المسلمين وجلب له من الصين اسلحة جديدة ومعدات حربية علاوة على تنظيمه ادارة قوية منظمة . وفي عام (١٢٠٧)م استولى جينكيز خان على دولة (تانغوث) الواقعة على حدود الصين الغربية وكان الامبراطور كين (امبراطور الصين الشمالية) قد ضمها لملكه قبل ذلك بوقت قريب .

ورأى فيه الاتراك جميعا بطلهم وموحد كلمتهم فانضم له (ارسلان) خان خاقان دولة قارلق التركية المسلمة الواقعة شمال (يني صو) في تركستان وبذلك تكاثرت جموع جينكيز خان وعظم شأنه .

وفي عام (١٢١١)م بدأ هجومه على الصين فاخترق سورها العظيم وتدفقت كتائبه على مدن دولة كين او الامبراطورية الشمالية حتى ا ستولى على عاصمتها (بيكين) وفر الامبراطور الصيني وجنوده . كانت الهزيمة الشاملة للامبراطورية الشمالية عام ١٢١٦م ولم يسترح جيش جينكيز خان بل وجه هجومه الى

الغرب حيث قضى على دولة (قارا ختاى) بعد ان قتل الخاقان (كوشوك خان) عام ١٢١٨م .
بعد هذه الفتوح استراح جينكيز خان بعضا من الوقت ارسل فيه وفدا من كبار المسلمين الى السلطان قطب الدين محمد خوارزمشاه حمل اليه الهدايا النفيسة وطلب منه عقد معاهدة بين الدولتين التركيتين وان يمر التجار للتجارة بين الدولتين واستجاب له خوارزمشاه . ولكن حدث في عام (١٢١٩م) (٦١٥)هـ أن والي بلدة اترار ارسل الى خوارزمشاه يخبره ان تجارا من مملكة جينكيز خان وصلوا لهذه البلدة ولكنهم جواسيس متنكرين في زي التجار فامر خوارزمشاه واليه بقتلهم ومصادرة اموالهم .
وعندما وصل الخبر الى جينكيز خان غضب وكتب الى خوارزمشاه طالبا منه ارسال واليه ليقتص منه وكانت اجابة خوارزمشاه ان اعدم الرسل . وجمع جينكيز خان جيوشه الجرارة وعبر نهر سيحون ولم يجد في طريقه اي مقاومة حتى وصل الى بخارى فدخلها بجنوده في ٤ ذي الحجة سنة ٦١٦هـ فخربوها ودكوها دكا واشاعوا الرعب والفزع بالقتل والدمار فيها . ثم ساروا نحو سمرقند وفعلوا فيها مثل ما فعلوا ببخارى . وبفتح هذه البلاد اصبحت جميع بلاد آسيا الوسطى تحت سيطرة ذلك القائد التاريخي الذي اشعل الحماس في قلوب الاتراك جميعا وبعث فيهم من جديد الحمية للغزو والتوسع . ولم يبق سوى خوارزم شاه نفسه الذي فر هاربا واقام مع بقية من جنده غرب نهر جيحون .
جهز جينكيز خان عشرين الفا من خيرة جنوده لفتح ايران والقبض على خوارزمشاه وعندما احس خوارزمشاه بقدومهم هرب الى مدينة نيسابور ثم الى مدينة مازندران والمغول يقتفون اثره ولم يدخلوا نيسابور وظل خوارزمشاه يهرب من مدينة الى اخرى حتى وصل الى مرسى في بحر قزوين (الخزر) فاحتمى بقلعته وعند ذلك لم تجد الفرقة المغولية بدا من العودة بعد ان يئست منه . ولكن هذه الفرقة وكانت تسمى (التتر المغربة) لم تعد خائبة ، فقد يممت غرب خراسان ثم سارت الى مازندران واستولت عليها رغم شدة تحصينها وتحصيناتها ثم قصدت الى بلاد الرى ففاجأت اهلها واحتلتها وقصدت بعد ذلك الى همدان ولكن حاكمها طلب الامان فامنوه هو ومن معه واستأنفوا مسيرتهم الى قزوين فدخلوها عنوة وصالحوا حاكم اذربيجان (ازبك خان) وواصلوا زحفهم الى تفليس حيث تجمع (الكرج) بعدتهم وعددهم ولكنهم لم يستطعوا شيئا امام تلك الفرقة فهزموا هزيمة منكرة وقتل منهم عدد كبير وكان ذلك عام (٦١٧)هـ في ذي القعدة منه .
في مستهل عام ٦١٨هـ لم تلبث تلك الفرقة التى بلغت قمة الشجاعة والبراعة الحربية ان كرت عائدة بعد ذلك المجهود الجبار الذي بذلته والانتصارات العظيمة التى حققتها ولكنها اثناء عودتها عرجت على (مراغة) فاستولت عليها ، ثم على (اربل) وبعد ذلك عادت الى همدان ثم آذربيجان ومنها الى (دربند شروان) ولم يكتفوا بذلك ولكن شجاعتهم وحميتهم دفعتهم الى الاستيلاء على مدينة (شماخى) عنوة ثم خرجوا منها الى البلاد القبجاق (دشت قبجاق) التى كان يقيم بها كثير من العشائر التركية التى قاتلت قتال الابطال ولكنهم اضطروا تحت ضغط المغول الى ان يتفرقوا في اقطار عديدة ومنهم من توجه الى الشام ومصر ومن الذين حضروا الى مصر المماليك الذين اسسوا فيما بعد دولة المماليك البحرية وكان لهم بها مجدا عظيما وحضارة اسلامية رائعة .

بعد ان تمكنت القوات المغولية كما ذكرنا من دخول البلاد الشمالية تخطوا الحدود الروسية ولكن الروس اتفقوا مع فلول (القبجاق) ان يحاربوا معهم ضد المغول ولكن المغول هزموهم هزيمة منكرة ، وواصلوا سيرهم قاصدين دولة البلغار التركية ، وهنا كانت تقريبا نهاية هذه الفرقة المغولية الشجاعة فقد اعد لهم اتراك البلغار عدة كمائن تمكنوا من اعدادها بدقة من ان يقضوا على عدد كبير من جنود الفرقة المغولية الابطال .

والواقع ان ذكر ما سطرته هذه الفرقة من بطولة خارقة انما لتأكيد حقيقة هامة هي ان فرقة كهذه وهي جزء صغير من قوات جينكيز خان استطاعت تحقيق انتصارات عظيمة وفتح بلاد كثيرة وايضا تدل على مدى اتساع امبراطورية جينكيز خان . سبق ان ذكرنا ان جينكيز خان ارسل تلك الفرقة خصيصا لاحضار خوارزمشاه وقد فتحت في طريقها ذهابا وايابا مدنا كثيرة كما سبق ذكره . اما جينكيز خان فقد اقام بسمرقند حيث بعث بجيش آخر تحت قيادة احد اولاده الى خراسان وافغانستان (فتدفق) هذا الجيش نحو الهند وعبر النهر حيث قصد مدينة بلخ فطلب اهلها الامان فامنوهم ودخلوا المدينة عام ٦١٧هـ واستولى هذا الجيش على مدن كثيرة دون مقاومة حتى اصبح معظم الشرق الاوسط تحت حكم الامبراطورية التركية المغولية التي اصبحت عظيمة الاتساع مترامية الاطراف يحدها من الشرق المحيط الهادي ومن الغرب بلاد العراق وبحر الخزر وبلاد الروس والبلغار ومن الجنوب بلاد الهند وشمالا البحر الشمالي .

مات جينكيز خان عام (١٢٢٧)م (٦٢٤)هـ بعد ان قسم مملكته بين ثلاثة من ابنائه هم (جغتاى خان) و(وجوجى خان) و(اوكتاى خان) وجعل ابنه الرابع (تولى خان) خليفة له على عرش (قارا قورم) وجعل الرئاسة له على اخوته الثلاثة . لم تلبث الأيام ان رفعت نجم اخيه (اوكتاى خان) عاليا فتم انتخابه خاقانا اعظم في مجلس اعيان في اوائل عام ١٢٢٩م . اتبع اوكتاى خان سياسة ابيه فاخضع البقية الباقية من الصين كما ارسل جيشه لفتح اوربا وجعل على رأسه (باتو خان بن جوجى خان) ووضع القائد المشهور (سبوتاى) مستشارا له . وتقدم الجيش نحو روسيا مخترقا الغابات في طريقه حتى ظهر امام مدينة (ديازن) فهدم اسوارها ودك حصونها واستولى عليها في ديسمبر ١٢٣٧م وواصل الجيش تقدمه مكتسحا المدن الروسية حتى استولى على (موسكو) وبعدها فتح مدينة (كييف) عنوة وانقسم الجيش بعد ذلك قسمين ، جيش بقيادة (باتو خان) اتجه نحو المجر والجيش الثاني بقيادة (بيدار خان) اتجه الى بولندا وحقق كل من الجيشين انتصارات عظيمة حتى تقابلا في فيينا في ديسمبر عام ١٢٤١م ورد نبأ موت (اوقتاى خان) وتولية ابنه (كيوك خان) مكانه .

تولى كيوك خان الحكم سنتين ثم مات وبموته اندلعت نيران الفتن الداخلية واشتعلت المنافسة بين اسرتي اوقتاى خان و(جغتاى خان) وكانت نتيجة ذلك انتقال الحكم الى اسرة (مانجو. خان) .

وقد اسس (آلغو خان) امبراطورية مستقلة في هذه البلاد اذ ضم اليه تركستان الكبرى وبلاد افغانستان ، توفي (آلغو خان) عام (١٣٦٥م) وخلفه (قايدو خان) من اسرة اوقتاى خان ثم تولى بعده ابنه (جذيار خان) عام ١٢٦٦ م (٦٦٤) هـ .

انتقل الحكم عام (١٣٠٦ م) الى اسرة (جغتاى خان) السابقة وتولى الحكم منها (رووا خان) الذى اصبح المؤسس الحقيقي لامبراطورية جغتاى .
وفي عام ١٣٢٦ م تبوأ عرش تركستان (طرماشيرين خام) الذي اعتنق الاسلام . ثم اسلم بعد قليل السلطان (توغلوق تيمور خان) واسلم معه (١٦٠٠٠٠) مائة وستين الفا من افراد اسرته وقواده في يوم واحد في كاشغر . ومنذ عام ١٣٤٧ م بدأت هذه الدولة تنحدر الى ضعف وتفكك واصبح الحكم وامور الدولة في ايدي القواد بينما السلاطين في شبه عزلة سياسية واجتماعية وكأن الحكم لا يعنيهم . ظل الحال كذلك حقبة من الزمن الى ان ظهر البطل العظيم والفاتح الكبير (تيمورلنك) فأسس الدولة التيمورية الكبرى .

(الدولة التيمورية)

أسسها تيمورلنك وكان رجلا من ادهى قواد الحرب في تاريخ البشرية على الاطلاق وزعيما من اقدر الزعماء الذين قادوا الشعوب . كان تيمورلنك قوي الجسم بل كان خارقا في القوة ولد في مدينة (كيش)المعروف الآن (بشهر سبز) بطرغانه من ابوين تركيين ينتميان الى قبيلة (برلاس) التركية وكان ابوه يدعى (طرغاى بهادر) ولد تيمورلنك عام ٧٣٣هـ ليلة الثلاثاء خامس يوم من شهر شعبان . في ذلك التاريخ توفي السلطان ابو سعيد خان واصبح (غزاره خان) ملكا ، وعندما بلغ تيمورلنك من السن اثنى عشر عاما بدأ يتعلم فنون الحرب واصبح في السن الرابعة والعشرين اشترك في الحرب الدائرة الى ان اصبح عمره خمسا وثلاثين عاما . وفي عام ٧٧٠هـ صارملكا على اكثر من ربع سكان الارض ودامت مدة حكمه ٣٦ عاما ومات وعمره ٧٢ عاما وشهرا و١٨ يوما وكان ذلك عام (٨٠٧)هـ ودفن بسمرقند .
مات تيمورلنك تاركا ٣٦ ابنا وحفيدا من ذريته وخلفه على الحكم (اميرزاده بير محمد بن ميرزا جهانكير) ومن علماء عصره سيد مير بركه وسيد على همداني وسعد الدين التفتازاني و(مير سيد شريف جرجاني) ومن الشعراء خواجه عصمت الله بخارى ومولانا بساطى سمرقندى ومولانا لطف الله نيسابورى ومن المشايخ السيد محمد بهاءالدين نقشبند بخارى .
(حياة تيمورلنك) ترعرع تيمورلنك في ربوع (كيش) وظهرت عليه منذ صغره مخائل الذكاء والشجاعة حتى كان يعهد اليه بالخيول الصعبة في قيادتها لتذليلها وبرع في صيد الوحوش مع اقرانه الشجعان فكان مثار دهشتهم وموضع اعجابهم وفخرهم بما كان يظهره من براعة في ركوب الخيل ودقة تامة في القنص والصيد .
وكان والده (طورغاى) شيخا لقبيلته ينفق معظم اوقاته في صحبة الفقراء وعلماء الدين المسلمين . اما والدته فقد توفيت عنه وهو صغير ولذلك فلم يلتفت احد الى تربيته وتعليمه ولكنه كان استاذا لنفسه . اغترف من العلم بنفسه واخذ من الحياة دروسا عملية فقد غادر تيمورلنك بلده متوجها الى سمرقند لا يملك الا سيفه ولا يؤنسه في ترحاله سوى خادمه الامين عبد الله وعاش تيمورلنك بين الجنود والابطال الذين احترفوا السيف فانخرط في خدمة الامير (قازغان) نائب الخاقان

فخاض تحت رايته الحروب العديدة واظهر فيها من براعة وقوة شكيمة مارفعه في عين الامير (قازغان) خاصة ماعرف ايضا عن اصله ونسبه .

وجد الامير (قازغان) بخبرته وبعد بصيرته ان تيمورلنك الشاب الجرئ المقدام قد يفيده في المستقبل فزوجه فتاة من نسبه ورقاه الى رتبة مينكباشى اى رئيس الالف وقد تمكن (قازغان) بمعونة تيمورلنك من الانتصار في عدة غزوات خاضها شمالا وغربا . ولما مات الامير (قازغان) حدث تفكك وانقسام في البلاد ولكن الخاقان (توغلوق تيمور خان) كان يراقب الامور من مدينة (اطالق) ولما راى ان الاحداث ساءت تقدم بجيشه فهرب جميع الامراء المتنازعين عدا تيمور لنك الذي اظهر الخضوع واعترف بسلطانه وعندئذ عهد اليه الخاقان الامارة على قبيلة (بارلاس) ورقاه الى رتبة (تومن بيكى) اى رئيس عشرة الآف من الجند .

ولما اقام الخاقان من ابنه (الياس خوجه اوغلان) حاكما على البلاد جعل تيمور مستشارا له غير ان نزاعا حدث بينه وبين وزراء الياس خوجه فجمع تيمور رجاله وثار على رجال الخاقان وكسر شوكتهم .

ولكن الخاقان عندما علم بثورته اصدر امره باهدار دمه ففر تيمور بعد ان انفض رجاله من حوله حتى زوجته تبخرت ثروته ولم يبق له من الدنيا سوى جواده وسيفه . قابل تيمور لنك من الشدائد والاهوال مايعجز اقوى الاقوياء ولكن روحه القوية وهمته المشحوذة وتسلحه بكل صفات الرجولة والشجاعة والعزم القوي جعلته يتغلب على كل ماصادفه من شدة اوضنك . بل وبينما كان شريدا طريدا لايكاد يملك قوت يومه كان يضع خطة ينقذ بها وطنه من ظلم الخاقان واعادة مجد تركستان وكانت تجول بخاطره احلام بفتح العالم كله وعزم تيمور على تنفيذ خواطره ولو كلفه ذلك فعل المستحيل والشاعر يقول (على قدر اهل العزم تأتي العزائم) . وفي اثناء تنقله تقابل مع شقيق زوجته الامير حسين ، وكان هو الآخر فارا من وجه الخاقان وكان ذلك لحسن حظ تيمور لنك اذ وجد في الامير عونا صادقا ونصيرا قويا ، ولو ان الامير حسن كان يعتقد في نفسه انه اكثر شرفا واعظم شأنا ونسبا من تيمور لنك الا ان زواج تيمور من اخته قلل هذا الاعتقاد في نفسه فكان ان اتفقا للوقوف معا امام الخطر الداهم المحيق بهما .

خاض البطلان الحروب معا وقد جرح اثناءها تيمور في يده ورجله فاصابه العرج ولذلك سمي (تيمور لنك) اى تيمور الاعرج . وشيئا فشيئا استعاد تيمور لنك قوته واستمر في حروبه حتى نودي به خاقانا على تركستان الكبرى في جمعية الاعيان التى انعقدت في مدينة سمرقند عام ١٣٦٩ م . وكان عمره وقتذاك ٣٤ سنة .

نظم تيموز لنك شئون مملكته ثم اتجه الى الفتح واستطاع في اقل من عشر سنوات ان يستولى على تركستان الشرقية وخوارزم ، طارد اعداءه اينما كانوا دون هوادة حتى لم يترك لهم راحة او فرصة يستعدون فيها وبذلك وطد اركان مملكته ووحد جميع ولايات تركستان في وحدة سياسية قوية . بعد ان اطمأن تيمور لنك الى توطيد سلطانه وقوة مركزه في تركستان اتجه الى البلاد الواقعة حولها ولذلك تدرج في فتوحاته فاستولى على هرات وما حولها فاتسع ملكه بها فقد كانت تلك البلاد تضم اربع مليون

نسمة ومئات المدارس وثلاثة آلاف حمام وعشرة آلاف مخازن تجاري .

اثناء ذلك التجأ (توقتميش خان) احد امراء القريم الى بلاط تيمور لنك وكان من اتباع اوروس خان خاقان الدولة المغولية الاوربية (دولة آلتون اوردو) فجاء خلفه بعض رجال الخاقان في طلبه من تيمور فرفض بل وشد ازره بجنود من عنده حتى مكنه من العودة الى المملكة التي كان هاربا منها ظافرا وجلس حاكما على عرشها . ولم يحفظ (توقتاميش خان) جميل تيمور لنك وحاول ان يعض اليد التي ساعدته وهو طريد مشرد فطمع في عرش تركستان نفسه وهاجم حدود تيمور في الوقت الذي كان تيمور بجولة في بعض جهات خراسان وعندما وصل النبأ الى تيمور اسرع اليه بجيشه ولكن (توقاميش) هرب فتعقبه تيمور حتى وصل العاصمة (سراى) وفتحها فتمزق جيش (توقتاميش) تجزئة اسرع بالفرار ناجيا بنفسه وجزء آخر من جيشه انضم الى جيش الفتح تيمور .

اتجه تيمور بعد ذلك الى (موسكو) ففتحها وسحق مدينة (دون) واستولى على البلاد الروسية كلها ، ثم عاد الى تركستان عن طريق آخر فقد توجه الى القوقاز واستولى عليها ثم واصل طريقه الى بلاد خراسان فدفعت له الاتاوة اربعة عشر مدينة ودخل عاصمتها سمرقند بعد فتوحات عظمية .

لم يسترح تيمور فقد تقدم نحو بلاد فارس وكانت الاحوال الاجتماعية والسياسية بها لاتبعث على الرضا فقد اتجه ملوكها وامرائها الى ملذاتهم الشخصية وملذاتهم الدنيوية وانغمسوا في اللهو واللعب والعبث وتركوا امور الدولة ولذلك ماكاد تيمور يشرف على اسوار (اصفهان) على راس سبعين فرقة من ابطال تركستان حتى خرج اعيانها يعرضون خضوعهم وطاعتهم . ولكن ماكاد الليل ياتي بظلامه الساتر على جيش تيمور المعسكر خارج اسوار اصفهان حتى اندفع سكانها نحو معسكر الجيش فقتلوا من التركستانيين وهم نيام ثلاثة الآف فيهم كثير من قواد الجيش والزعماء. عندئذ تملك الغضب تيمور لنك فامر كل فرد من افراد جيشه البالغ عدده (٧٠٠٠٠) مقاتل ان يحمل اليه راس فارسي وعلى اثر ذلك وضع تيمور يده على كل بلاد فارس ودفعت له كل المدن الاتاوة وذكر الخطباء اسمه على المنابر .

بعد ذلك تدفقت جيوش تيمور نحو الفرات فانقذ الناس من ظلم السلطان احمد جلاير بعد ان هزمه ، واستولى على بغداد ثم سار صوب الهند وعبر نهر الهند ووصل الى دلهى عاصمة الهند فدخلها فاتحا غازيا وغنم منها من الجواهر والاموال مالايعد ولا يحصى .

بذلك دانت له جميع ربوع آسيا بالطاعة ماعدا بلاد العرب والبلاد العثمانية وسيأتي دور كل منهما فيما بعد . في شهر مايو عام ١٣٩٩ م عاد تيمور بعد حروبه في الهند . وفي يوليو من نفس العام زحف على البلاد العربية فغزا سورية والشام وحارب السلطان (ايلدروم بايزيد) خاقان الدولة العثمانية التركية واسره مع ابنه في ٢٠ يوليو عام ١٤٠٢ م وبذلك اصبحت الاناضول كلها تحت سيطرته ورفرف علم تركستان في سمائها وتوحد الاتراك تحت راية واحدة .

بعد ذلك الانتصار الباهر ارسل سلطان مصر الى تيمور الهدايا والتحف تعبيرا عن طاعتة كما قام بسجن والي بغداد الذي كان عنده وهو ألد أعدائه ارضاء له . أما ملوك أوربا فقد أذهلهم انتصار تيمور وادهشتهم سرعة جيوشة في فتح البلاد فبعثوا اليه يخطبون وده ويتمنون رضاه . فقد ارسل هنرى الرابع ملك انجلترا الذى كان يحارب زعماء الجرمان بعيدا عن عاصمته عاصمة ملكه يهنئه على

انتصاراته العظيمة

كما بعث اليه شارل السادس ملك فرنسا باعجابه وتقديره وحمل له رسل شارك كثيرا من الهدايا كذلك فعل عمانويل امبراطور بيزانطه الذى عبر عن طاعته لتيمور بالهدايا والتحف الثمينة ورفعت السفن الجنوية علم تركستان على صواريها . اما هنري ملك قشتاله في اسبانيا فقد ارسل وفدين الى تيمورلنك احدهما برياسة النتيل (كلافيجو) حيث لحقا به في سمرقند فقدما التهنئة وعادوا الى قشتالة يكتبون عن مشاهداتهم .

ولما رجع تيمورلنك الى تركستان راجع ماقام به نوابه اثناء غيابه وكان ان امر بقطع رؤوس بعضهم كما كافأ الآخرين واثنى على اخلاصهم وحسن ادارتهم ثم امر ببناء قصر جديد حجارته بيضاء مزخرف بالذهب والفضة وسمى هذا القصر (آق سراى) اى القصر الابيض . ومازالت آثاره موجودة في بلدة شهر سبز الذي ولد بها تيمور .

عاد تيمور يحن الى الحرب فجهز جيشا زحف به لفتح الصين ولكن الموت دهمه في الطريق فاسلم روحه بالقرب من مدينة (اترار) في ٨٠٧/٨/١٧هـ ١٧ فبراير عام ١٢٠٥ م وهو ابن اثنين وسبعين عاما ونقل جسده الى سمرقند حيث دفن بها .

مابعد تيمور

اعقب موت هذا الخاقان العظيم بعض الاضطرابات السياسية في البلاد ولكن ابنه (شاهرخ) استطاع ان يثبت سلطانه على معظم ممالك ابيه وكبح ثورة الثائرين من اقاربه . تولى الحكم بعد وفاته (وفاة شاهرخ) ابنه ميرزا الغ بيك)(١) الذي تمكن من المحافظة على امبراطورية تركستان وممتلكاتها من الهند الى العراق .

(حضارة الدولة التيمورية) نشطت في عهد هذه الدولة العظيمة فنون العمارة والبناء واتسعت التجارة وانتشر الامن والسلام والرخاء على اجزائها . وقد اهتم تيمورلنك وخلفاؤه بالاصلاحات النافعة في تركستان فاعتنوا بالزراعة واهتموا بالرى ومهدوا الطرق وامنوا السبيل . وقد افتخر تيمور في نظاماته (توزوكات) وهي اسم الكتب التى كتبت عن احواله ، بانه اعاد الامن الى ربوع آسيا بحيث اصبح ان يسير الصبى الصغير بكيس من الذهب من شرق البلاد الى غربها آمنا مطمئنا كما عنى تيمور بتأسيس المدارس والمساجد والمراصد والمكتبات وانشاء المصالح والمصانع والمستشفيات . وتقدمت الفنون الصناعية بانواعها وازدهرت التجارة فكانت المنتجات ترد من البلاد القاصية من الشرق الى الغرب والشمال والجنوب واصبحت تركستان التى ازدحمت بساكنيها مركزا هاما لتجارة الشرق .

(١) الغ بضم اللام مع الالف وسكون المعجمة اسم لعدد من امراء المغل اشهرهم (محمد طاغاي) المعروف بالغ بك بن شاهرخ بن تيمور المتوفي عام ٨٥٣هـ وهو العالم الرياضى الذي بنى مرصدا في سمرقند ، ولد عام ٧٩٦هـ وتميز الغ بك هذا بتوفره على الدراسات الدينية والتاريخية والادبية والعلمية والفنية وشارك فيها بالبحوث والتحقيقات والتاليف فضلا عن تشجيع الحركة العلمية .

وقامت القصور الشاهقة والرياض الناضرة فكانت تركستان في قمة المجد والشهرة والرخاء في عهد تلك الدولة . ولم تشغل الحرب تيمور كما تقدم ذكره عن العلم فقد كان ابناؤه واحفاده مثل (شاهرخ) واولوغ بيك ، حسين بايقرا ، خليل سلطان بابرشاه .) مهرة في العلوم والرياضة والهندسة والفلك وقد بنى الغ بلك وهو حفيد تيمور مرصد سمرقند . واليه ينسب الزيج الجديد (زيج الغ بلك) وترجم الاوربيون كثيرا من كتبه واستفادوا من ابحاثه ودراساته .

وقد ازدهر الادب والفنون في عصر الدولة التيمورية ازدهارا عظيما فقد اعتنى بنو تيمور بالكتب والكتاب ونظموا الشعر واجادوا (فالسلطان حسين ميرزا بايقرا) كان شاعرا مجيدا علا فيه قدره وفاق شعره التركي كثيرا من شعراء عصره ، وقد كتب ايضا بعض اشعاره باللغة العربية . وله كتاب (مصارع العشاق) .

يقول الدكتور عبد الوهاب عزام بك رحمة الله عليه والذي تولى عمادة كلية الاداب بالجامعة المصرية سابقا (ان بني تيمور كانوا في اساليب حياتهم يشبهون امراء اوربا الحاضرة المعاصرين ا امراء فرنسا في القرن الثامن عشر ، وكلهم كانوا في الادب اساطين واعظم اثرا كان (شاهرخ وال بك بايسنقر والسلطان حسين محبين للكتب يعنون بالاجادة في نسخها وتذهيبها وتحليتها فهم لا يقلو عن معاصريهم (دوقات وبرجندي)ولا يقاس بهم عشاق الكتب في ايطاليا خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر وكان بايسنقر والسلطان حسين في ايران كما كان موريس في انجلترا ، اذ انهم بع اربعة قرون لم يكتفوا بجمع الكتب بل خلقوا فنونا لها ولا يمكن ان يقاس بالكتب الشرقية في ذلك العصر اجمل ماعرفته اوربا من الكتب وكان بايسنقر مولعا بالفنون الكتابية خاصة ولذلك نشأ في رعايته اجمل الاساليب في صناعة الكتب وكان من اعاظم المولعين بالكتب في العالم كله فكان يعم بامره وتشجيعه اربعون صانعا وكاتبا ماهرا في نسخ الكتب ، وبلغت العناية بالورق والتصو والتجليد حدا لا يعرف نظيره اليوم ووضع في قصورهم من السلاح والدروع والادوات والآنية المحلا بالعاج ما لم تعرفه مثله في الاقطار الاخرى وقد نبغ في هذا العصر كثير من الكتاب والمؤلفين . وقد ع المؤرخ خواند مير في كتابه (حبيب السير) زهاء مائتين من الكتاب والمؤلفين في ذلك العصر

وقصارى القول ان عصر تيمور لنك وابنائه كان ازهر العصور للعلوم والفنون والصناعة والزراعة وفي ذلك العهد تقدمت اللغة التركية تقدما باهرا وانجبت تركستان اعظم شعراء الاتراك واكبر ادبائه وهو (امير عليشير نوابي) الذي اجمع المؤرخون على انه كان من الافذاذ الذين تزين بهم تاريخ الاسلام .

(نهاية الدولة التيمورية) ـ بدأت نهاية هذه الدولة عند ماحدث انقسام ونزاع بين زعمائها فاشت الاضطراب ، وانتهز محمد ظهير الدين بابر احد احفاد (تيمور لنك) الفرصة فاستقل بالهند وأسس بها دولة تعد من اعظم الدول في تاريخ الاسلام وقد سيطرت على الهند كلها حتى عام (١٨٥٨ (١٢٧٥) هـ حيث استطاع الانجليز اغتصابها من ابناء تركستان وبذلك زالت دولتهم بها . اما في تركستان فقد قامت الدولة الازبكية مكان الدولة التيمورية .

الدولة الازبكيـــــة

هذه الدولة حفظت مجد تركستان وعظمتها بعد الدولة التيمورية ولكن ملوكها كانوا محبين للسلام ولا يميلون للحرب الا اذا اكرهوا عليها وكان اعظم ملوك هذه الدولة (السلطان ابو الفتح محمد شيباني خان) او شاياباق خان وابن اخيه السلطان عبيد الله خان وكانوا من اسرة جينكيزية .

(الامة التركية في القرنين ١٥ و ١٦ م)

يعد القرن الخامس عشر واوائل القرن السادس عشر من ازهى العصور التي تبوّأت فيها الامة التركية اوج عظمتها فقد امتدت فتوحات العثمانيين شرقا كما امتدت الى فينا غربا . وكان النصر كذلك حليف التركستانيين فقد امتد سلطانهم في الجنوب الى خليج البنغال في الهند .

وفي عام واحد (١٥٢٦م) خدمت الاقدار كلا الجانبين من الامة التركية فقد استولى العثمانيون بعد موقعة موهاش على الارض المتاخمة لنهر (طونا) في الغرب كما استولى التركستانيون بعد موقعة (بانيبات) على الاراضى المتاخمة لنهري الهندوس والكنج وبلاد الهند الوسطى في الجنوب .

اما في الشمال فقد بسط الاتراك القازانيون نفوذهم وسلطانهم على بلاد الروس . وقد تحدث المؤرخ الفرنسى الشهير تولوريس عن جلال ذلك العصر التركي الزاهر الباهر بعبارة موجزة فقال (ان القرن السادس عشر الميلادي عصر ازدهار للاتراك حيث اسسوا امبراطورية عظيمة اوسع من الامبراطورية العربية وامبراطورية الا سكندر تمتد من بحر ادرياتيك حتى نهر كنج وخليج البنغال ومن شمال روسيا حتى بلاد العرب وفي قارة افريقيا حتى الصحراء .

وحقا فان ذلك العصر لم يكن له مثيل في جميع العصور التي مرت على الدول التركية الاسلامية سواء من (ناحية) التفوق السياسى او المقدرة العسكرية او الثروة الاقتصادية وكذلك النهضة الادبية الصناعية والعلمية . وقد تلألأ في سماء تلك الحقبة من الزمن كواكب مشرقة من الشخصيات الفذة الممتازة والعظماء العباقرة الذين كانوا مفخرة للاتراك على الدهر كله فهناك السلطان سليم الاول والسلطان سليمان القانوني والسلطان محمد ظهير الدين بابر والسلطان جلال الدين الاكبر والسلطان ابو الفتح محمد شيباق خان والسلطان عبيد الله خان والسلطان عبد الرشيد خان . وكان هؤلاء السلاطين العظماء خير عنوان لمجد الامة وعزتها ليس فقط في الملك والسياسة والكفاءة العسكرية بل كانوا ايضا السابقين في حلبة البيان والبارزين في ميدان الشعر والنثر ولازالت مآثرهم الادبية الخالدة منقوشة في سجل التاريخ بحروف ذهبية لا تمحي .

فهذه سيرة بابر (بابرنامة) ودواوين الملوك الآخرين تخلد عبقريتهم وتناجينا بافكارهم السامية .

ولم يكن التفوق قاصرا على الملوك فقط بل كان هذا العصر غنيا بعظماءوابطال من عامة الشعب مثل على شير (نواي) و (فضولى) من صفوة اعلام الادب التركي و(سنان باشا) من خيرة رجال

المعمار ، وطرغود وخير الدين بربروسا من ابطال البحرية البارزين . كما ان الاتراك تربعوا على عرش الخلافة الاسلامية (١٥١٧م) ، ورفعوا لواءها واصبحوا زعماء الامة الاسلامية كلها وقادة العالم الاسلامي كله والتف حولهم المسلمون بقلوبهم حيث وجدوا فيهم معقد رجائهم وقبلة امانيهم وقد احاطوا السلاطين بالحب والاكبار فتوحدت الكلمة واجتمعت القلوب بعد تفرقة . وكذلك نستطيع ان نسجل انها اكبر ظاهرة في تاريخ ذلك العصر وتلك الخلافة الاسلامية ان نفوذها لم يقتصر على ميدان السياسة والحرب والنفوذ الدولي القوي بل كان المسلمون في انحاء الارض يدينون لها ولسلاطينها بالطاعة والولاء باخلاص وحب ووفاء .

(ضعف الامة التركية

اصاب الامة التركية في تركستان ما يصيب الامم القوية عندما تتسع اطرافها وتزداد ثروتها فيعمد كبراؤها الى الترف واللهو ويلتمسون سبل النعم تاركين حياة التقشف فتجذبهم ملاذ الحياة واطايب العيش وقد انخدع الاتراك بالحياة بعد ان اقبلت عليهم فخدعتهم ببريقها وانساقوا وراء الشهوات وهاموا هياما شديدا بالملذات فاصبحوا نياما في غيهم حتى ذهب ريحهم ونخر السوس كيان دولتهم فسرعان ما كان دمارهم وتشتيت ملكهم وقوتهم بانحلالهم . (عوامل الضعف) بدأت عوامل ضعف هذه الامة منذ القرن السادس عشر نفسه .

وكانت الظاهرة الاولى من اضمحلالهم ان الدولة القازانية انعكست آيتها وقلب الزمان ظهر المحن لها فاصبحت تابعة لروسيا بعد ان كانت حاكمة لها وصار كبارها مقودين بعد ان كانوا قادة ومسودين بعد ان كانوا سادة ومنذ ذلك الحين بدأ الروس يعدون العدة لتثبيت دولتهم وبسط سلطتهم فتوجهت جيوشهم بوحشية بربرية زاحفة نحو الشرق لاخضاع تلك البلاد الاسلامية الشاسعة والقضاء على سكانها الآمنين المطمئنين وفعلا وصلت هذه الجيوش حتى اقصى حدود تركستان الكبيرة بعد ان استولوا على كل مدن هذه المملكة .

وما كان للروس او لغيرهم جرأة على تدنيس هذه الاراضى الاسلامية الطاهرة لولم يكن التركستانيين انفسهم السبب في ذلك لتفككهم وانشقاقهم وانعدام الالفة والوفاق التى كانوا يمتازون بها من بينهم وتمزق شمل دولتهم الى ولايات تستقل كل منها عن الاخرى مما قضى على روحها المعنوية واضعف معنوياتها القومية ، واصبحت كلها لقمة سائغة للروس الذين كانوا قبل ذلك بقليل محكومين لهم . وكانت تركستان اذ ذاك مقسمة الى الدويلات الآتية .

(١) الدولة الازبكية فيما وراء النهر . (٢) ولدولة بنى يادكار في خوارزم . (٣) دولة بنى بلك قوندى في الشمال الغربي وسيبيريا وتسمى هذه الدولة ايضا (خانات سيبيريا) (٤) دولة امراء مانغيت - نوغاى في غربي ولاية قزاقستان وتمتد من بحيرة بالقاش الى نهر ايدل . (٥) دولة سلاطين نازاق في الشمال الشرقي - لقازاقستان . (٦) دولة بنى جغتاي (روغلات) في تركستان (الشرقية) وولاية بنى صو .

ولذلك ماكادت روسيا تشعر بتصدع ذلك البناء العظيم وانقسام الكتلة التركستانية اشلاء متناثرة في شكل دويلات وممالك صغيرة حتى ظهرت منهم انياب الذئاب ومخالب النسور وطمعوا كما ذكرت سابقا في هدم ذلك البناء العظيم وانقسام الممالك والقضاء على صرح الاسلام في هذه الديار والدولة التليدة .

(بدأت روسيا بدولة (بنى قوندى) التي كانت تحكم سيبيريا والشمال الغربي من تركستان فاغارت عليها واستعد الملك كوجم خان للدفاع عن بلاده فجمع الجند واقام استحكامات على سواحل نهر (ايرتيش) تحت جبل (جواش) وولى قيادة الجيش احد اقاربه (محمد قل) ظهر جيش الروس ووقع اول قتال بين الفريقين قريبا من نهر (ايرتيش) . وقاتل جيش محمد قل قتالا رهيبا وابدى من البسالة والاقدام ما هو معروف عن طبيعة الاتراك ولكن الروس كانوا يقذفون الى المعركة الوف مؤلفة من الجند فاستطاعوا بكثرتهم الساحقة ان يفوزوا في هذه المعركة . ثم دارت المعركة الثانية على نهر (ايرتيش) واشتد لهيب القتال وخرج (كوجم خان) من الاستكامات ليراقب الحالة بنفسه فوق جبل (جواش) وفوض امر القتال الى (محمد قل) .

استولى الروس على بلدة (انيق ميرزا) بعد معركة سالت فيها دماؤهم انهارا وسقط عدد كبير منهم ما بين قتيل وجريح ثم هاجموا الاستحكامات وزاد القتال شدة وجرح في المعركة الامير محمد قل فحمل الى الضفة الثانية من نهر ايرتيش وبذلك استطاع الروس عبور الاستحكامات ثم الاستيلاء على البلاد واحدة اثر الاخرى بعد حروب تشيب لهولها الولدان وتقشعر لذكرها الابدان ، واخيرا استولى الرو س على مدينة (المسكو) عاصمة كوجم خان وذلك في ١٠/٢٦/ ١٥٨١م وكان كوجم خان قد مضى الى (ايشيم) حاملا معه امواله وجواهر .

لم يستسلم اهالى البلاد ولكنهم ظلوا يقاومون بقيادة محمد قل فاذاقوا الروس الامرين وابدوا بسالة وقاموا بالدفاع ما يفوق الوصف حتى اسر الروس محمد قل وحملوه الى مسكو وحملوا معه ماغنموه من تحف ثمينة وكنوز عظيمة واموال تفوق الحصر . ولكن كوجم خان تولى قيادة اعوانه بنفسه واظهر شجاعة وافرة وبسالة نادرة دفاعا عن ارضه ومحاولا استرداد مجد بلاده حتى مات شهيدا . وقد ضرب المؤرخ الانجليزي (هورث) المثل لدفاع ابطال الاتراك ووقوفهم وقفة الاسود الغاضبة ضد عدوهم المستبد الجبار بموقف الهنود الحمر ضد مستعمري بلادهم ، ويدل على صدق وطنية كوجم خان) وعزة نفسه خطابه الى سفير الروس يرد به على دعوته الى قبول العيش في ظل الحماية الروسية حينما رآه يهيم على وجهه مع بعض حاشيته وجنده في الصحراء بين القتلي وقد فقد احدى عينيه ، لقد كان رده (انني لا اقبل عيش الاسير ولا موت الذليل ولا احزن لفقد اموالى وانما الجدير بحزني والمى هم اولئك التعساء الذين يعيشون تحت نير الطغيان الروسي .

واستمرت الحرب بين الروس والاتراك في هذه المنطقة وحدها اكثر من نصف قرن وتجلى صدق (قتيبة بن مسلم الباهلى البطل الاسلامي حينما قال (ان التركي احن الى وطنه من الابل الى معاطنها) ولم تنقطع الحروب بوفاة كوجم خان الذي توفي عام (١٦٠٠ م) بل استمرت ملتهبة حامية على ابنه (علي خان) الذي قاتل حتى اسر .

وانتقلت القيادة الى اخيه (ايشيم خان) الذي ابدى من الشجاعة والبسالة ما سجله التارخ بمداد من الفخر .

كان لهذه الحروب المتوالية والمقاومة العنيدة الباسلة اثرها على الروس الذين اتعبتهم هذه الحروب الطويلة والغارات المتتابعة عليهم فانقلب الحال عليهم وبدأت الهزائم تتوالى عليهم في كل المعارك ثم تقهقروا ونكصوا على اعقابهم اخيرا عائدين الى بلادهم . ولكن التركستانيين لم ينعموا بالنصر في الشمال الغربي اذ اخذت طائفة القلموق تجتاح تركستان من الشمال الشرقي واندفعت جموعهم كسيل من الدمار واصبح جنود تركستان الشمالية بين نارين تصفية حروبهم ضد الروس غربا ومحاولتهم وقف قبائل قلموق شرقا . وبينما كان ذلك يحدث في تركستان الشمالية كان النزاع الداخلي يفتك بالتركستان الجنوبية . في تلك الفترة انتقل الحكم في تركستان الشمالية من الاسرة الازبكية الى الاسرة الاشترخانية وهم وان لم يكن قد اتحدوا فيما بينهم الا انهم ظلوا يدافعون عن وطنهم ويبذلون المهج والارواح حفاظا على ديارهم واظهروا شجاعة فائقة امام غارات القلامقة الذين جاءوا من الشرق وابدوا بسالة كبرى ضد الروس الذين جاءوا من شرق اوربا . كذلك كان النزاع قويا في تركستان الشرقية بين الاسرة المالكة والعلماء فقد انتقل زمام الملك من ايدي آل جغتاى الى اسرة (مخدوم اعظم آفاق خوجم) زعيم العلماء .

علاوة على ذلك فقد ظهرت مصيبة جديدة لتزيد من المتاعب والاخطار الجسيمة والمصائب الفادحة التى حلت بالاتراك اذ اغار الفرس بقيادة نادر شاه من الجنوب واقتحموا البلاد وبذلك اصبحت تركستان كلها تحت رحمة الاخطار من جميع جهاتها . ولكن التركستانيين لم يتحدوا فيما بينهم ولم يكونوا جبهة قوية متحدة توحد جهودهم وتجمع شملهم ولكنهم كانوا يدافعون متفرقين كل امير بجنوده وكل حسب خطته . ولم يطل هجوم الفرس ولكنه كان سريعا مدمرا كالزلزال عاتيا كالبركان وترك اثرا سيئا اذ زاد البلاد تمزيقا وتفرقة وانحلالا . فقد انتقل الحكم من ايدي الامراء الى ايدي رؤساء العشائر فكثر عدد الحاكمين وقل عدد المحكومين .

وانتقل حكم ماوراء النهر من ايدى الاشترخانيين الى ايدى امراء منغيت . عندما راى الروس ان الخطر الجنوبي قد زال بوفاة نادر شاه في ايران عام (١٧٤٧)م وان القلموق ايضا قد انهزموا امام الصين سقط في ايديهم ودب الذعر في قلوبهم فبدأوا يحصنون مواقعهم ويبنون القلاع في الارض التى احتلوها من اراضى تركستان .

كما بدأ التركستانيون ايضا يعدون عدتهم ويجهزون انفسهم لاجلاء العدو الغربي الروسى عن ديارهم .

ولكن الصينيين جيران تركستان من الشرق ما كادوا ينتهون من حربهم مع القلموق ويروا التركستانيين مشغولين بالقتال مع الروس في الغرب وهم غير متحدى الكلمة فقد انتهزوا الفرصة واغاروا على تركستان الشرقية ولذلك فقد اصبح التركستانيون مرة اخرى بين نارين ولكنهم ثبتوا اقدامهم في مواضعهم ووقفوا ضد العدوين بما عرف عنهم من بسالة واقدام وهكذا كانت الحرب سجالا بين العدوين كل في جهته من ناحية وبين التركستانيين من جهة اخرى .

لم تقف كوارث الامة التركستانية عند هذا الحد اذ ظهر لهم خطر جديد تمثل في الانجليز .
فعندما بسط الانجليز نفوذهم على الهند وحاربوا الافغان عام ١٨٣٩ م بدأ تهديدهم لامارة بلخ وامارة قندز وبقية الامارات الجنوبية من تركستان كما ان الروس عززوا جيوشهم واتجهوا بخطوات واسعة حتى وصلوا الى الموطن الاوسط لنهر سيحون . وفي ذلك الوقت كانت تركستان تنقسم ثلاثة اقسام اصلية هي ١) امارة خوقند . ٢) امارة بخارى . ٣) امارة خوارزم (خيوة) بخلاف حكومات وقبائل التركمان التى كانت تتبع اسميا فقط امارة (خيوة)
(امارة خوقند) بدأ الروس زحفهم على امارة خوقند فحاصروا مدينة (آق مسجد) واستمرت الحرب بين الروس والمدافعين عن المدينة حربا قاسية عنيفة حتى تمكن الجنرال (بيروتسكي) في ١٧ ديسمبر عام ١٨١٣ م من الاستيلاء عليها بعد قتال دام زمنا طويلا ومحا اسمها وسماها باسمه .
ولكن جنود (خوقند) لم ييأسوا فقد قامت فصائلهم بقيادة الوالى يعقوب بك (ملك تركستان الشرقية فيما بعد) بحملة عنيفة على قوات الروس واظهر يعقوب بك من البراعة الحربية ما استطاع بها وبشجاعة جنوده وبسالتهم ان يهزموا جنود الروس شر هزيمة في مواقع كثيرة وغنموا غنائم كثيرة من مائة قرية . ثم صد يعقوب بك الهجوم الذي قام به الكولونيل الروسى (بلاد امبرج) في يولية ١٨٥٨ م ، وفي العام الثاني قاد الجنرال (بيروفسكى) الكونت بيرفسكى فيما بعد حملة ثانية تقدمت بحذر شديد وبطء مما كبدهم كثير من الارواح حتى وصل الى (آق مسجد) التى كانت حاميتها تتألف من خمسمائة مقاتل وثلاثة مدافع وقد قتل والي الحصن (محمد على) والجزء الاكبر من رجاله دفاعا عن الحصن ولم يأسر الروس سوى ٧٤ اسيرا معظمهم من الجرحى .
وتمكن الروس من صد الجيش المرسل من خوقند بقيادة البكباشي قاسم بك لاستعادة الحصن بعد تكبد خسارة فادحة . وفي عام ١٨٦١ م استولى الروس على قلعة ينكى قورغان ، وفي عام ١٨٦٤ م احتلوا مدينة (يسه) المشهورة بمدينة تركستان ثم احتلوا مدينة (الاوليا اتا) وفي سبتمبر من نفس العام استولوا على (جيمكند) وحاصروا مدينة طاشقند اكبر مدن تركستان بعد حروب دامية ومقاومة عنفية وكان الجيش الروسى بقيادة الجنرال (تشرنايفه) . ثم استطاع الاتراك بقيادة الامير البطل (عليم قل) القائد العام لقوات امارة خوقند ان يرد الروس اعقابهم ويهزمهم في عدة مواقع واجلاهم عن طاشقند . لكن الروس عادوا ثانية بعد ان جهزهم وضبطوا صفوفهم لمحاصرة طشقند فتقدموا واستولوا على قلعة (نياز بك) التى تبعد عن طاشقند ٣٥ ميلا تقريبا من الشمال الشرق وفي ٢٦ ابريل عام ١٨٦٥ م ثم قطعوا المياه التى تجري في الجداول والانهار لتسقي اهل المدينة مما اثر في حياة الناس .
ورغم عوامل الظمأ وشدة الحاجة الى الماء فقد ثبت المدافعون عن المدينة في مواقهم . ثم استطاع الروس ان يتقدموا ثمانية اميال دافع فيها الاتراك عن كل شبر منها دفاع الابطال الاقوياء وقاد الحملة البطل العظيم الامير (عليم قل) وباشر بنفسه قيادة المدفعية ولكنه ا ستشهد في سبيل الله والوطن في ٩ مايو عام ١٨٦٥ م . فدب اليأس في قلوب جنوده بعد ان امتلأت نفوسهم بالحزن . تمكن الروس من الاستيلاء على قلعة زنكى اتا ثم حاصروا طاشقند وتمكنوا بعد ذلك من دخولها .

ويسجل التارخ بكل فخر واعزاز ان الاتراك رغم ما الم بهم من فواجع وآلام وما ذاقوه من العطش والجوع فانهم لم يتخاذلوا ولم يستسلموا ولم يتزحزحوا بل صمدوا صمود الجبال الشماء وحاربوا بالمدى والحراب والايدى في طرقات طاشقند وازقتها ودروبها فليس هناك ابلغ من شهادة القائد الروسى الجنرال (تشر نايف) والخير (ماشهدت به الاعداء) فقد قال متحدثاً عما شاهده بعينه في هذه المعركة (ان المدينة كانت مستعدة باكياس الرمال في شوارعها وكانت المقاومة عنيفة جدا وقد مات كثير من الناس وهم يهاجمون جماعات او منفردين بشوارع المدينة يناضلون بفئوسهم ومعاولهم ولم يستسلموا بل ماتوا على اسنة الرماح وراى جنودنا الروس الذين اجتازوا الشوارع مقاومة عنيفة ومقاتلة شديدة ولم نبسط ايدينا على مجتمع اوناد الا بعد ان سبحت جنودنا في (بحار) من الدماء . هذه هي شهادة عدو الله وعدو الامة التركية الجنرال (تشرنايف) فاتح طشقند التى تدل على بطولة الاتراك ومقاومتهم للعدو ودفاعهم المستميت عن دينهم وارضهم . وبسقوط طاشقند في انياب الروس واستيلائهم على نصف امارة خوقند اضطر اميرها (خدا يار خان) ان يدخل في حماية الروس .

(امـــارة بخارى)

لما ضايقت روسيا امارة خوقند واصبحت نهايتها قريبة فطن الامير مظفر الدين خان امير بخارى الى عاقبة تأخره عن مساعدة جارته امارة خوقند . وكانت خوقند سابقا في شبه تبعية لامارة بخارى وكان امراؤها في صداقة مع بخارى ولكن اميرها (مله خان بن ناربوته خان) خان خوقند عصى امير بخارى مظفر الدين ، واستولى على ولاية (اوراتيفه) وتعدى لولاية ويزح ثم ظهر شقاق بين شعب خوقند وقتل اميرهم (ملة خان) فتولى الامارة اخوه خدا يار خان . وبعد ذلك توجه الامير مظفر الدين امير بخارى بجيشه الى (اوراتيفه) وهزم حاكمها (رستم بي يوز) وفتحها ثم حاصر خوقند وفتحها وعندئذ سلم خدا يار خان نفسه للامير مظفر الدين .

لكن الامير مظفر الدين اجاب اهل خوقند الى طلبهم وولى خدا يار خان على خوقند مرة اخرى . وعاد هو الى بخارى ومعه المدفعين اللذين كانا في خوقند وساعة كبيرة كانت معلقة على باب قلعة خوقند فامر بوضع الساعة على باب قصر بخارى وظلت موجودة حتى عهد امارة السيد الأمير عالم خان ابن عمي الامير عبد الاحد خان .

وبعد سنتين من تلك الاحداث قامت ثورة في خوقند مرة اخرى ضد خدا يار خان وانزل من الحكم فتولى السلطان مراد خان وسافر خدا يار خان الى سمرقند التى كان يحكمها (الله يار بيك بروانجى ، من طرف امير بخارى وطلب من حاكمها اعتباره لاجئا ولما استأذن الحاكم من امير بخارى في ذلك وافق على اقامته بسمرقند وامر بصرف مصروفات له . ثم جهز الامير مظفر الدين جيوشه

وتوجه لفتح خوقند بعد ان مر بسمرقند واخذ معه خدا يار خان وذلك بعد سنتين من التجاء خدا يار خان بسمرقند فتح الامير مظفر الدين خوقند وولى عليها خدا يار خان اميرا لها . وفي اثناء ذلك تمرد شرق بخارى وجنوبها على الامير مظفر الدين وكان الوقت شتاء والبرد شديدا والطريق في هذا الفصل شاقا ومتعبا ولكنه سار على راس جنوده الى شرق بخارى حيث قضى على الفتنة بعد قتال شديد دام عدة ايام . وفتح البلاد وقتل كبار المجرمين والمعارضين منهم ولكن بعضهم فر الى افغانستان والتجأ باميرها عبد الرحمن خان ثم توجه الى جنوب بخارى وحاصرها مدة شهرين وانتهى الامر بالصلح وعاد الامير مظفر الدين الى العاصمة بخارى . في تلك الفترة استولت روسيا على ولاية تركستان وفتح الجنرال (جرنايف) القائد الروسى طاشقند كما ذكرنا من قبل . فقام الامير مظفر الدين بتولية (شير على بي اناق) حاكما على سمرقند و (الله ياربيك ديوان بيكى) حاكما على ولاية ويزخ وترقب هو مع جنوده في ساسيق كول على نهر سيحون ومشهور باسم (دريای سير) قدوم الروس .

واثناء ذلك قام جنود من الروس من طاشقند فوصلوا الى (جناس) ففاجأوا حاميتها التى هربت وتفرقت بدون قتال ولما علم بذلك الامير مظفر الدين عاد الى سمرقند ثم الى بخارى لكي يستعد ويجهز جيشه للحرب ولكن الروس عبروا نهر سيحون وهاجموا ولاية (ديزخ) ودخلوها عنوة بعد ان دافعت حاميتها بقيادة حاكمها (الله يا ربيك ديوان بيكى) دفاعا مستميتا واستشهد هذا القائد الشجاع ومعه كثير من رجاله بعد ان قتلوا عددا كبيرا من جنود العدو . تحرك الامير مظفر الدين بجيش جرار لمعاونة حامية (ديزخ) وفك الحصار عنها ولكنه وصل بعد فوات الوقت واحتلال الروس لها . ولم يصعب على الجيش الروسى بعد ذلك الانتصار على جيش الاتراك فقد كانت جيوشهم تحمل احدث طراز من الاسلحة وجنودهم منظمين مدربين احسن تدريب وتساعدهم المدافع الكثيرة المهلكة التى استطاعوا بها القضاء على مقاومة الاتراك الذين كانوا يقاتلون ببسالة ويجودون بانفاسهم الطاهرة في ميدان القتال دفاعا عن ارضهم .

(عودة الى امارة خوقند)

قام الاتراك في تلك الاثناء بثورة عنيفة في خوقند على أميرهم خدا يار خان لقبوله حماية الروس وهزموا جيشه ، واسروا ولده ناصر الدين ثم دخلوا مدينة مرغيلا واجبروا مراد بيك شقيق خدا يار خان بالانضمام اليهم وعند ذلك خرج الامير خدا يار بنفسه لمحاربتهم يعاونه جنود من القوزاق ويصاحبه سفير روسيا ولكن جنوده انضموا للثوار فهرب الى طاشقند تحت حماية الروس وولى الثوار ولده ناصر الدين اميرا مكانه . ولكن الروس ارسلوا جيوشهم الجرارة واستطاعوا الانتصار على الثوار في ١٢ اغسطس عام ١٨٧٥ م واستولوا بعد ذلك على خوقند نفسها ومدينة مرغيلان) وفي يوم ٢٢ سبتمبر من عام ١٨٧٥ م وقع الجنرال (كاوفمان) معاهدة مع الامير ناصر الدين خان تنازل بمقتضاها لروسيا عن جميع البلاد الواقعة على الشاطئ الايمن لنهر سيحون وظلّ (ناصر الدين) حاكما على ما بقي من ولايته على الشاطئ الايسر ولكن الروس لم يمهلوه سوى بضعة اشهر ثم عزلوه في شهر يناير عام ١٨٧٦ م ونفوه مع والده خدا يار خان الى روسيا وبذلك قطعوا بينهما وبين بلادهما العزيزة . وقام الروس بالغاء امارة خوقند وجعلوها ولاية روسية سميت (خيوة) واسمها خوارزم في الكتب الاسلامية عاصمتها (خيوة) وتضم قبائل (سارت وازبك وتركمان قره قالباق) .

١) قبيلة (سارت) في الاصل من جنس فارسي واكثر افرادها في (بلخ) و (بخارى) ويطلق عليهم (ميا تاجيك) وحرفتهم التجارة وكان عددهم تقريبا مائة وعشرة آلاف نسمة . ٢) قبيلة (ازبك) ففي الاصل من اورغوزا اويغور ولقبهم باسم ملكهم (اوزبك خان) ويعتبر اصل آل عثمان وكان منهم في تاى بلخ وبخارى اكثر من مليون نسمة ومنهم من كان في (خيوة) وخوقند وجبال بلط . وفي امارة خيوة من جنس ازبك اربع قبائل هم (اويغور نايمان) (قانغلي قبجاق) (قبات قنغرات) ٤) (نكوز منغيت) وكانت امور الحكم في ايدي (قبات قنغرات) وكان عدد افراد قبيلة ازبك في خيوة سابقا سبعين ألفا أما قبيلة تركمان — فكان عددهم تقريبا مائة وخمسين الفا ويقال ان اسم تركمان ماخوذ من كلمتى ترك وايمان) وقد كان من هذه القبيلة علماء وفضلاء وتجار وزراع كما كان فيها ايضا قطاع الطريق مسلحون يحترفون السلب والنهب وهتك الاعراض وقتل من يقف في طريقهم عيانا وجهارا ولم تتورع هذه الفئة عن بيع من ياسرونه في غزواتهم الاجرامية كعبيد او جواري ولم يفرقوا من مسلم وغير مسلم فقد كانت قلوبهم قاسية ونفوسهم دنيئة وكان كثير من المسلمين يشترى منهم هؤلاء الرقيق الذين اصبحوا فيما بعد علماء وصناع وتجار وجنود عظام لا يعرفون اصلهم وكونوا عائلات كبيرة كذلك من اصبح منهم صاحب مكانة عظيمة في الحكم او وزيرا للدولة .

رابعا — قبيلة (قارا قلباق) التى عاشت فيما وراء نهر جيحون فكان عددهم تقريبا مائة وعشرين الفا وكان عملهم رعي المواشى او الزراعة في جنوب بحيرة آرال . وكان يوجد في خيوة ايضا قبائل متفرقة من العجم والاكرار والروس الذين كان التركمان قطاع الطرق قد خطفوهم من بلادهم في بلاد

خيوة وعدد هؤلاء الروس تقريبا ستين الفا منهم حوالي خمسة آلاف قد اسلموا وكونوا عائلات اسلامية في خيوة وقد خدم بعضهم في الحكومة ووصلوا الى مراتب عالية بعد ان اصبحوا احرارا .

اما عدد من كانوا تابعين لحكومة خيوة سابقا حوالى ثماني ملايين ونصف مليون نسمة تقريبا منهم قبائل التركمان وعشائر اخرى كثيرة كما ذكرنا من قبل . وكان يوجد في شرق بحر (خزر) شعب من القبائل سميت اهل الخيام حيث عاشوا في البادية وكانت خيامهم مصنوعة من الخشب المكسو بنسيج من الصوف الخاصة للاغنام لا تمنع عنهم بردا ولا تقيهم حرا . وقبائل (جاودور) و(حسن ايلى) وخيامهم حوالى ثماني آلاف تمتد من قرية مين قشلاق الى خيوة وقبائل (انا الف) وخيامهم تمتد من بلقان الى خيوة . وقبائل تكه وخيامهم ثلاثون الفا في اترك واطرافها ، وقبائل (سالور) وخيامها اربعة آلاف في شرق الترك مع قبائل تكة و (قبائل سارق) وخيامها ثلاثون الفا في شرق الترك وقبائل (يموت) وخيامها اربعون الفا تتركز في الترك واطراف جرجان وقبائل (امير سارى) وخيامهم مائة الفا وتقيم في اطراف بخارى وقبائل (سافار) وخيامها عشرون الفا ايضا في بخارى وقبائل (اويماق) وخيامها ثمانون الفا في خراسان وافغان وايران وبذلك يكون اجمالى خيام هذه القبائل حوالى (٣٤٣ ١٫٠) خيمة تقريبا وعدد ساكنيها (١٧١٦٥٠٠٠)نسمة جميعهم قبائل تراكمة تابعين لولاية خيوة . كانت خيوة عاصمة ولاية خيوة ثم أصبحت جرجانية خوارزم اوركنج كركنج حيث اشتهرت في عهد خوارزمشاه بالعلم والعلماء وقد بلغ عدد بيوتها اربعين الفا وسبعة عشر مسجدا وعشرين مدرسة ومن المغازات مائتان وستون وفندقان . وقد اشتهرت بعلمائها منهم الزمخشري الذى توفي الى رحمة الله عام . (٥٣٨)هـ (١١٤٤)م وكذلك العلامة المشهور شهاب الدين شيخ الاسلام في زمن خوارزمشاه .

ومن مدن خيوة كركنج الكبرى التى خربت في ٦١٠ في حرب التاتار (كركنج الصغرى) التى بلغ عدد سكانها ٣٠٠٠٠ ومن بلادها ايضا (كات) التى كانت موالد للعلم والعلماء ومقرا للحكم والآن هي (سوق الحصان) وطائفة قيرغيز ومحل تجار وزمخشر قرية تابع في بلد (كات) وهناك ايضا (هزار اسب) و (سواد) محل تجارة طائفة قيرغيز الذين يبلغ عددهم كثيرا . و (كورليان) . وبها قصور الامراء واراضى زراعية شاسعة . وقرى مشهورة مثل (قبجاق) و(قوناقدار) و(آقسراى) (خان قلعة سى) . وقد كانت خيوة غنية بزراعتها وتجارتها ولكن بسبب العداوة التى كانت بين التركمان والقوزاق من قبل وما كان بينهم من تبادل اعمال النهب والقتل فقد تجمعت قبائل كثيرة من القوزاق ضد سكان خيوة بقيادة (اولان بايق) ، وهاجموا بلاد خيوة على حين غفلة من اهلها واستولوا عليها وفر خان خيوة هاربا في الصحراء تاركا القوزاق يعتدون على حرمات الاماكن الاسلامية المقدسة ويغتصبون البيوت وينهبون الاموال ويقومون بغارات وحشية على القرى . وعندما سمعوا ان خان خيوة جمع اهل التراكمة جميعهم اجتاحوا نهر اورال واستطاعوا القضاء على التراكمة جميعهم ماعدا الخان وخمسة من اعوانه تمكنوا من الفرار الى بلادهم . وبعد معارك عديدة اضطر خان خيوة (شاه نياز) الى ارسال مندوب عام ١٧٠٠ م الى امبراطور روسيا يشكو له من افعال القوزاق البربرية وطلب منه السلام والصداقة وان تكون خيوة تحت الحماية الروسية حتى يطمئن الاتراك من شر قطاع الطرق

القوزاق الذين كانوا ايضا رعية روسية . ولما كانت الحرب دائرة بين الروس والدولة العثمانية واوربا فقد وافق الروس على التماس خان خيوة ولكن بعد ان انتهت الحرب بالصلح كان الروس يتجاهلون اتفاقهم مع خيوة وتكرر ذلك مرات .

وفي عام ١٧١٧ م كان الامبراطور الروسي في بترسبرج وتقابل معه مندوب امير تركمان خواجه نافذ الذي اخذ يصف للامبراطور خيرات وادي نهر جيحون من الزراعة وماتضمه الارض من المعادن والمساحة الشاسعة الى نهر بحر خزر التي يمكن ان تستغل بحفر نهر في مصب نهر اورال وتكون الفائدة كبيرة لدولة الامبراطور . وطمع دلى بترو امبراطور الروس وارسل بعثة يرأسها المهندس (بقويح) جرفاسكى استكشفت من بحر خزر الى ساحل نهر جيحون وظلت ثلاث سنوات في هذه المهمة تمكنت خلالها من رسم خريطة كاملة للمنطقة ووضعت تقريرا وافيا عن جريان النهر وحالة الاراضي والطرق وارسلت هذه البيانات للامبراطور دلى بترو .) واسرع الامبراطور بارسال فرقة عسكرية من اربعة آلاف جندي معها المهندس (بقويح جرفاسكي) منتهزا فرصة طلب المساعدة من امير تركمان ، والطلب الذى سبق ارسله له خان خيوة قبل سبعة عشر عاما . ووصلت الفرقة العسكرية على بعد مائة ميل من خيوة بعد ان فقدت الف جندي بسبب المسافة الطويلة وسيرهم خمسة وستون يوما اعترضهم خلالها الكثير من المشاق والصعاب والمشكلات العديدة علاوة على البرد القارس المميت .

وارسل قائد الفرقة رسالة الى خان خيوة يرجوه حماية الجنود الروس من شر التركمان لانهم حضروا بناء على طلب الخان من امبراطور الروس . ولكن الخان كان قد مات وتولى ابنه الامير (شير غازى خان) حكم خيوة وكان مخالفا لوالده من ناحية الروس فسجن الرسول حامل الرسالة واسرع بجمع جيوش من التركمان والقيرغيز وقره قلباق ، وارسل هذه القوات الكبيرة العدد لمقاومة المهندس (بقويح جرفاسكى) والجنود الروس . وفوجئ الروس الذين كانوا ينتظرون رد الخان مع رسولهم بقوات خان خيوة تهاجمهم من كل جانب واشتبك الجانبان طول اليوم ثم قام الروس في الليل بحفر الخنادق ونصبوا مدافعهم الستة التى كانت معهم في كل جانب . وظل القتال يومين لم يتمكن التراكمة خلالها من الروس فقد كان الروس وراء استحكامات قوية وخنادق وكان التراكمة في الصحراء . ولما وجد خان خيوة انه لا فائدة من القتال ارسل مندوبا للروس يعتذر بعدم علمه بهذا القتال ، وان الرعية هاجمت الروس بدون اذنه واظهر عقد المصالحة السابقة مع والده (شاه نياز خان) .

ورغب المهندس الروسي في ملاقاة (شيرغازى خان) فاخذ معه الف من الجنود وترك الباقي تحت قيادة الامير آلاى (فرنقن) في بزغلك طرح . وتلاقي (بقوويح) مع (شير غازى خان) على مسافة يومين من خيوة واظهر الخان الصداقة معه وشكى له (بقويح) من وعورة الطريق وغرق زوجته وولديه في بحر خزر وما اصابهم من خسائر وتلفيات كثيرة وطلب الراحة لجنوده في خيوة ، ولكن الخان اجابه ان خيوة تحوطها جبال ورمال وليس بها مأكولات او مياه كافية ووجود الجنود الكثيرة بها يثير متاعب كثيرة وانه يمكن اراحة الجنود في مواقع بين الجبال متفرقة وبها مأكولات ومياه وجوها

المناسب ويمكن تقسيم الجنود على هذه الا ماكن وافهمه انه لاحيلة او مؤامرة في هذا التقسيم.
ووافق (بقويح) على ذلك وارسل للامير (فرانقن) في بزغلك لتقسيم الجنود خمسة اقسام توزع كما اراد الخان ويترك (مائتين) من الجنود كحرس (بفويح) . ورفض الامير آلاى فرانقن اول الامر تنفيذ طلب (بفويح) ولكنه اضطر اخيرا لاطاعة رئيسه والمسئول عن الفرقة ونفذ تقسيم جنوده خمسة اقسام ووزعهم كما اراد الخان.

وبعد ذلك امر الخان جنوده بالهجوم على الروس المتفرقين وتمكنوا من قتلهم جميعا ماعدا اقل من اربعين جنديا تمكنوا من الفرار الى روسيا ناجين من هذه المذبحة . وصارت عداوة شديدة بعد تلك الواقعة بين الروس ومعهم القوزاق وبين دولة خيوة والتراكمة وطوال مائة وعشرين سنة دار النهب والسلب والقتل بين الطرفين وزاد نشاط قطاع الطرق الذين كانوا يسلبون القوافل ويبيعون اسراهم في البلاد الاخرى واثناء ذلك رغبت روسيا في القضاء على قطاع الطرق بمساعدة خان خيوة ولكنه لم يبد الرغبة في ذلك.

وصممت روسيا على فتح خيوة وارسلت عام ١٨٣٩ م قوات كبيرة تقدر بحوالى خمسة الآف جندى بقيادة الجنرال (بروفيسكينك) ومعها ٢٢ مدفعا وعشرة آلاف جمل محملة بالزاد والمهمات وتحرك الجيش اول كانون في الشتاء لان الحركة فيه افضل من الصيف ولكن البرودة في الطريق وصلت الى حد التجمد مما اوقع خسائر جسيمة بلغت في الجمال حوالى ستة الآف جمل ولم يقطع الجيش سوى نصف الطريق ، ومابقي من الجمال زاده ضعفا وتعبا حمل حمولة الجمال التى نفقت وكانت البرودة لدرجة ان الجنود لم يستطعوا خلع احذيتهم لتجمدها ومرض كثير من الجنود وهلك عدد منهم . وفي اول شهر شباط وصل الجيش الى محلة (اورون آق بلاق) قرب بئر يقع بين اوروك برغ وبين خيوة ومازال امام الجيش نصف المسافة . وبلغت خسائر الجنود من البرد ٢٣٦ جنديا ماتوا في الطريق و ٥٢٨ تجمدت اطرافهم من البرد ومات اكثرهم بعد ذلك.

وكانت المسافة الباقية حوالى ٥٠٠ ميل للوصول الى خيوة ووجد الجنرال (بروفسكى) بعد تفكير انه لو استمر الى خيوة سيموت باقي جنوده فعاد الى بترسبورغ ومعه الف وخمسمائة جندي بين الموت والحياة . وتتابعت الحملات الروسية ولكنها كانت تواجه المشقة وتتكبد التلفان والخسائر الفادحة حتى كانت الحملة السادسة عام ١٨٧٤م بقيادة الجنرال (فوقمانك) وكانت بعد صلح امير بخارى (امير مظفر الدين) مع اليكسندر قيصر روسيا عام ١٨٦٨م . وقامت الحملات من طاشقند في ١٥ مارس مكونة من ١٦٥٠ جنديا من المشاة ومجهزين بمدفع واسلحة جديدة و(٦٠٠) فارس من القوزاق ومعها (٤٠٠٠) جمل مؤجرة من قبائل قيرغيز عن كل جمل ١٣ روبل شهريا ومحملة بالزاد والمهمات . واذا مات جمل في الطريق يدفع عنه تعويض (٥٠) روبل.

ووصل الجيش الى (جيزاخ) متأخرا بسبب البرد الشديد وبعد راحة سار في البر بعد ان عمل استحكامات في الطريق ثم سار في طريق الجبال في بلاد (قضلى) وشهرتها كذا واصلها قاضى على وارسل القائد الروسى ١٤٠٠ جندي و١٥٠ فارس قوزاقي ومعهم آلات الحرب مدافع رشاشة ومدافع كبيرة الى قبائل التاتار من طريق ساحل نهر جيحون . وتمكن الروس بواسطة خطط الجنرال (فوقمانك)

من التجمع ثانيا بعد حروب مع قبائل التركمان ووقوع خسائر كبيرة بين جنودهم ثم عبروا نهر جيحون اثناء الليل بعد ان حاربوا رئيس قبيلة صادق تركمان وتمكنوا من حصار جنوده ولكن كثير من اهالي خيوة المسلمين اخذوا يبيعون للروس الماكولات والمئونة واشترى منهم الروس باجر طيب وعاملوهم معاملة حسنة وكانت هذه سياسة من الجنرال فوقمانك ولكن الجنرال (فوقمانك) كان يأمر بنهب القرى التى لا يريد اهلها التعامل مع الروس . فكان الجنود ينهبون ارزاق اهلها ويحرقون دورها لقد كان هذا الجنرال الظالم يحاول قبل عامين تدبير خطة لغزو خيوة ولكن الامبراطور لم يوافقه على خطته لما سبق من خسائر في النفس والمال والعتاد ورداءة الطرق وشجاعة قبائل تركمان .

وما لبث الامبراطور بعد تلك الفترة ان اقتنع بخطة الجنرال فوقمانك التى قامت على اساس تقسيم جيشه الى اربعة جيوش الاول بقيادة اميرآلاي (مارك) سوفك يتجه الى قفقاس الثاني بقيادة الجنرال (ورو كينك) ووجهته اورنبورغ . والثالث بقيادة القائمقام (لاماكينك) وخط سيره من ساحل نهر خزر واقع كيند الى كورفز . والرابع بقيادة فوقمانك نفسه ويسير من طاشقند . ولم تتمكن فرقة الامير آلاي مارك سوفك من مواصلة طريقها لما اصابها من خسائر شديدة في الارواح والعتاد بسبب صعوبة الطريق وقلة الماء فعادت ادراجها .

اما باقي الفرق الثلاث فقد استطاعت السير والالتقاء معا بقيادة فوقمانك واستولت على بلاد خيوة كما سبق ذكره . وفر عبد الرحيم خان مع بعض اخوانه التراكمة الى محلة يموجية . وكتب اليه الجنرال فوقمانك يطلب حضوره والا جعل على البلاد خانا غيره . وبعده اصبح محمد رحيم خان حاكم خيوة الذي اجتمع مع الجنرال فوقمانك في خيمته . وقابله فوقمانك باحترام واظهر له المودة والصداقة وتبادلا الحديث التالي :

الجنرال فوقمانك لقد وعدت قبل سنوات ثلاث بحضوري في ارضكم ، ولهذا جئت .

الخان : هذا تقدير الهي القادر المطلق .

الجنرال : كلامكم هذا غلط واسناد الى حق غير معقول لانك اذا كنتم سمعتم كلامي ونصيحتي مذ ثلاث سنوات ما كان جاء بي او قدر مجيئي الى هنا .

الخان : انا ممنون على صحبتكم ورؤيتكم ولكن ..

فوقمانك : (وهو يبتسم) واجبي اظهار الشكر اذا كانت علاقاتنا ستقوم على الصداقة من الآن وعلى كل فلا مزيد لاسئلة واجوبة . والآن ماهو رأيك ؟

الخان : انت تحتل بلادي وان كان لازم تعرف انه لايوجد حل آخر امامكم سوى انني اعترف بتبعيتي لجارتنا الدولة الروسية .

فوقمانك : هذه احسن اجابة – واذا كنت متفقا على صداقة وطاعة الدولة الروسية لن نحرمك من حكمك وكان يمكننا بما لنا من قوة وسطوة ان ننتقم لما حدث لنا ولكننا سنعفو عما حدث على شرط ان ترجع الى حكمك وانظر حقوق وراحة الشعب ولكن انشر عليهم اننا ما جئنا لنهب او قتل او سلب ولكن فقط لاظهار قوتنا وايضا لا يتدخل احد منا خارج بلادكم في شئونها .

ولم يدخل محمد رحيم خان البلاد لان مبانيها اصبحت خرائب اتت الحرائق عليها . وكان (سيد عمر خان) يقيم في (هزار اسب) التي كانت من اشهر بلاد خيوة وتعدادها ستة آلاف نفس ، وكانت تبعد عن نهر جيحون حوالى عشرة اميال وتبعد عن خيوة حوالى اربعين ميلا ، كما كانت مدينة محصنة تحصينها جيدا ، ولكن بعد استسلام محمد رحيم خان لم تقاوم هذه المدينة (فوقمانك) وامر محمد رحيم خان ببناء قصر له في هذه المدينة ولكنه كان يتردد كل يومين او ثلاثة على معسكر قوقمانك ليأخذ التعليمات لادارة البلاد وينظم امور الاهالي .

واردات خزينة خيوة – على قول مسيو قوك سياه (٤٥٠٠٠) جنيه ذهب انجليزي من واردات تجارة روسية ويؤخذ عليها جمرك ٢٧٥٠ ليره انجليزي .

تجارة بخارى ويؤخذ عليها جمرك ٢١٥٠ ليره انجليزي .

ويكون حاصل دخل الجمارك ٤٩٠٠ ليره انجليزي في سنة تقريبا هذا خلاف رسوم العقار والوقف وخلافه .

(معلومات عن خيوة)

في خيوة ٣٠ مسجدا وجامعا وبها ٢٢ مدرسة يدرس طلابها باللغة العربية العلوم المتداولة ويتحمل طعامهم ومصاريفهم الاوقاف . ومن اشهر الجوامع (جامع بهلوان اتا) وبه مدافن خانات خيوة السابقين ومنهم محمد رحيم خان – ابو نيازى – مشير غازى – الله قلى – غازى بهلوان . وهناك عشرون من القراء المكفوفين يقرأون القرآن على قبور الخانات كل يوم ويتقاضون اجورهم من الحكومة كما ان كل مصاريفهم من طعام وشراب وفاكهة على حساب الشعب . وعلى بعد عشرين ميلا تقريبا من خيوة توجد مدينة (اوركنج) وهي مشهورة بالتجارة ومركز هام للتجارة الواردة من بخارى وافغانستان وروسيا والهند حيث تعتبر سوق كبير للتبادل التجاري . وفي آسيا الوسطى قبائل تركمانية تعتبر من اشجع القبائل ويملكون الكثير من الماشية ففي الصيف يتجهون الى الصحراء حيث يحفرون الآبار وترعى اغنامهم في نبات الصحراء . وفي الشتاء يعودون الى ديارهم التي يحدها شمالا وغربا نهر جيحون وشرقا افغانستان وجنوبا ايران وهم يعيشون بهذا الوضع قبائل كثيرة متفرقة منهم من يصيد السمك ومنهم من يعمل قاطع طريق ياخذ الاسرى من ايران ليبيعها في بخارى او خيوة والعكس ومنهم اصحاب الماشية ومنهم من يعمل بالفلاحة وآخرون يعملون بالملاحة ينقلون بزوارقهم الركاب والبضائع بين بخارى وافغان عن طريق نهر جيحون ، وكل قبيلة لها جزؤها الخاص في الصحراء يسكنون الخيام وبعض هذه القبائل يقل عددها عن (٥٠٠٠) وبعضها يزيد عددها عن (١٠٠٠٠) نسمة . وفي بلاد خيوة قبائل متوطنة دائمة منها :

قبيلة (ايمرالى) عدد افرادها تقريبا ٣٠٠٠ نسمة قبيلة (قود رس) عدد افرادها تقريبا ٣٠٠٠ نسمة قبيلة (قره طاشلى) عدد افرادها تقريبا ٢٠٠٠ نسمة قبيلة (قره جيجيلدى) عدد افرادها تقريبا ١٥٠٠ نسمة قبيلة (آدلى ايقو لقلنيس) عدد افرادها تقريبا ٢٠٠٠ نسمة قبيلة (يومور)

عدد افرادها تقريبا ١٥٠٠٠ نسمة وهؤلاء الذين يقيمون في الخيام . اما عدد سكان البلد تقريبا (١٣٣٠٠٠) نسمة .

ولو انهم كانوا يعترفون بامارة الامير الا انهم كانوا ينفذون احكامهم فيما بينهم ويصطفون مع الامير اذا كان هناك حرب مع اجنبي . وقد طلب الجنرال قوفماك من قبيلة (يومود) غرامة حرب قدرها ٣٠٠٠٠٠ روبل ولكن افراد القبيلة لم يستطعوا جمع المطلوب لشدة فقرهم فهاجمهم (قوفماك) عدة مرات فالتمسوا منه تخفيض المبلغ ولكنه رفض واصاب القبيلة اضرارا كثيرة فقد احرقت مزروعاتهم وهدمت واحرقت بيوتهم وقتل وجرح عدد كبير منهم وكان السبب في ذلك اميرهم محمد رحيم خان الذي عمل لمصلحة نفسه ولم ينظر مصلحة القبيلة .

والحقيقة التي يرويها (مستر ماغه ماك) الامريكي الذي كان مع جيش الروس في حرب خيوة تبين كيف قام القوزاق بقتل التراكمة المسلمين بوحشية ورغما عن ذلك فقد اظهر التراكمة من الشجاعة الشيئ الكثير وقتل ايضا من الجنود القوزاق عدد كبير ومن امثلة ذلك ما ذكره الامريكي (ماغه ماك) رؤيته التركماني يقاتل بمفرده ستة من القوزاق فيقتلهم جميعا بمفرده . كما ان الجنود الروس والقوزاق اصابهم من الخسائر في الارواح والمعدات عشرة اضعاف ما خسر التراكمة .

ولو نظرنا الى سير المعارك ونتائجها لوجدنا ان التركمان حاربوا باسلحة قديمة وبدائية مثل السيف والحراب ولم يكونوا مدربين على النظم الحربية كما كانوا مختلفين كقبائل متفرقة سواء في تفكيرهم او مصالحهم في الوقت الذي كان فيه الروس مسلحين باحدث المدافع والرشاشات والبنادق وجنودهم منظمون مدربون وتجمعهم قيادة واحدة وهدف واحد . ولذلك كانت النتيجة استيلاء الروس على خيوة ولو ان ذلك لم يمنع الخسائر الجسيمة التى اصيب بها الروس . كما ان الخسائر في الارواح بين التركمان كان ثلثاها من النساء والاطفال بيد القوزاق . ونعود الى الغرامة التى فرضها الروس على (يومود) فقدرت اخيرا (٤٢٥٠٠) جنيه انجليزي ذهب . واضطر اهل القبيلة الى بيع حلي نسائهم وفرائهم وخيلهم واغنامهم بارخص الاثمان وكان الضباط يشترون منهم وبعد عشرة ايام جمعوا فقط عشرون الفا من الذهب الانجليزي وطلبوا منه مهلة للسنة التالية لدفع الباقي . وعلم الجنرال قوفماك انه لم يعد لديهم اي شيئ يباع فاضطر الى الموافقة خاصة وقد وجد ان الشتاء ببرده القارس قادم وعقد معاهدة مع عبد الرحيم خان بحضور كبار الضباط الروس وكبار مشايخ البلاد ثم سافر بعد ذلك الى طاشقند .

(معاهدة قوفماك ومحمد رحيم خان)

بند اول : محمد رحيم خان مع اتباعه جميعا يعترف بامبراطورية دولة روسيا وبصداقته وليس له ان يعقد صداقة مع الدول المجاورة سرا او جهرا او يحاربهم او يبدي اي مقاومة كانت الا بعد الرجوع الى رئيس بلاد طاشقند .

بند ثاني : الحدود بين روسيا وخيوة تبدأ من (كوكرنلى) غرب نهر جيحون الموازي لنهر اورال الى

ساحل البحر المحاذي اوروجمى – وجبل اوست اورت جنوب الجبل الواقع شمال محلة جيتق القديمة لمجرى القديم لنهر جيحون تنتهي ببحر خزر .

بند ثالث : يمين نهر جيحون كان داخل حدود خيوة . ولاجل صالح الحدود تضم الارضى لتابعة لقبائل تركمان للمملكة الروسية ويكون يسار النهر وما دونه تابع لخان خيوة .

بند رابع : يعطي امبراطور روسيا ارض يمين نهر جيحون لامير بخارى وليس لمحمد رحيم خان حق لتصرف فيها او التعرض لامير بخارى .

بند خامس : السفن والزوارق التى تسير في نهر جيحون يكون عائدها للدولة الروسية – واهالي بخارى وخيوة من غير رخصة – وممنوع لأي سفينة او زورق لا يرفع العلم الروسى السير في نهر جيحون قط .

بند سادس : من حق دولة روسيا انشاء استحكامات وحصون على سواحل نهر جيحون وعلى خان خيوة مسئولية المحافظة على سلامة هذه المنشآت وليس له اعتراض على أي مبان يقيمها الروس ي أي مكان الى آسيا الوسطى .

بند سابع : يقيم بالمدن والحصون التى تنشأ اهالي من الروس للحراسة والتجارة واذا تعرضوا لنهب و حوادث يكون خان خيوة مسئولا عن ذلك وعليه ان يعطي كل مساعدة مطلوبة لمن يريد منهم لزراعة والاراضى اللازمة .

بند ثامن : التجار والرعية الروس المقيمون داخل حدود خيوة او يتنقلون فيها هم واموالهم تجارتهم ومبانيهم في حماية خان خيوة ومسئولا عنهم .

بند تاسع : يعفي التجار الروس في (قزالة) اي قاضى على واورنبرغ وتوابعها من اي اموال اميرية .

بند عاشر. التجار الروس وكل انواع تجارتهم يدخلون ويخرجون كما يشاءون الى خيوة بدون رسوم لجمركية .

بند حادي عشر : للتجار الروس بعد دخولهم خيوة ان يخصص لهم من يباشر تجارتهم ويسهل لهم غراضهم .

بند ثاني عشر : اذا رغب احد الرعية الروس في شراء املاك للاستيطان في خيوة يكون للوالي لروسى لآسيا الوسطى حق تقدير ثمن الممتلكات بمعرفته .

بند ثالث عشر : اذا اتفق الرعية الروسية والرعية من اهل خيوة على تجارة بعقد وشروط فيما بينهم عتبر مقاولتهم .

بند رابع عشر : اذا كان بين رعية الروس واهالي خيوة خلاف على حقوق ينظر فيها بحضور والي سيا الوسطى ويمتثل لاوامره فيها .

بند خامس عشر : اذا حدث شكوى بين اهل خيوة ومقيم روسى في خيوة يرجع الى الادارة لروسية في خيوة حيث تفصل بينهم محكمة روسية وليس لخان خيوة التدخل .

بند سادس عشر : اذا لم يكن احد رعايا روس يملك جواز سفر روسى فلا تقبل اقامته في خيوة ايضا اصحاب الجرائم اذا حدث منهم شيئ يسلمهم خان خيوة فورا لاي ادارة روسية قريبة في

خيوة واي جناية تقع منهم فان خان خيوة مسئول عنهم .

بند سابع عشر. جميع الاسرى داخل حدود خيوة يخلى سبيلهم ويضمن مستقبلهم ولهم وعدا كليا وقطعيا يمنع الاسر وهذا الشرط متعلق بذمة خان خيوة باي وجه كان .

بند ثامن عشر : بسبب سوء ادارة خان خيوة وحكومته يتحمل هو واهل خيوة كافة المصاريف العسكرية الروسية ومقدار المبلغ مليونان ومائتا الف روبل منه يدفعه خان خيوة والباقي يدفعه الاهالي ويقسط المبلغ كالآتي :

سنتان كل سنة (١٠٠٠٠٠) روبل ثم سنتان في كل سنة (١٢٥٠٠٠) روبل

وفي عامي ١٨٧٧ و١٨٧٨م (١٥٠٠٠٠) روبل وفي عامي ١٨٧٩ و١٨٨٠ (١٧٠٠٠٠) روبل

وباقي المبلغ بواقع (٢٠٠٠٠٠) روبل حتى ينتهي المبلغ ويدفع بعملة روسية او عملة خيوة وغيرها غير مقبول واول قسط في عام ١٨٧٣م في شهر كانون يجمع من رسوم عقار واراضي ومكلفات اهالي سكان يمين نهر جيحون ، والقسط الثاني يدفع في تشرين الثاني ويكون المبلغ قد انتهى دفعه في اول تشرين ١٨٩٣ اي خلال ١٩ سنة ويتعهد خان خيوة بدفع المبالغ المقررة في المدة المذكورة تماما .

وقد وقع خان خيوة على هذه المعاهدة ذات الثاني عشر بندا وبذلك التزم الخان بها .

(نبذة عن السياسة الروسية والانجليزية لتقسيم آسيا الوسطى فيما بينهما قبل عام ١٨٧٣م)

كانت حملة الروس العسكرية على خيوة ذات هدف سياسى في الحقيقة وما كان هناك لزوم للجيوش الروسية المسلحة باحدث الاسلحة في غزو دولة صغيرة لا تملك من الاسلحة الا ما ورثه اهاليها عن اجدادهم من سيوف ورماح قديمة ولكن هناك كان اتفاق بين روسيا وانجلترا على تقسيم آسيا الوسطى .

فقد سافر الكونت (شيوالوف) الى آنجلترا حيث اتفق مع اللورد (غراتويل) وزير خارجية انجلترا على تقسيم آسيا الوسطى بحيث يكون جنوب نهر جيحون من نصيب انجلترا ونهر جيحون نفسه حدا بينهما باطنا . وامراء بخارى وخيوة التابعين لروسيا والخاضعين لولايتها في استقلال ظاهرا اما جنوب نهر جيحون (افغانستان) فظاهرا مستقل ، باطنا تحت ولاية انجلترا لقاء مساعدة سنوية – ولكن سياسة امبراطور روسيا التى كان يخطط لها في نفسه ان يكون لروسيا في المستقبل الولاية على افغانستان والهند .

ولكن انجلترا كانت تعرف ما تضمره روسيا فكانت تحترس منها . ويشاء القدر ان ارى انا محرر هذا التاريخ (عبد المؤمن ابن السيد اكرم بن السيدالأميرمظفر الدين امير بخارى) وبعد مائة سنة من تلك الاحداث بنفسى انقلاب الحكم في روسيا وقيام الجمهورية البلشفية فيها ثم استيلاء الروس بالقوة على بخارى وخيوة واتفاق الامير امان الله امير افغانستان مع الروس وقطعه علاقته مع انجلترا ثم دخول الروس بطريق السلم الى افغانستان ثم بعد ذلك التداخل الروسى في الهند في عام ١٣٥٥ استولى الجنرال اللورد (هوفلاند) الانجليزي على كابل . وفي نفس العام كانت حملة الجنرال (بروفسكى) الروسى على خيوة التى انتهت بهزيمته فعقد صلحا مع خان خيوة ، ولكن الروس اكتسبوا تجربة ومهارة في حربهم مع التركمان فاقاموا مشروع قنطرة في بحيرة خوارزم اورال وسيروا باخرتين في نهر اورال . وبعد استيلاء الروس على تركستان اكتشفوا منجم الفحم الحجري على بعد ٢٢ ساعة من جيمكنت ، ثم فتحوا بعض خيوة في اول كانون اول عام ١٨٥٣م ووقعوا معها معاهدة وفي نفس التاريخ وقعت الدولة العثمانية معاهدة ايضا مع ايران . ولكن الحرب كانت قد قامت بين روسيا والدولة العثمانية ، على حدودهما ولو كانت خيوة تأخرت في عقد معاهدتها مع روسيا الى هذه الحرب لما رضيت بهذه المعاهدة المضرة .

بعد ذلك توسعت روسيا وثبتت اقدامها فأسست قلعة شرق بحر خزر ثم قلعة ثانية بعدها بعام كما فتحت طريقها الى هرات ، ثم استولى على (جيقيشلارى) عام ١٢٨٨هـ وجعلها مركزا للتحركات الحربية . واستطاع الامير آلاي (مارقه صوف) في عام ١٢٨٩هـ ان يستولى على جرجان مع وادي دهستان آبكون واراضى عجم في بحر بلر الى سواحل شرقي وجنوبي استراباد . واصبحت تلك الاراضى كلها داخل الحدود الروسية وفي نفس الوقت استولت انجلترا على بلاد (عود نبؤل وكشمير

والبنجاب) كذلك استولت روسيا على ساحل نهر سيحون زرافشان وبلاد طاشقند وخجند وسمرقند .
تم بذلك التقسيم المتفق عليه ولكن انجلترا اعطت المسلمين الذين دخلوا تحت حكمها حرياتهم الدينية وحقوقهم الاسلامية والمحاكم الشرعية الخاصة بهم فلم يأسف منهم احد ، اما روسيا فقد طبقت الدستور الروسي في آسيا الوسطى وشكلت ولاية جديدة سماها تركستان التى اصبحت حدودها الجديدة من شمال سيبيريا وقيرغيز وجنوب خيوة وبخارى وبدخشان وخوقند وبينكى حصار وكاشغر وغرب نهر اورال .

وفي عام ١٢٨٤هـ اراد الروس تقسيمها الى قسمين ولكن غولجه بن يعقوب بيك عمدة الامراء استولى عليها وقسمت ثلاثة اقسام :

الاول مساحته (٥١٢٣٣٠) كم وعدد سكانه (٨٦٥٤٦١) نسمة وتخضع لحكومة نهر سيحون .
الثاني مساحته (٣٧٥٥٠٠) كم وعدد سكانه (٤٨٦٩٣٧) نسمة وتخضع لحكومة الانهار السبعة .
الثالث مساحته (٧١٢٢٥) كم وعدد سكانه (١١٤٣٣٧) نسمة وتخضع لحكومة غولجة .

ولكن بعد قيام الجمهوريات البلشفية في روسيا بزعامة لينين عليه لعنة الله قسمت الى (تركستان) و(قيرغيزستان) و(قزاقستان) و(تاجيكستان) و(ازبكستان) و(قره قلباقستان) وهذه مسمياتها الحالية .

(آسيا الوسطى وتاريخ توران وبخارى وغيرها)

مقدمة – كانت العقيدة السائدة في بلاد آسيا الوسطى هي – الشامانية والبوذية وفي عهد الخليفة عثمان ابن عفان رضى الله عنه زحف احنف بن قيس وعبد الله بن عامري رضى الله عنهما عام ٣٠هـ الى خراسان ووصل الثاني الى ما وراء النهر وعقد صلحا مع اهله . وفي عهد يزيد بن معاوية عقد ابن زياد شروطا مع اهل خوارزم يدفعون بموجبها (٤٠٠٠٠٠) درهم ويكون نهر جيحون فاصلا بينهما .

ثم اصبح الحجاج والياعلى خراسان وفي عهده ارسل يزيد بن المهلب لفتح خوارزم ولكنه عاد بعد ان اخذ اسرى وغنائم . ولم يوفق بعده امية بن عبد الله بن مسلم في فتح خوارزم . ولما صار قتيبة بن مسلم الباهلي واليا على خراسان استعان به اخو (خرزاد) ضد اخيه حاكم خيوة على ان يبايعه ويكون في حمايته فاسرع قتيبة بارسال اخيه عبد الرحمن على راس جنوده ففتح البلاد وقتل (خرزاد) ونصب اخيه واليا على خوارزم .

ولكن اهالي خوارزم قتلوا هذا الوالي فارسل قتيبة اخاه عبد الله ليكون واليا على خوارزم واصبحت خوارزم خاضعة لخراسان . واتخذ قتيبة من (مرو) نقطة انطلاق ومعسكرات هامةاذ حمل خمسين الفا من الاسر من البصرة والكوفة على الهجرة الى خراسان ومناطق جيحون وبذلك وضع اول لبنة في فتح تركستان وبعد ذلك زحف عبد الله بن زياد نحو تركستان حيث استطاع فتحها بمساعدة الرماة والمهرة من اهل بخارى انفسهم .

ولم يحتفظ المسلمون بثمار هذا الفتح طويلا اذ اجتاحهم التعصب القبلي بينما جمع امراء الاتراك شملهم ونظموا صفوفهم وتمكنوا بذلك من دحر المسلمين الى ما وراء النهر . وفي عهد عبد الملك بن مروان زحف المهلب بن ابي صفرة عبر نهر آمو جيحون واحتل قلعة مدينة (كيش) المعروف الآن بنهر سبزاى البلدة الخضراء . ثم اندفع المهلب بجيشه نحو بخارى ولكن (قراتكين) امير بخارى صمد في وجهه لمدة سنتين توفي بعدها المهلب ابي صفرة سنة ٨٢هـ وشدد الاتراك هجومهم المضاد مما اجبر يزيد بن المهلب على الانسحاب نحو مرو .

وفي عام ٨٤هـ اصبح قتيبة بن‌مسلم واليا على خراسان من قبل الحجاج ، فقام بعدة حملات حربية استطاع استعادة طخارستان (المعروف الآن بطالقان) ثم اجتاز النهر سنة ٨٧هـ واشتبك مع الاتراك حول مدينة (باى كند) التابعة لبخارى ودافع الاتراك عن مدينتهم دفاع المستميت وابدوا بسالة فائقة ولكن قتيبة تمكن بفضل دهائه وخططه الحربية البارعة ان يفتح المدينة . وفي عام ٨٨ – ٨٩هـ توغل قتيبة متجها نحو (ترمذ) حيث التقى بالقائد التركي (كول تكين) والي الولايات الغربية من تركستان من قبل (قابغا خان) وانهزم جيش قتيبة بعد معركة حامية واضطر الى الانسحاب نحو (مرو) . وأدرك قتيبة ما للخلافات القبلية من اثر كبير في اضعاف الجيوش الاسلامية فجعل هدفه ازالة هذه الخلافات والعمل على وحدة الصف العربي باستنهاض هممهم ورسم صورة زاهية لدنياهم وآخرتهم . ونجح قتيبة

في القضاء على خلافاتهم وتجميع شملهم بل وتمكن من تجهيز جيش من الفرس الذين اخلصوا للعقيدة الجديدة كما امده ايضا الحجاج بقوة من خير الجنود زحف بهم نحو بخارى عام ٩٠ من الهجرة واستطاع احتلالها كما استولى على سمرقند وخوارزم (المعروف الآن بخيوة) عام ٧١٠م ٧١٢م.

وفي عام ٧١٣ – ٧١٥م غزا المناطق المشرفة على نهر سيحون وخاصة فرغانة واقام على هذه البلاد حكاما من العرب تولوا ادارة الشئون الحربية وجباية الاموال وترك ادارة الحكومة المدنية في ايدي حكام من اهل البلاد. وقد ذكر الطبري – ان قتيبة فتح كاشغر الا ان هذا الخبر سبق للحوادث على ما يبدو فقد نسبت الى قتيبة فتوحات كانت قد تمت على ايدي غيره من المسلمين. وفضلا عن ذلك* فان (قاياغان توركش) كان قد حرر التركستان من السيطرة الصينية كما هو ثابت في كتب التاريخ عام ٦٩٩م وثابت ايضا ان والي كاشغر كان (كوك ترك خان) هذا بالاضافة الى ان قتيبة قتل في مرو عام ٩٤هـ بينما فتح كشغر على ما يرويه بعض المؤرخين عام ٩٥ هـ فقتل قتيبة كانت (٩٤هـ الموافق ٧١٦م) وفتح كشغر وقع بعده بعام واحد بعده.

وفي عام ٧١٤هـ انسحب قتيبة الى قاعدة معسكره في مرو بعد نعي الحجاج. وفي السنة التالية توفي الوليد بن عبد الملك ايضا فخشي قتيبة ان ينتقم منه الخليفة الاموي الجديد (سليمان) ولكن ما لبث ان قتل في ثورة من ثورات الجند مما ادى الى توقف الفتوحات الاسلامية في آسيا الوسطى بل ادى الى انحسار وتراجع ولم يوفق الامويون بعدئذ الى حاكم حازم للعراق كالحجاج ولا بقائد بارع كالمهلب او قتيبة ولا بخليفة كالوليد.

وانشغل سليمان بحصار القسطنطينية وبالانتقام من قواد اخيه الوليد الثلاثة الذين بايعوا عبد العزيز بن الوليد ولم يبايعوا سليمان. كما ان الخلافات القبلية كانت قد بلغت اشدها فضعفت الهمم في الفتوح وفترت العزائم ثم دفعت سياسة اللين التي سادت عهد عمر بن عبد العزيز سكان هذه المناطق اما الى دخول بعضهم الاسلام وقيام البعض الآخر بالثورة مما جعل عمر بن عبدالعزيز الى التخلي عما وراء النهر ولكن العرب في بخارى وسمرقند رفضوا الامتثال لاوامره. وعندما تولى الخلافة الخليفة الاموي هشام عام ٧٢٤ – ٧٤٣م عين نصر بن سيار واليا على ما وراء النهر فتم على يديه اخضاع معظم المناطق الاخرى واسترجاع ما كان قد فقد من المسلمين. وفي عام ٧٥١م احتل العرب (الشاش) اى طاشقند في الشمال الشرقي من سمرقند ونشروا راية الاسلام في ربوع آسيا الوسطى ومهدوا السبيل الى انشاء ملك لم تنازعهم اياه الصين.

وبذلك اندمجت التركستان في امبراطورية الاسلام الناشئة واحتك الاسلام بعنصر جديد له ثقافته العريقة واصوله الخالدة واستعداده العقلي لتقبل الشرائع الصالحة الخالدة.

مصدر لفظ (ترك) –لفظ ترك اطلقه (يافث بن نوح) عليه السلام على ابنه الرابع من اولاده. ولما كان هذا الابن غيورا وشجاعا وصاحب راي سديد وصرفة فقد عهد اليه (يافث) بالولاية بعد وفاته، ولما كان لقب والده (يافث اوغلان) فان اسم التركستان مأخوذ من اسم جدهم.

ولما تفرق الاولاد واصبحوا شعوبا وقبائل اشتهر منهم (اوزبك) و(اورغوز) و(اويغور) و(مغول) و(قبجاق) وكلهم منسوبون لاسماء سلاطينهم ورؤسائهم. وقد انتشرت هذه القبائل في الصحراوات

والغابات واستوطنت المدن والاقاليم واختلفت في معيشتها وطرق حياتها عن بعضها . وقد كان من هذه القبائل (التاتار) وهم قبائل رحل يتنقلون من مكان الى آخر سعيا وراء مراعي لاغنامهم . وشاعت شهرتهم في عهد جينكيز خان .

(جينكيز خان) – كانت قبائل المغول تعيش متفرقة لكل منها اميرها ونظامها الخاص بها . وكانت احدى هذه القبائل تحت امارة والد جينكيز خان الذي كان اسمه الاصلي (تيمو جين) .

وعندما مات ابوه وعمره ١٣ عاما تولى تيمو جين حكم القبيلة ، وكان شديد الذكاء حسن التدبير وسياسيا ماهرا فتمكن بمرور الوقت من جمع قبائل المغول في وحدة واختاره رؤساء القبائل امير عليهم ولقبوه (جينكيز خان) اي (القوي الجبار) . وكان في ذلك الوقت يحكم السلطان محمد الملقب بخوارزمشاه بلاد خراسان وخوارزم وما وراء النهر وتركستان وكاشغر وختن وكان قوي الجانب حتى انه حارب الصين كما يذكر المؤرخون سبعين مرة انتصر في جميعها ماعدا معركة واحدة فقط هزم فيها . وقد انطلقت جيوش خوارزمشاه الى غزنين والهند فاجتاحها جميعا ثم زحف الى بغداد ليعزل العباسي الناصر لدين الله وكان تحت امرته (٣٠٠٠٠٠) جنديا ولما علم الخليفة هدفه ارسل اليه في همدان الشيخ شهاب الدين سهروردي رسولا ووسيطا للسلام وحقنا لدماء المسلمين وخاصة ان الخليفة من بنى العباس وهم اهل النبي عليه الصلاة والسلام .

ولكن خوارزمشاه كل مصرا على عزل الخليفة وتنصيب آخر بدلاً منه . ووجد الشيخ شهاب الدين عدم جدوى المناقشة فعاد الى بغداد وكان الوقت خريفاً ثم أعقبه شتاء بارد وثلوج كثيفة مما عرقل تقدم خوارزمشاه نحو بغداد وساء حال جنوده وأصيب بخسائر كبيرة فعاد بهم الى خوارزم .

وما أن عاد الى بلاده حتى حضر اليه وفد من أعيان المغول عدده (٤٠٠) ومعهم سفير يحمل رسالة الى خوارزمشاه وهدايا نفيسة وأوان فضية تحوى مسك التبت وبلاد التاتار وكميات كبيرة من الديباج والعقيق والنسيج النادر من الصوف الأبيض والأخضر . وقد أظهر الوفد للسلطان محمد رغبة قائدهم جينكيز خان أمير المشرق أن يعيش في سلام ووئام مع السلطان محمد أمير المغرب ، وأنه يحبه كولده ، ورغم اشمئزاز السلطان محمد من هذا العطف الأبوى الذى أبداه جينكيز خان توثقت بينهما صداقة ظلت حتى وصلت نهايتها عندما جاء رسل من عند جينكيز خان ومعهم رسالة للسلطان محمد خوارزمشاه أثارت ثائرته فأمر نائبه غير خان على اقرار بقتل الرسل . ورغماً عن هؤلاء كانوا من المسلمين وكانوا موضع رعاية من جينكيز خان لنشاطهم التجارى الواسع في بلاده . فقد أسرع غاير خان بقتلهم جميعاً ولكن أحدهم استطاع الهرب ليروى للأمير المغولى تفاصيل المذبحة التى دبرت لهم – ولم يتملك السخط جينكيز خان فجأة بل أوفد رسولاً يستوضح باسمه الأمر ولكن مصير هذ الرسول كان كمصير من سبقوه اذ سجن ثم قتل . ولم يستطع جينكيز خان من تمالك غضبه فقد كان لواء النصر معقودا له في الشرق ولكن سلوك السلطان محمد خوارزمشاه الشائن من سفك دماء الرسل المسالمين المسلمين بدون ذنب أو جريرة دفع جينكنيز خان الى أن يجعل هذا السلطان الظالم في سيل من الدماء ويخسر أرواح آلاف الآلاف من أعوانه . وشعبه ويخسر ايضا أرضه وملكه .

كان السلطان محمد خوارزمشاه هو الذى أيقظ الفتنة وهو المسئول الأول عن المصائب والدمار

الذى أنزله المغول بالبلاد وكان البادى بالظلم والجور والطغيان.

لقد اجتاح المغول شواطئ نهر سيحون بمائة وعشرين ألفاً من الفرسان وعند ما بلغ الخبر خوارزمشاه جمع جيشه المكون من أربعمائة وعشرين ألف جندى وأسرع لمواجهة جيش جينكيز خان ولكن الدهر قلب ظهر المجن خصوصاً وأن الغرور كان يملأ نفسه فكان في كل مكان يستريح فيها الجيش يجلس يحتسي الخمر ويغني الشعر بالفارسية :

اى دل جوزمانه ميكند غمـنا كت   تاكله بـــرود زتن روان باكت

برسبزه نشين وخوش بزى روزى جند   زان بيش سبزه بردمد از خاكت ،

معناها بالعربية - (لا تدع للآلام الى قلبك سبلا - فأنت لابد مغادرتك الدنيا كرها عن قريب . فاستمع الربيع وبهئه حتى ستقضي - فمن ترابك سوف تنمو الحشائش آخر المطاف.

وأخيراً علم السلطان محمد بوصول (جوجي خانّ) ابن جينكيز خان مقدمة جيش أبّيه الى حدود تركستاًن انتظاراً لحضور والده ببقية الجيش . فأسرع بمهاجمته ولكن جينكيز خان كان قد وصل ولم تلبث الدائرة دارت على جيش خوارزم الذى امتلأ جنوده بالرعب فأسرعوا بالفرار من غير مقاومّة الى سمرقند ولم يبق مع خوارزمشاه سوى خمسين ألف جندى لم يتبق منهم عند فرارهم الى بخارى سوى عشرين ألفاً فقط . واضطر السلطان محمد خوارزمشاه الى الفرار مع أفراد عائلته وبعض أعوانه حتى التجأ الى احدى الجزر النائية ثم ما لبث أن توفي ودفن بملابسه بدون كفن بتاريخ ٢١٧ هـ وكان خطباء جينميز خان يعلنون في كل البلاد على لسانه قوله :

(أعلموا أنكم قداقترفتم كثيراً من الآثام وأن وزرها انما يقع على امرائكم ، واذا سألتموني عمن أكون أنا الذى أخاطبكم فاعلموا أني سوط الله الذى بعثني اليكم لانزل بكم عقابه وأريد منكم النقرة التى باعها اليكم خوارزمشاه ، فانها لى ومن أصحابي أخذت وهى عندكم .) وأمر جينكيز خان باشعال النار في مدينة بخارى التى كان أغلب مبانيها من الخشب وسرعان ما تحولت كلها الى رماد اللهم الا بعض المساجد والقصور التى كانت مبنية بالحجارة ، فقد ظلت قائمة بين الخرائب والدمار. وكانت المدة التى حكمها خوارزم شاه كما يذكر المؤرخون ٢١ عاماً ، واستطاع جينكيز خان أن يستولى على جميع الولايات التى كانت تحت حكم خوارزمشاه من تركستان وما وراء النهر وخوارزم وخراسان وايران والعراق وهند ولم يشهد التاريخ خراباً أو دماراً مثلما حدث في زحف المغول.

وفي عام ٦١٧ هـ قسم جينكيز خان جيوشه فاختص ابنه (جوجى خان) بتركستانّ وابنه توليخان مع خمسين ألف جندى ، لخرا.مانّ وابنه (جغتاى) ومعه (٨٠٠٠٠) محارب لما وراء الهر وخوارزم وخص جينكيز خان نفسه لسمرقند وقرشي وترمذ وبلخ أمّا ابنه (أوقتاى) خان فارسله مع (٦٠٠٠٠) محاربً الى هند ستان ، وغزنين وقال له الا يتعدى حدود ما كان يمتلكه خوارزم شاه .

وبعد أن تم فتح هذه البلاد جميعاً قام جينكيز خان بتعيين ابنه (جوجى خان) والياً على صحراء قبجاق ، فسار اليها باعلامه وطبوله لتقاليدهم وعين ابنه (جغتاى خان) والياً على تركستان وما رواء النهر.

عاد جينكيز خاًن الى بلاده عام ٦٢٠ هـ بعد حروب دامت سبع سنوات هلك من جنوده أكثر من ثلاثمائة ألف جندى من جنوده الذين بلغ عددهم أكثر من خمسمائة ألف . وبعد خمس وعشرين عاماً من حكمه مرض وجمع أولاده وأعوانه وأخذ عليهم عهداً بالا يتحاربوا فيما بينهم ووصاهم بطاعة ولي عهده (أوكتاى قاآن) ، وأن يكون (قرا جار نويان) و (جغتاى خان) مستشارين له ، ثم أعطى كل ابن من أبنائه رمحاً وأمره بكسره فكسره ثم جمع عدداً من الرماح وأمر كل منهم بكسرها فلم يستطع فقال لهم أنتم مثل الرماح اذا تفرقتم العدو كسركم واذا اتفقتم لن يتمكن منكم . وبعد وصيته هذه مات عام (٦٢٤) (١٢٢٧ م) بعد عمر ٧٣ عاماً وبعد أن قضى سلطاناً ٢٥ عاماً .

(جوجى خان بن جينكيز خان)

تولى حكم خوارزم وصحراء قبجاق ومات بعد مدة وكان أولاده سبعة ، وتولى الحكم بعده أرشدهم (باتوخان) الذى قام بفتوحات بقية قبجاق وآلان واوروس وبلغار ، وكان مقر حكمه في شهر ايمل وبنى شهر سراى ومات بتاريخ ٦٥٣ هـ ثم تولى الحكم بركة خان . وباتوخان صاحب آلتون اوردا ـ أى سرادق الذهبية ـ وسيأتي مفصلاً (جغتاى خان) تولى ولاية كشغر واختار لنفسه عاصمة مع تركستان وما وراء النهر وبلخ الى غزنين وكان سياسياً عاقلاً ، وكان مستشاره الأمير قراجار نويان ، وقد أعطى ماوراء النهر للأمير جوبان من أولاد (تومنه خان) واسمه (قاجقولى بهادر) ورغماً أن جغتاى كان أكبر من أخيه (أوقتاى خان فقد كان يحترمه تنفيذاً لوصية والده جينكيز خان ومات عام ٦٤٠ هـ .

(أوقتاى خان) :

تمكن من فتح بلاد الصين ثم توغل في أراضي روسيا وبلغار وجركس خلال سبع سنوات ثم قام باصلاحات في بلاده التى خربت في الحروب وأمر ببناء (شهر هرات) من جديد عام (٦٣٠) وكان يحترم من دون العقائد الدين الاسلامى . ومات عام ٦٤٨ هـ وفي أيامه انتشر الاسلام في الصين فالجوامع الموجودة هناك الآن من بناء ذلك العهد فطائفة التونكان من الذين أسلموا في تلك المدة ، ولم تنقطع مراسلته مع الملك الظاهر بيبرس بمصر بواسطة بركه خان .

(كيوك خان بن أوقتاى قاآن سلطان) :

جلس على عرش والده في عاصمة (قرا قورم) ومات بعد سنة واحدة من حكمه وتولى العرش بعده (منكو قاآن بن توليخان) رابع نسل جينكيز خان لأنه لم يكن له ابناً كبيراً يخلفه على العرش .

(منكو قاآن) :

ابن توليخان بن جينكيز خان وقد أرسل أخاه هولاكو خان مع مائة وعشرين ألف جنديّ الى ايران وخراسان كما قاد الجيش بنفسه الى الشرق ومات عام ٦٥٥ هـ ومدة حكمه ١٧ عاماً .

(قوبلا قاآن) :

ابن توليخان ، قاد الجيش مراراً الى ولايات الصين ثم بنى شهر خان بالغ وأمر هولاكو بقيادة الجيش من العراق الى الشام ومصر وحكم ٣٥ سنة ومات وعمره ٧٢ عاماً .

(تيمور قاآن هفرة) :

بعد وفاة قوبلا قاآن خان تولى الحكم (اولجاتيو خانً) ابنه وولى عهده وكان مصاباً بالصرع ولذلك كانت مقاليد الأمور بيد زوجته وقد أنجب ١٥ وفي رواية أخرى للمؤرخين ١٩ وكان مقر سلطته (أولوغ يورت) وكان آخر نسله (تانيرى أوغلان) في أيام الأمير تيمور فر من بلاده وأسلم على يد الأمير تيمور وصار ملكاً على قبائل قلماق ثم مات شهيداً .

(نسل حينكيز خان بصحراء قبجاق) :

عددهم اثنان وثلاثون أولهم (جوجى خان) ثم باتوحخان المشعب المشهو ريشجاعته (جركس) الذى أمر بقتل كثير من الناس وقطع الأذن اليمنى لمن يقتل وبلغ عدد الاذن (٢٧٠٠٠٠) أذناً وبعده ابنه (بركه خان (٨) الذى دخل دين الاسلام وآخر نسلهم من السلاطين (جاني بيك خان) .

(٨) بركه خان ّ - ان أول من أسلم من أولاد جينكيز خان هو (بركه خان بن جوجى خان) وقد سافر من سقسين سنة أربعين وستمائة الى بخارا لزيارة الشيخ سيف الدين الباخرزى شيخ الاسلام فوقف على باب زاويته الى الصباح ثم دخل وقبل رجل الشيخ واسلم واسلم معه جماعة من أمرائه فتأكدت الصحبة بينه وبين الشيخ الباخرزى فأشار اليه الباخرزى بمكاتبة الخليفة المستعصم بالله وموالاته ومبايعته ومهاداته فكاتب بركه خان الخليفة وبعث اليه هدايا وترددت بينهما الرسل والمكاتبات والتحف والمهادات و أسلمت زوجته كيجيك خاتون واتخذت لنفسها مسجداً من الخيم تسافر به ينقل الذهبى عن قطب الدين كان بركه يعطف على المسلمين وله عساكر عظيمة ومملكته تفوق مملكة هولاكو من بعض الوجوه ، وكان يعظم العلماء ويعتقد في الصالحين والعارفين بالله ولهم حرمة عنده وكان يميل الى صاحب مصر ويعظم رسله ويحترمهم وتوجه اليه طائفة من أهل الحجاز فوصلهم وبالغ في احترامهم وأسلم هو وأكثر جيشه وكانت المساجد التى من الخيم تحمل معه ولها أئمة ومؤذنين وتقام فيها الصلوات الخمس جماعة وكان شجاعاً جواداً عادلاً حسن السيرة يكره الاكثار من سفك الدماء وعنده حلم ورأفة وصلاح ، قال كارامزين - التاتار لما قبلوا الاسلام أقبلوا اليه بالكلية لا سيما بركه خان فانه أعلن نفسه بأنه حامى القرآن والشريعة والدين وخادمها فأسلم قوم التاتار تبعاً

لسلطانهم وقد قتلوا واحداً من الروس غيرة لدين الاسلام في عهد منكو تيمور خان لتكلمه في حق الاسلام بما لا يليق وملأ جلده بالتبن .
وكان بركة يجلب العلماء والفضلاء من أطراف العالم وكاتب الخليفة المستعصم بالله مرات عديدة وبايعه وهاداه وأتم بناء بلدة سراى وأن أخاه باتوقد بنائها فصارت من أعظم البلدان وأحسن المدن وأنزهها وقال ابن عربشاه ، ولما تشرف بركه خان بخلعه الاسلام ورفع في أطراف الدشت القفجان للدين الحنيفي الاعلام واستدعى العلماء من الاطراف والمشايخ من الآفاق والأكناف ليوقفو الناس على معالم دينهم ويبصروهم على طريق توحيدهم ويقينهم وبذل على ذلك الرغبات وأفاض على الوافدين منهم بحار العبات وأقام حرمة العلم والعلماء وعظم شعائر الله وشعائر الأنبياء وكان عنده في ذلك الزمان ، وعند أزبك خان بعده وجاني بيك خان مولانا قطب الدين العلامة والعلامة الرازى والشيخ سعد الدين التفتازاني والشيخ جلال الدين شارح الحاجبية وغيرهم من الصلحاء والعلماء الحنفية والشافعية .
(تولى الملك بركه خان عام ٦٥٢ هـ ووقع الخلاف والمحاربة بينه وبين ابن عمه هلاكو بن تولى بن جينكيز ، وذكر المؤرخون كثيرا من الأسباب ونحن نذكر هنا بعضها . منها أن بركة خان عليه الرحمة باسلامه أصبح مظهر الأوصاف والجلال حامياً لأهل الاسلام ، وهلاكو باصراره على الكفر وانغماسه فيه صار أشد الأعداء للملة المحمدية ولا شك أن مقتضي تلك غير مقتضى هذه ، وكان بركة يوالى الخليفة في حياة أخيه باتو ويمنع هلاكو من التعرض له ومنكو قاآن اقامه باتو قا انا ولما استقل منكو قاآن بالعرش وعلت كلمته جاءت اليه رسل أهل قزوين وبلاد الجبال يشكون من سوء مجاورة الملاحدة وضررهم فجهر أخاه هلاكو لقتال الملاحدة وقطع دابرهم ودولتهم فلما استولى عليها حسن لأخيه منكوآآن أخذ ممالك الخليفة والاستيلاء على أعمالها فاذن له فيه فخرج لذلك فبلغ ذلك بركة صعب عليه لما كان بينه وبين المستعصم من الموالاة وتأكد المودة بوصية الشيخ الباخرزى فذكره على أخيه باتو الذى كان قد ولى منكو فاآن القاآنية وقال له أننا نحن اقمنا منكو قاآن وما جزانا على ذلك الا أنه أراد أن يكافئنا بالسوء في أصحابنا وينقض عهدنا ويتعرض الى ممالك الخليفة وهو صاحبي وبيني وبينه مكاتبات وعقود ومودة وفي هذا ما لا يخفي من القبح والشناعة فبعث بأتو الى هلاكو بالنهى عن ذلك وأنه لا يتعدى مكانه فجاءته رسل باتو بذلك وهو فيما وراء جيحون قبل أن يعبر بالعساكر فما عبره واقام في موضعه سنتين كاملتين امتثالاً لأمره ، حتى مات باتو وتسلطن أخوه بركه فحينئذ قويت أطماع هلاكو وبعث الى أخيه منكو قاآن أن يستأذن في امضاء ما كان أمره به في امضاء ما أمره به من قصد ممالك الخليفة وحسن لذلك فأخذ به فسار بهلاكو يقصد الملاحدة وأعمال الخليفة ، فأوقع بالملاحدة واتهم سبعمائة نفر من أكابر همدان وتلك البلاد المضافة الى باتو ثم الى بركة بالميل الى بركة والمباطنة على هلاكو ومنكو قاآن وقتلهم عن آخرهم وامتد في البلاد وقصد دشت فجاق فزحف اليه بركة في جموع لا تحصى والتقيا واستمر القتل في اصحاب هلاكو وهم بالهزيمة ثم حال نهر الكربين الفريقين وعاد هلاكو وعاث في البلاد واستحكمت العداوة بينهما آه ما أذكره ابن فضل الله عمرى ورزاده ابن خلدون ـ (سار هلاكو الى بغداد فكانت له الواقعة المشهورة وقال ابن خلدون في موضع

آخر نقلا عن الملك المؤيد تفيد تعدد الواقعة) أنه حدثت الفتنة بين بركة وبين قبلاى قاآن حتى آل الأمر الى وقوع الحرب بين بركة وهلاكو فاقتتلا في سنة ٦٦٠ هـ فهاتان العبارتان تدل بتعدد الواقعة بينه وهلاكو والحاصل ان السبب لوقوع الحرب بينهما هو طغيان هلاكو وقتله العباد خصوصاً قتل الخليفة الذى هو أعظم الفساد ولذلك قال الذهبي الذى هو مؤرخ الاسلام وممن لا يقول القول الا بعد التحقيق أن من أعظم الأسباب لوقوع الحرب بين بركة خان وهلاكو هو قتل الخليفة آه غير أن بركة خان لما لم يمكن له القيام بطلب دم الخليفة وقد ثار المسلمين لسببين ما نعين أحدهما أن أكثر عسكره كانوا في ذلك الوقت كفاراً ومن أسلم منهم كانوا قريب عهد في الاسلام وترسخ يسق جينكيز في قلوبهم . وقتل الخليفة والاستيلاء على بلاد المسلمين ليس بجناية موجبة للقتال بل هو فخر لهم والثاني أن منكو قاآن الذى هو الحاكم المطلق على جميع أولاد جينكيز ، وبمنزلة الخليفة بالنسبة للمسلمين كان أخاً لهلاكو وقد فعل ما فعل بأمره واذنه فحرب بركة هلاكو هو حرب منكو قاآن لذا صار يتشبث باذيال الحيل لابداء شئ يكون في الظاهر سبباً موجباً لقتال هلاكو لذلك يقترح على هلاكو أشياء كثيرة مثل ادعاء مراغة وتبريز لنصيبه وطلب ما كان يرسله لبيت باتو من الغنائم وغير ذلك مما ذكره المؤرخون . وزعموا حقيقة وليس كذلك بل كان قصده حمل هلاكو على الغضب والضجر حتى يكون طانباً لحربه ، وكان بركة يدبر أنواع التدابير لأجل ذلك اذ مات منكو قاآن وقد خرج بعساكره بقصد بلاد خطا لعصيان بعض ملوكها وأخذ معه أخاه قبلاى واستخلف مكانه أخاه الأصغر (آرتق بوغا) فلما مات منكو قاآن اتفق الأمراء أن يجلسوا قبلاى مكانه على تخت القاانية فلما سمع بركة خان ذلك الخبر اغتنم الفرصة اليه (قيدو بن قاشين بن أوكناى لما تفرس فيه العقل والتدبير والشهامة والشجاعة وأرسله الى آرتق بوغا مع بعض العساكر قائلا بأنك الأحق بالقاآنية دون أخيك قبلاى لأن منكو قاآن رتبك فيها فقم بطلب حقك ولا تطع القبلاى وأنا قد أرسلت قيدوين قاشين مع عساكره نجدة وضممت اليه مقداراً من العساكر فان احتجت الى الزيادة فأنا معك فقام آرتق بوغا بطلب القاآنية وبايعه من معه من العساكر فنشب بينهما قتال من ذلك التاريخ وكان ذلك في سنة ٦٥٨ هـ ودامت المحاربة بينهما سنين كثيرة وكان هلاكو قد توجه في التاريخ المذكور نحو بلاد الشام بأربعمائة ألف مقاتل واستولى عليها وأراد أن يسير الى مصر وبينما هو في هذا الفكر اذ بلغه خبر موت منكو قاآن ووقوع الخلاف بين أخيه قبلاى وآرتق بوغا وبلغه أيضاً أن أولاد جغتاى قد رفعوا ألوية العصيان في ما وراء النهر على قاآن بسبب اغواء بركة خان اياهم فاظلمت الدنيا عليه ولم يهنأ بفتح الشام وتكدر خاطره غاية التكدر ولم يستصوب الاقدام على محاربة المصريين تاركاً البلاء الأعظم وراءه فكر راجعا الى مقره بعد أن ترك بالشام أميراً من أمراء المغل اسمه كتبوغا من أرباب الشجاعة والدهاء مع عشرة آلاف عساكر فاستأصلهم المصريون وصاحب مصر اذ ذاك الملك قطز عند عين جالوت كما هو مسطور في التاريخ وهذا أيضاً من أعظم حسنات بركة خان عليه الرحمة حيث صد هلاكو الطاغية بهذا الجيش الكبير الذى لا تطيقه الجبال الشوامخ ، بتدبيره ذلك ولولاه لانصدع شعب الأمة المحمدية وهى عمود الملة الأحمدية .

وفي محاربة بركة خان عليه الرحمة ابن عمه هلاكو ومطانبته اياه بدم الخليفة من أجل الاسلام والمسلمين عبرة عظيمة للمعتبرين وذكرى كبيرة للمستبصرين ودلالة قوية على أن الله سبحانه متكفل لحفظ هذا الدين كما أخبر في التنزيل المبين حيث أنه سبحانه قيض في زمن كاد أن ينفصم فيه عرى الاسلام ولم يبق من ينصره بين الأنام الامن نفسربيت جينكيزخان الذى أباد ملوك الزمان وحدث بسببه أعظم الحدثان ومن أقرب الناس اليه من يتعصب للدين ويحارب أقاربه وأبناء أعمامه لطلب قصاص خليفة المسلمين وينبذ قانون جده وراء ظهره وما ذلك الا معجزة للنبي ﷺ فانه لم ير مثله في التواريخ بعد القرن الأول الى وقته ولهذا كثر الثناء عليه من كبار العلماء وخير الفضلاء وهو حقيق بما هنالك .

قال العيني واجنابي وغيرهما . كان بركة يحب العلماء والصالحين ومن أكبر حسناته كسره لهلاكو وتفريقه جنوده وفك الاسارى من يده وكان الملك الظاهر يكرم رسله ويهاديه وكان لا يقطع مكاتبته ومراسلته منه آه وقال جمال الدين تنكرى بردى صاحب النجوم الزاهرة في ص ٢٢٢ من الجلد اسابع وفيها أى في عام ٦٦٥ توفي بركة خآن ابن جوجى خان بن جينكيز خان ملك التاتار وهو ابن عم هلاكو وكانت مملكته عظيمة متسعة جدا وهى بعيدة عن بلادنا وله عساكر وافرة العدد وكان بركة خان يميل الى المسلمين ميلاً زائدا ويعظم أهل العلم ويقصد العلماء ويتبرك بهم ووقع بينه وبين ابن عمه هلاكو وقاتله بسبب قتله الخليفة المستعصم بالله وغيره من المسلمين وكان بينه وبين الملك الظاهر بيبرس مودة ويعظم رسله وكان قد أسلم هو وكثير من جنده وبنى المساجد وأقيمت الجمعة ببلاده وكان جواداً عادلاً شجاعا ومات في بلاده في هذه السنة وقام مقامه منكوتيموراه تم لما اسلم زغلوق تيمور ببلاد كشغر أسلم معه (١٦٠٠٠٠) نفرا من المغول ومما كتبه الملك الظاهر بيبرس ببركة خان ويغريه بابن عمه ويقيم الدليل على أنه يحب العلماء ويجب عليه الجهاد التاتار لأنه تواترت الأخبار باسلامه ويترتب على ذلك جهاد الكفار ولو كانوا أهله فان النبي ﷺ قاتل عشيرته الأقربين وأمر أن يقاتل الناس حتى يقولوا لا أله الا الله محمد رسول الله وليس الاسلام قولا باللسان فقط والجهاد أحد أركانه ويقول فيه (وقد تواتلار تواترت) الأخبار بأن هلاكو رجل زوجته النصرانية أقام دين الصليب وقدم مراعاة دين زوجته على مراعاة دينك ، وأسكن الجاثليق الكافر مواطن الخلفاء ايثار الزوجته عليك ، ومن جملة ماكتبه بركه خان للملك الظاهر (ا تعلم أني محب لهذا الدين وأن هذا العدو يعنى هلاكو قد تعدى على بلاد المسلمين وقتل واستولى على بلادهم وقد رأيت أن تقصده أنت من جهتك وأقصد أنا من جهتى ونصدمه يد واحدة (ولك البلاد وأنا أعطيك ما في يدى من بلاد الاسلام) .

فشكر له الملك الظاهر على ذلك ونفّذ اليه هدية سنية ورسولا آهـ من قول المفضل نقل عنه صاحب تلفيق الأخبار ص ٤٣٦ ج ١ وقال في زبد فالفكرة للأمير بيبرس الداوذ دار المنصورى (وصلت رسل بركة خان ملك التاتار وعلى أيديهم كتاب يتضمن ذكر من أسلم من بيوت التاتار وخرج عن زمرة الكفار وتفصيلهم بقبائلهم وعشائرهم وانفارهم وعساكرهم وصغيرهم وكبيرهم

وقال : (دخل في دين الاسلام اخواننا الكبار وأخواننا الصغار وذراريهم وأولاد بوداكور بخشمهم أولاد بولاد وكوكاجو وبيسونوغاى ومن في بلادهم قودغو وقراجا وتنسقبو غاوشرامون ، وبوزياكو ومنقدار بجيوشه وسواد ، بيك وبيك قداى باينال نوين وايكاكو وتوقوزاوغول وقتلغ تيمور واجى وذريته ودرباى والتزمان الذى توجّه الى تجريد خراسان وكل من توجه صحبةبايجبو مثل باينال نوين وايكاكو كل هؤلاء أسلموا بأسرهم وقاموا بالفرائض والسنن والزكاة والغزاة والجهاد في سبيل الله وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وماكنا لنهتدى لولا أن هدانا اص) . وقرأ آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون الخ فليعلم السلطان أننى حاربت هلاكو الذى من لحمى ودمى لاعلاء كلمة الله العليا تعصباً للدين الاسلامي لأنه باغ والباغي كافر بالله ورسوله) ثم ذكر من أرسله مع الخطاب ومنهم ابن شهاب الدين غزى معهم لأنه كان حاضراً في الواقعة ليحكي للسلطان ما رآه بعينيه من عجائب القتال وليوضح لعلم السلطان أنه موفق للخيرات والسعادات لأنه أقام أماما من آل العباس وهو الحاكم بأمر الله فشكرت همته وحمدت الله تعالى على ذلك الخ والكتاب مطول والتاريخ مستهل رجب سنة ٦٦١ هـ اهتلفيق الأخبار أن الملك الظاهر من غاية محبته للملك بركة سمى ولده الأكبر باسمه محمد بركة .

(ذكر هلاك هلاكو) :

أعلم أنه لما تمت الهزيمة لجيش هلاكو أمام الملك بركة وتفرقت عساكره وكاد من تراكم الهموم عليه أن يتعطل من الحركة ، لأنه وقع بين العدوين القويين كل منهما قد كسره كسرة شنيعة غير قابل للانجبار الملك الظاهر من طرف الجنوب والغرب والملك محمد بركة من جهة الشمال والشرق ويفكر هلاكو في أخذ الانتقام والثأر منهما وذلك غاية مرامه ولكن استشعر من نفسه العجز في ذلك لما شاهده من عبوسة وجه أيامه وهبوطنجم اقباله ، وسماع ما بين الملكين من الصلات والموالاة كان يرش الملح في جرحه ويزيد في آلامه ومع ذلك أمر بجمع الجيش والعساكر وأراد أن يتهيأ للحرب كل من يقدر على حمل السلاح من رعاياه الأكابر منهم والأصاغر حتى ينتقم من بركة أولاً ثم من المصريين والشاميين ثانياً ، وبعد جملة الوقائع والتدابير قال له الأمير جلال الدين ابن الداودار الكبير ـ أن في سواد بغداد وقراها ألوفاً من أتراك دشت القفجاق وفيهم معرفة تامة بطرق تلك البلاد ومسالها اللازمة في الحرب والجهاد فان أذن لى الخان اجمع منهم عساكر كثيرة وجيوشاً كبيرة حتى يكونوا في مقدمتنا حين توجهنا الى بلاد الدشت ، فاستحسن هلاكو منه ذلك وأمر بامضاء ما اقترحه هنالك فكتب الأوامر والفرمانات الى ولاة ايلخان ونوابه الكائنين بسواد العراق وبغداد وأطراف بلاد قرامان بالمساعدة للأمير جلال الدين المذكور فيما يرومه من الأمور من اعطاء ما يريده من الخزائن ومن الآلات والخيول وأن لا يمانعه أحد فيما يبطش ويصول ، فتوجه الأمير جلال الدين نحو مقصده في شهور سنة ٦٦٢ هـ فجمع جمعاً عظيماً ممن يستحسنه من أرباب النجدة ويتوسم فيه الاقدام والشجاعة وأخذ من الخزائن مبلغاً كثيراً وشيئاً كبيراً فلما قضى وطره من ذلك قال لأصحابه سنزور أولا مرقد الامام حسين ثم نتوجه نحو المقصد بلا مين فلما عبر بهم الدجلة بهذا العذر قال لهم ـ أنا عازم الى

الشام ومصر ولا أريد أن أجعلكم طعمة لسيوف قفجاق أو تقتلوا القفجاق بسيوفكم وهم من جنسكم لأجل هلاكو الكافر فمن وافقني في هذا فبها ونعمت والا فليرجع الى منزله ومقره فانه في سعة من ذلك ، فرافقه جميعهم طوعاً أو خوفاً من المطالبة والمؤاخذة وتوجهوا كلهم الى الشام عن طريق الخدشة والعانة كذا في روضة الصفاء وكل هذه الحركات كان يتعلم من الملك بركة خان فانخرطوا في سلك العساكر المصرية ولما بلغ ذلك هلاكو صار كأنه رش الملح الى جراحاته وانضم ذلك الى ما سلب عنه أولاً من راحاته واستولى على مملكة دماغة جيوش الأفكار وامتلأ عروقه من متصاعد البخار حتى أفضى ذلك الى أن ابتلى بمرض الصرع . فلم يلبث الا قليلاً حتى توجه الى لعنة الله [illegible] مصرا على عداوة المسلمين والاسلام وكان ذلك باتفاق المؤرخين في ربيع الأول سنة ٦٦٣ هـ ودفن بقلعة تلا على رسم الكفرة المغولى من دفن الجواهر الثمينة والجوار الملاح بحليهن معه لئلا يستوحش في حفرته على زعمهم الباطل . عن نيف ستين سنة ومدة سلطنته عشر سنين آهـ قال القراماني نقلا عن تاريخ البيضاوى ، أن بعضا من العارفين وأولياء الله أظهر كرامة عند هلاكو فصار ذلك سبباً لتخفيف عداوته للاسلام بالنسبة لحالته الأولى ، وأعطى ولده (تكودار) ليقوم بتربيته فأسلم على يديه وتسمى أحمد وتسلطن بعد ابغا اهج ٣ ص ٤٥٣ تبع هامش ٨٢ .

(نسل جينكيز خان في توران)

عددهم أيضاً اثنان وثلاثون أولهم (جغتاى خان) بن جينكيز خان وآخرهم (براقخان) وقد ذكر بعض كتب التاريخ أن الياس خواجة ومحمود خان من أولاد جغتاى خان .

(هلاكو خان بن تولى خان)

هو ابن جينكيز خان وفي عام ٦٥١ هـ قام على رأس مائة وعشرين ألف محارب بأمر أخيه (منكوقاآن) متوجهاً الى سمرقند ثم بلاد (كيش) المعروف الآن بـ (شهر سبز) أى البلدة الخضراء ثم توجّه الى ترمذ وبعدها عبر بالزوارق نهر جيحون حيث وصل الى خراسان وكانت تقدّم اليه الهدايا الثمينة من جميع البلاد التى مرّ بها وبويع من جميع ولايات العراق والفرس وما زندران . وكان يحكم بغداد في تلك الفترة الخليفة المستعصم بالله العباسي وكانت بغداد مشهورة بمبانيها وروعتها والنفائس التى تملأ خزائنها .

ووصل هولاكو الى همدان وأرسل خطاباً الى الخليفة يطلب الصلح بينهم واظهار الصداقة ولكن كان رد الخليفة شديد اللهجة مما أشعل صدر هولاكو غضباً وأسرع صوب بغداد وحاصرها وعندئذ أراد الخليفة المستعصم بالله الصلح فرفض هلاكو ودارت الحرب ستة أيام أشعل هلاكو فيها النار في بغداد وحاول الخليفة مرة أخرى فأرسل ابنه أبوالفضل عبدالرحمن مع أعيان مملكته ومعهم هدايا فرفضها هلاكو فاضطر الخليفة التوجه مع أبنائه الثلاثة والغنفر من أعوانه الوزراء والمشايخ والعلماء والأعيان فقابله هلاكو باحتفاء وتنظيم ولكنه كان يخفي خلف ابتسامته حقداً مريراً على الخليفة لخطابه

الذى سبق أن أرسّله الى هلاكو ثم طلب منه هلاكو أن يدعو جميع أهل بغداد فحضروا جميعاً بدون أسلحة وعندئذ أمر هلاكو بقتلهم جميعاً ونهب أموالهم وتخريب ديارهم . وفي يوم الجمعة التاسع من شهر صفر عام ٦٥٦ هـ دخل هلاكو دار الخليفة وقال للخليفة أنه ضيفه فصدقه الخليفة وقدم له هدايا وذهباً كثيراً ولكن هلاكو لم يلتفت لهذه الهدايا بل أمر بتقسيم الأمراء والحاضرين وبعد ذلك طلب الخليفة أن يدله على الخزائن السرية المدفونة وأسرع الخليفة بالاشارة الى فناء قصر الخلافة فأمر هلاكو بحفر الفناء حيث أخرجوا منه أوصال ذهب وزن الواحد مائة مثقال وفضة ومجوهرات استولى عليها هلاكو جميعها . وأمر هلاكو بمنع الطعام عن الخليفة وبعد أن شاوّر أمراءهفي أمر حياته أشاروا عليه باعدامه لأنه أمير المؤمنين وخليفة المسلمين فان تركوه فقد يجمع الجنود مرة أخرى ويحارب المغول و الأفضل اعدامه . ثم أمر هلاكو بلفه بقماش مثل الكفن ثم ينهال عليه الجنود ضرباً وهكذا مات الخليفة ميتة شنيعة ولحقه بنفس الطريقة أولاده كما قتل جميع من بقي معهم . وبعد أن تم نهب بغداد أرسل هلاكو رسله الى منكوقاآن أخيه مع جميع الكنوز والأموال التى نهبوها ليهنئه ويبشره بهذه الفتوحات .

بعد فترة استراحها سار بجيشه الى طريق حلب وديار بكر ونصيبين لفتح الشام ومصر. وفي الطريق كان يأمر بقتل كل مخلوق حى حتى الأطفال الرضع وخاصة في مدينة حلب التى قتل أهلها وأحرق ديارهم بعد أن نهبها .

وقد أمر هلاكو ببناء كنيسة باذربيجان تكريماً لزوجته النصرانية ومات بعد ٤٨ في شهر مراغة وكانت مدة حكمه ١٨ عاماً . لقد لعنه الله الى يوم القيامة لما قام به من أعمال وحشية وغدر وخيانة وجلس بعده على العرش ابنه (أباقان خان) الذى مات عام (٦٨٠ هـ) بعد سبعة عشر عاماً من الحكم .

(سلطنة تكودار)

هو ابن هلاكو وقد هداه الله الى دين الاسلام فتسمى نفسه (السلطان أحمد) وأمر بهدم جميع الكنائس التى بنيت في عصر هلاكو واباقاآن من أرض جيحون الى الشام وبنى بدلاً منها مساجد .

كما كان يرسل كل عام أوقافاً للحرمين الشريفين من بغداد . كما قام بالجهاد لتقوية الدعوة المحمدية جهاداً شديداً وكان يساعده في ذلك أخوه قنقور أوغلان الذى كان والياً على بلاد الروم .

وأخيراً قام أخوه (أرغون) بقتله والجلوس بدلاً منه على العرش لأنه كان لا يوافقه على اسلامه .

(أرغون) كان طاغياً جباراً عنيداً وما أن جلس على كرسى الحكم حتى هدم بيوت الله وأقام مكانها الكنائس ومات عام ٦٩٠ هـ بعد حكم دام سبعة أعوام .

(كيخاتون بن أبا قاخان بن هلاكو خان)

كان شديد الادمان للخمر والنساء وهتك أعراض الكثيرات من بنات الناس وقد قتل بعد أربع سنوات وجلس أخوه أبا خان مكانه ولكنه قتل أيضاً بعد ستة شهور. (أباقا خان).

(غازان بن أباقاآن):
أسلم غازان وسمى نفسه (السلطان محمود) وجاهد في سبيل رفع راية الاسلام ونشره وقتل كل من خرج عن هذا الدين القويم. وقد بنى كثيراً من المساجد والمدارس ومات سنة (٧٠٣) هـ.

(سلطان محمد خدا بندة):

هو ابن (أرغون أخان) بن اباقاآن تولى الحكم بعد أخيه غازان وكانت حدوده من الشام الى كنار جيحون طولاً ومن كرمل وآمل وقفجاق وآلان والروسيا والبلغار من طرف ما وراء النهر الى بيش بليغ وبلاد خطاى ومن خوارزم الى أرض باتوخان وكان اسمه (اولجايتوخان) ودامت مدة حكمه ١٤ عاماً ومات عام ٧١٦ هـ وعمره ٣٦ عاماً.

(سلطنة أبوسعيد بن محمد خدا بنده):
جلس على عرش أبيه بتاريخ ٧١٦ هـ بمساعدة الأمير جوبان الذى قسم المماليك التابعة له بين أولاده ولم يتبق للسلطان سوى أسمه ولكنه تدريجياً استرد بلاده من أيدى أولاد الأمير جوبان، ومات عام ٧٣٦ هـ بعد حكم دام عشرين عاماً.
(أربه خان) هو أيضاً من نسل جينكيز خان وبعد سنة قتل فقد كان السلطان أبوسعيد ليس له أولاداً فحكم بعده (طغاى تيمور خان) ولكنه قتل بعد مدة فحكم بعده (سليمان شاه) من نسل هلاكو ولكن أمور الحكم تأبيد أولاد (جوبا نيون) حتى عام ٧٨٤ هـ ثم انقلب الحال في بلاد ايران والشام ومصر فحكمها حكام متفرقون.
وفي أثناء ذلك أشرق نجم الأمير تيمور بن طورغاى بهادر بن الأمير نويان بن الأمير ايلنكر نويان بن الأمير ايجل نويان بن الأمير قراجار نويآن ابن الأمير سوغان جيجن بن الأمير قاجقولى بهادر بن تومنه خان بن بايسنغر خان بن قيد وخان بن بوقا خان بن بوز سنجر خان بن آلان قوجان من قبائل برلاس.
ولد أميرتيمور عام (٧٣٦ هـ ليلة الثلاثاء ٥ من شهر شعبان بموضع طورغانية) بولاية (كيش) شهر سيز وكان ذلك تاريخ وفاة السلطان أبوسعيد. وفي ذلك الوقت كان ما وراء النهر تحت حكم أولاد جغتاى خان (السلطان غزان خان).

(الأمير تيمور كوكاركان) :

هو من قبائل برالاس أما فرع أسرته فكان (كركين) أى المليح أوكزكان . ومختلف فيه كما جاء بتاريخ ارمينوس ص ٣٠٦ وقد تعلم الأمير تيمور فنون الحرب والنزال مع أقرانه في سن الثانية عشرة ثم تولى الحكم سنة ٣٥ عاماً في عام ٧٧١ هـ ومات وعمره ٧٢ عاماً و ٣٨ يوماً ودام حكمه ٣٦ عاماً ، تمكن خلاله من حكم أكثر من ربع سكان العالم وقد توفي في ترار تركستان ودفن بسمرقند بعد أن ترك من أولاده وذرية ٣٦ نفراً . وكان ولى عهده (ميرزا بير محمد بن ميرزا جهانكيروكان والياً على غزنين وبسبب بعد المسافة أجلس الأمراء على العرش ميرزا خليل سلطان بن ميرزا ميران شاه بن الأمير تيمور . سلطان خليل (٧٨٦ - ٨١٤) هـ (١٣٨٤ - ١٤١١) م . وقد ازدهر عصر الأمير تيمور بالعلماء ومشاهير المشايخ والشعراء أمثال السيد أمير على همداني ومولانا سعد الدين التفتازاني وميرسيد الشريف الجرجاني والشاعر خوجة عصمت الله بخارى ومولانا بساطى السمرقندى ، ومولانا لطيف الله التيسابورى . وقد بلغ أولاده وأحفاده وأبناء حفدته في حياته ثلاثة وخمسين نفراً .

ورغماً عن أن تيمور كان من كيش من قبائل كينكس الا أنه اتخذ عاصمته سمرقند كما أمر في عام ٨٤ هـ ببناء قصر آق سراى في بلدة (كيش) وللآن يوجد بعض آثاره هناك وكان هذا القصر تحفة عصره ومعجزة البناء والعمارة .

(ميرزا ميران شاه) ابن الأمير تيمور حكم العراق والفرس سبع سنوات وقد قتله قرا يوسف تركمن وعمره ٣٥ عاماً .

(ميرزا خليل ابن ميران شاه) :

تآمر عليه بعد سنة من حكمه بعض الأمراء الخائنين ووضعوه في السجن ولما سمع بذلك ميرزا شاهرخ بن الأمير تيمور وكان والياً على خراسان وهرات أسرع بالحضور ونجاه من سجنه وأجلس مكانه ابنه ميرزا الغ بيك بسمرقند وأرسل ميرزا خليل حاكماً في الرى وملحقاته ومات مير زاخليل وعمره ٢٨ سنة بعد حكم دام سبع سنوات .

(شاهرخ بن الاسيرتيمور) :

ولد عام ٧٧٩ هـ وعند ما بلغ الواحد والعشرين من عمره عينه والده حاكماً على خراسان وما حولها وظل عليها سبع سنوات في حياة والده ثم استكمل واستقل بحكمها بعد وفاة أبيه وكذلك حكم ايران وبغض أراضى توران وبعد وفاته بولاية الرى ودفن مع والده بسمرقند وكان عمره ٧١ عاماً .

(سلطنة ميرزا الغ بيك بن شاهر خ)

ولد الغبيك في عام ٧٩٦ هـ وقد بلغت شهرته في الحكمة شهرة افلاطون وفريدون وفي العدالة شهرة أنوشروان وفي الكرم والعطاء شهرة حاتم الطائي ، وقد حكم بتاريخ ٨١٢ بسمرقند وبنى بها مدرسة وأخرى ببخارى في عام ٨١٤ هـ كما بنى مرصداً مشهوراً بدأه عام ٨٣٣ هـ على تل كوهك بسمرقند بمساعدة العلامة ابن قاضى الروم غياث الدين جمشيد ومعين الدين القاشاني وأتم البناء العلامة على القوشجي وكان به علماء الفلك والنجوم وقد قتل عام ٨٥٣ هـ بيد عبد فارسى يدعى عباس بأمر ابنه ميرزا عبداللطيف .

(**عبداللطيف ميرزا الغيك**) : لم تطل مدة حكمه فقد انتقم منه بقتله بيد أحد أتباع الغ بيك ويدعى باباحسين وذلك بعد ستة شهور فقط من حكمه عام ٨٥٤ هـ وبعد أن قتله فصل رأسه عن جسده وعلقها على فناء المدرسة العظيمة التى بناها الغيك كما علق بجانب رأسه قصيدة معناها (أن الذى قتل في سبيل الملك لا يليق بالحكم) .

(**السلطان أبوسعيد بن (١) سلطان محمد بن ميرزا ميرانشاه**) (٨٣٠ - ٨٧٢) هـ :

جلس على كرسى الحكم بسمرقند بمساعدة عبدالله رحمة الله عليه بتاريخ (٨٥٨ هـ وحكم مدة خمسة عشر عاماً حتى عام ٨٧٣ حيث قتل بيد ميرزا يادكار حفيد شاهر خ ميرزا وجلس على عرش هرات ولكنه لم يستمر في الحكم فقد قتله بعد عام واحد السلطان حسين ميرزا بايقرا وجلس على العرش مكانه .

(**السلطان أحمد ميرزا بن السلطان أبوسعيد**) : حكم بسمرقند ستة وثلاثين عاماً ومات في عام ٨٩٤ هـ .

---

(١) هو أبو سعيد التيمورى أحد مشاهير سلاطين التيمورية في عهدها الأول وهو أبوسعيد بن محمد ميرانشاه ولد عام (٨٣٠ هـ ٤٤٧ . ان جده جلال الدين ميرانشاه تولى بعد وفاة أبيه تيمور عام ٨٠٧ هـ ١٤٠٤ م على الاقليم الغربي للدولة الذى شمل فارس والعراق ولكن لم يلبث أن بسط أخوه شاهرخ سلطانه على الشرق والغرب معاقير أن بعد وفاته عام ٨٥٠ هـ ١٤٤٧ م أثارت الفتن بين أبنائه ففي خلال الخمس السنوات التالية تولى العرش ابنه الغ بيك الذى قتله ابنه عبداللطيف ليخلفه ثم أغتيل عبداللطيف ليخلفه ابن عمه عبدالله بن ابراهيم الذى قتل بدوره عام ٨٥٤ هـ ٤٠ بوزاهم أبي سعيد على أثر مقتل عبدالله السالف الذكر فعمل على توحيد الدولة ودام حكمه نحو ١٩ عاماً فاستولى على سمرقند عاصمة المشرق عام ٨٥٥ ثم غزا ماوراء النهر واستولى على بدخشان واتجه شرقاً فضم اليه كابل وقندهارو خراسان حتى وصل الى حدود الهند عام ٨٦٣ لكنه ما اصطدم في أقصى المغرب بامارة آق قويونلى التركمانية أوزون حسن هزم في معركة قرباغ ثم قتل عام ٨٧٢ هـ القاموس الاسلامى .

(**السلطان حسين ميرزا بن ميرزا منصور بايقرا**) :

هو ابن ميرزا منصور بن ميرزا غياث الدين ابن ميرزا بايقرا بن ميرزا عمر شيخ بن الأمير تيمور بدأ حكمه عام ٨٧٣ هـ بهرات ، وضرب بالعملة باسمه وخطب باسمه في المساجد مدة حكمه التى دنت ثمان وثلاثين عاماً .

وقد مات بعد مرض أصابه وكان عمره سبعين عاماً ودفن بمدرسة جامع هرات وفي عصره كانت هرات مجمع العلماء والشعراء والأدباء ويقال أنه بلغ عددهم عشرة آلاف عالم من أفضل العلماء وقد كثرت دور التفسير والتصوف وظهرت المؤلفات الدينية والتاريخية والأدبية مثل بستان المذاهب لمحمد محسن مدرسة المذاهب لعبد الرازق وتحفة الأحرار للخوجة عبيد الله وأنوار سهيلى ترجمة كليلة ودمنة عن الهندية ، وديوان مثنوى لطافت نامة وكتاب اللطف والجمال وغيرها من المؤلفات القيمة ، كما ازدهرت فنون كثيرة مثل الطخط والنقش والتصوير والزخرفة والرياضة والغناء والرقص وكثرت آلات العزف مثل العود والناى والقانون والطبول وغيرها .

كما اهتم الحكام بجانب الأدب بعلوم الحرب فكانت الحياة مزدهرة راقية في تلك الفترة .

(**الأمير على شير نوابي**) :

الأمير الكبير نظام عليشير نوابي كان وزيراً في عهد السلطان حسين ميرزاوكان وزيراً سياسياً ماهراً ومفكراً عاقلاً وأديباً شاعراً عالماً وكان مجلسه يضم صفوة من الشعراء والأدباء ، وألف مصنفات كثيرة تفوق الأربعين منها ديوانه التركى والفارسى (خمسة بنج كنج بالتركى) و (مجالس النفائس) بالتركى ومحبوب القلوب (بجانب مؤلفات فارسية وتركية وقد وشح كثير من المؤلفين كتبهم باسمه كروضة الصفا وحبيب السير ، وهفت أورنك) و(نفحات الأنس) ومات عن اثنين وستين سنة في عام ٩٠٦ هـ ودفن بجوار المسجد الذى بناه .

(**السلاطين الأوزبك**) :

(أوزبك) معناها ـ الحر المستقل وكان ازبك خان من أولاد جينكيز خان وكان مسلماً متديناً اسلمت على يديه أكثر قبائله واشتهر ازبكخان باجتهاده وجهاده في الاسلام . وحينما كان أولاد تيمور يلتمسون العون والمساعدة من قبائل ازبك أثناء حروبهم الداخلية فيما بينهم فانهم كانوا يسرعون لمعونتهم ويصالحون بينهم ، ولم تتخلف قبيلة من الاثنين والثلاثين قبيلة أزبكية عن هذا الغرض النبيل كما ذكر في التاريخ .

وكان الازبك يرعون قطعانهم الى الجنوب من خوارزم وينفذون من الشمال الشرقي الى أبعد من مجرى الأدني لسيحون حتى موضع سقي التيموريين فوطنهم الأصلى غالباً كان عند شواطئ نهرى أورال وأموية .

ولم يلبث الاسم الذى كان في أيام الجغتليين ينبيء عن التحقير أن صار على مر الزمن من القاب التشريف ذلك أن الترك من سكان الحضر يعرفون الأزبك وفي استنجاد حلفاء تيمور بهم ابان

الحروب الأهلية العنيفة التى كانت تقوم بينهم خير اثبات على ذلك . وكان الازبك يعودون بعد كل معركة من هذه المعارك مثقلين بالغنائم مما أضفي على حكم أبي الخير الذى استمر أربعين عاماً شهرة لم تتح لغيره من أمراء الصحراء . وهناك مثل تركماني يقول : (من اليسير أن تثير رمال الصحراء بانفاسك وأيسر من ذلك أن ينهار مستقبل الانسان) .

وقد كانت نتيجة ازدياد قوة أبي الخير خان وذيوع صيته أن أصبح له أعداء كثيرون بل لقد انقلب عليه أقرب أقربائه ومنهم يورغة سلطان ، واجتمع عليه الأمراء المستقلون في مناطق السهوب المجاورة .

وكما يقول المثل التترى : (حين يهاجم العدو مضارب أبيك فانضم اليه وشاركه السلب والنهب) فان أبي الخير لم يلبث أن سقط في حومة الوغى وتشتت أسرته بعد أن اجتمع عليه الجميع .

(أبوالخير خان بن دولت الشيخ أوغلان) :

هو نسل جوحى خان بن جينكيز خان وكانت البلاد التابعة له صحراء قبجاق وخوارزم وحدود تركستان ، وأنجب أحد عشر من الأولاد أرشدهم (شاه بداغ) الذى زوجه والده ميرزا الوغ بيك لتكون هناك مصاهرة بينهما ولم يلبث شاه بداغ في حمكه بعد وفاة والده فترة طويلة اذ توفي عام ٩٠٦ هـ وخلفه أخوه محمد شيباني خان وكانت أمه (فوزية خان من نسل جينكيز خان) على العرش وسرعان ما جمع الجيوش من الأزبك والقوازق واستولى على سمرقند التى كانت تحت حكم أبناء السلطان أبوسعيد التيمورى ثم استولى على بلخ بعد حروب قاسية وكانت تحت حكم ميرزابد يع الزمان بن السلطان حسين بايقرا وغادر بلخ بعد أن نهبت جيوشه المدينة وقتلت أهلها وخربت مبانيها ثم توجه الى هرات وخراسان وتمكن من اخضاع جميع مدنها وصارت جميعها تحت حكمه .

وفي تلك الأثناء كان الشاه اسماعيل الصفوى يتبع المذهب الشيعى فأرسل له محمد شيباني خان رسولاً من قبله يطلب منه الرجوع عن المذهب الباطل وأن يعود الى طريق أهل السنة والجماعة فغضب الشاه اسماعيل وجمع جيشه وتوجه به الى مرو وبعد حرب طويلة دامية دارت الدائرة على محمد الشيباني فهزم جيشه ووقع هو شهيداً وكان ذلك عام ٩١٦ هـ .

(تيمور سلطان بن محمد شيباني) :

كان صغير السن فجلس عبيد الله خان بن محمد سلطان بتشاه بداغ سلطان بن أبي الخير خان ابن أخى محمد شيباني على العرش بسمرقند عام ٩١٦هـ وتمكن من فتح بخارى عام ٩١٨ هـ من يد ميرزا بابر وجعلها عاصمة حكمه بها ثم اجتمع الأسرة الحاكمة بحضوره واتفقوا على أن يكون عمه الأكبر (جاني بيك سلطان) والياً على بلاد كرمينة وميانكال وعمه الثاني (كوجكونجى سلطان على سمرقند وعين عبيد الله خان على كل بلد والياً من أقاربه .

وفي تلك الفترة أرسل الشاه اسماعيل الصفوى وزيره على رأس جيوشه الى خيرآباد وجاندار قرب بخارى فنهبوا البلاد وقتلوا السكان فما كان من عبيد الله خان الا أن جمع جيشه وأسرع لصد الجيش الايراني وهزمه هزيمة منكرة ثم فتح هرات وخراسان وفي عهده حضر الى بخارى (سيد عبدالله اليمنى)

الملقب بأمير العرب أو سيد العرب بدعوة من عبيد الله خان وذلك عام ٩٤٣ هـ حيث بنى مدرسته المعروفة بمدرسة مير عرب بمقابل مسجد كلان بخارى ودامت مدة حكم عبيد الله خان ٣٨ سنةً وامتد حكمُه الى ما وراء النهر وبلخ وخراسان .

(عبدالعزيز خان بن عبيد الله خان) :

أمر بعد توليه الحكم بفتح الخزائن وبذل ثمنها للأمراء والفقراء ، كما أمر عام ٩٥٠ هـ ببناء عمارة (خانقاه صحن) أى زاوية شمال خواجة بهاء الدين النقشبندى وكان متصوفاً من مريدى الشيخ جلال الدين وبنى زاوية فخمة البناء (خانقاه) ذات قبة خضراء بقرب باب الشيخ جلال الدين وبتاريخ ١٣١٥ هـ تهدم البناء وسقطت جدرانه وعجز مهندس هذا العصر عن بناء مثله . وبعد وفاة (كستن) بن جانبى بيك الذى حكم طويلاً ببلخ بتاريخ ٩٥٥ هـ بذل العطاء الى سكان بلخ وأنعم عليهم بالمنح وفي هذه السنة مات الشيخ جلال الدين وبنى عبدالعزيز خان مسجد (مغاك عطارى) في وسط مدينة بخارى وظل هذا المسجد حتى عام ١٣٣١ هـ والى الآن موجود . ومات عبدالعزيز خان عام ٩٥٨ هـ بعد أن حكم أربعة عشر عاماً وكان سنه عند وفاته (٤٠ عاماً) .

وفي هذا العام عزم أخوه (محمد رحيم سلطان) والى طاشقند على التوجّه الى بخارى ولكنه مات في الطريق ولما سمع ابنه (برهان خان) بوفاته أسرع الى بخارى حيث جلس على العرش بعد عبدالعزيز خان ، ولكنه كان ظالماً فاسقاً لم يلتفتْ الى أحوال الرعية فغضبوا عليه .

وهنا نعود قليلاً الى الوراء حيث كان (جاني بيك سلطان) عم عبدالعزيز خان والياً على كرمينة وميلكال (ومياكال) ولكنه مات عام ٩٣٥ هـ فخلفه ابنه (اسكندرخان) في الولاية ، وكان لاسكندر خان أولاد أربعة أرشدهم (عبدالله خان) الذى كان والياً على قصبة ينكى قورغان قرجيغاى وهزاره وكان من أعوانه المخلصين أربعون حارساً قوياً أميناً وعلى رأسهم شخص أسمه (قلبابا كوكلداش) ولما سمع عبدالله خان بظلم وطيش برهان خان اتفق سراً مع شيخ الاسلام ببخارى الشيخ (محمد اسلام خواجه) على التخلص من برهان خان وفعلاً حضر عبدالله خان ومعه أعوانه المخلصين سراً حيث تسللّوا الى قصر برهان خان ليلاً وقتلوه بمساعدة أهل بخارى وجلس عبدالله خان ومعه أعوانه المخلصين سراً حيث تسللّوا الى قصر برهان خان ليلاً وقتلوه بمساعدة بخارى وجلس عبدالله خان على العرش .

(عبدالله خان بن اسكندر خان) :

بعد أن أصبح عبدالله خان أميراً على بخارى أرسل لوالده وأحضره من (جكرمينة) وأجلسه على العرش وتفرغ عبدالله خان لقيادة جيوشه التى أخضع بها بلاد ماوراء النهر واستولى على خراسان من يد الشاه عباس بن الشاه ابن شاه طهماسب وجعل قلبابا كوكلداش والياً على خراسان ثم قاد جيوشه الى صحراء قبجاق وفتح الغ طاغ وكيجيك طاغ ووصل الى الحدود التى وصل اليها من قبل الأمير تيمور وسجل على لوحة فوق الجبل هناك مقابل لوحة تركها الأمير تيمور تذكاراً باللغة التركية على بناء منرة

ووضع اللوحة وسجل على اللوحة أسمه وجميع البلاد التى خضعت له .
كما أمر بانشاء أحواض برك للمياه وأماكن لراحة المسافرين على طول الطرق البعيدة المسافة وللآن مازال بعضها موجوداً . وقد بلغت الأحواض وأماكن الراحة التى بناها الفادى عددها . وكان كل جندى في جيشه يحمل معه طوبة من اللبن وحفنة من الجبس لهذا الغرض . وفي أثناء حروب عبدالله خان كان والده اسكندر خان مشغولاً في عبادة ربه حتى توفاه الله بعد مدة حكم بلغت ستة وعشرين سنة . وكان عبدالله خان في ذلك الوقت بمازندران .
وعندما بلغ خبر وفاته الى أخيه محمد خان والى بلخ أسرع جيوشه الى بخارى ولكن أمراء بخارى لم يرضوا باراقة الدماء دماء المسلمين وحكموا بأن يكون محمد خان سلطاناً على بلخ وابن أخيه عبدالله خان أميراً على بخارى فقنع بهذه القسمة ورجع الى بلخ . وعند ما عاد عبدالله خان الى بخارى من مازندران جلس على عرش بخارى ووافق على ما قرره الأمراء في شأن عمه . وقد استمر حكمه ببخارى أربعة عشر عاماً بنى خلالها مدرسة وزاوية للفقراء ، وأخرى لقاسم شيخ في بلاد كرمينة في عهد والده وفي بخارى وفي عام ٩٩٠ هـ بنى جسراً على نهر كنك كما بنى في بخارى عمارة فخمة كمعرض له ثلاثة أبواب وسماه (رواق صرافان) كما بنى مكتبة عظيمة .
وقد حكم عمه بلخ ولما انتقل الى رحمة الله تعالى جلس على العرش ابنه (دين محمد) بدون علم عبدالله خان ولما سمع ذلك أرسل ابنه (عبدالمؤمن) والياً على بلخ وقد استطاع بجيوشه أن يهزم جيوش (دين محمد) ويقتله هو وأخوانه ويجلس على عرش بلخ . وفي عام ١٠٠٦ هـ مات عبدالله خان فجلس على عرشه ابنه عبدالمؤمن خان الذى حضر مسرعاً من بلخ ثم أمر بقتل أولاد رستم خان وفولاد خان ابن عمه وكوكلداش الوزير الأعظم وشقيق والده في الرضاعة ومعهم جميع أولادهم كما قتل بعض الأمراء وأعيان أبيه بدون وجه حق . ولما كان ما فعله عبدالمؤمن خان ظلماً وقوة فقد اتفق الجميع على موته وقام الأمير عبدالواسع وفلمان بقتله بطريق ضامن أوراتيبة حيث كان مشغولاً بالصيد في الصحراء . وبعد قتله قام أهل سمرقند بنهب خزائنه وأمواله وهو آخر دولة الشيبانية الأزبكية .

(سلطنة الاسترخانيين في بخارى) :

استرخان اسم بلد ما بين باكو وباتو ومشهورة باسم بلاد الرى . وقد انقرض الشيبانيون بعد مقتل عبدالمؤمن خان كما يذكر التاريخ . وكان يار محمد من أولاد جينكيز خان قد فر من استراخان بعد نزاع داخلها ومعه ابنه (جاني خان) حيث التجأ في عصر اسكندر خان الى بخارى .
وقد أحاطه اسكندر خان بالرعاية والاحترام وزوج ابنته (زهرة خانم) من جاني خان حيث أنجبا ثلاثة أولاد هم (باقي محمد خان) ، (دين محمد خان) و (ولى محمد خان) .
وقد تولاهم خالهم (عبدالله خان) فولى أكبرهم (دين محمد خان) والياً على نيسابور بأرض خراسان . وأرسل معه أخويه باقي محمد خان . وبعد وفاة عبدالله خان وعبدالمؤمن خان اجتمع الأمراء والأعيان وأرسلوا في طلب دين محمد خان للحضور الى بخارى . وفي أثناء سفره قابلته جماعة أوياق وقتلته وكان ذلك أثناء فرارهم بعد هزيمتهم من الايرانيين أما باقي محمد خان وولى محمد خان فقد تمكنا

من الوصول الى بخارى حيث جلس على العرش (باقي محمد خان) كما أصبح أخواه ولى محمد خان والياً على بلخ . وكان الاثنان يحكمان بعدل ويعملان على راحة الرعية . وفي عام ١٠١١ هـ هاجم الشاه عباس بجيوشه الايرانية بلاد (اندخوى و شبرغان) و (آقبجه) فنهبوا البلاد وسلبوها فأسرع ولى محمد خان بالاستنجاد بأخيه باقي محمد خان الذى حضر مع جيوشه مسرعاً وعبر نهر جيحون وتقابل مع الجيش الايراني الذى سرعان ماانهزم وقتل عدد كبير منهم وهرب الشاه عباس بفلول جنوده الى ايران مهزوماً مدحوراً كما عاد باقي محمد خان الى بخارى منتصراً وتوفي باقي محمد خان عن واحد وخمسين عاماً وحكم مدة سبع سنوات ، وكانت وفاته في آخر رجب عام ١٠١٤ هـ .

(حكم ولى محمد خان) :

جلس على عرش بخارى بعدوفا ة أخيه باقي محمد خان وولى على بلخ (أمام قلى بن دين محمد خان) . وكان ولى محمد خان قد أدمن في الشراب وترك الحكم لأعوانه الذين استبدوا بالشعب استبداداً شديداً مما جعلهم ينفرون من حكمه واجتمعوا على تنصيب امام قلى خان أميراً عليهم بدلاً منه .

وفي أثناء خروجه للصيد بجوار قرشي عزله الأعيان ونصبوا مكانه (أمامقلى خان) على عرش بخارى . ووجد ولى محمد خان نفسه وحيداً بلا جند وبلا موارد وانصرف عنه حتى وزيره فلم يكن أمامه الا الفرار الى بلاد الفرس حيث لاذ بعدوه القديم الشاه عباس . ولم يلبث الشاه عباس أن استفاد من هذا الخلاف بين أبناء العشيرة الواحدة فرحب به ترحيباً شديداً وخرج لاستقباله بدولت آباد ومعه عشرين ألف فارساً وزينت الدور والحوانيت احتفالا بقدومه وأنشد له الشعراء القصائد الرنانة مرحبين به .

واحيت هذه الاستقبالات الرائعة الآمال الكبيرة في صدور ولى محمد خان ، كما كان الشاه عباس أيضاً يفكر جدياً في استغلاله في فتح بلاد ماوراء النهر وضمها الى ملكه.

ولذلك لم يلبث أن جهز ثمانين ألف من الجند الفرس بقيادة ولى محمد خان اتجه بهم الى جيحون عام ١٠١٧ هـ وما أن بلغ ذلك سمع أمامقلى خان حتى امتلأ قلبه بالرعب من كثافة جند الأعداء فلاذ بحفيد من أحفاد (خواجة محمد أمين هاشمى) يسأله المشورة ولكن الشيخ الورع لم يكن أقل ذعراً من أميره ورغماً عن أن أمامقليخان لم يذكر له حقيقة عدد المحاربين ، ولم يوقفها الذعر عن الحرب فقد دخل الأمير المعركة ضد أعدائه وأخذت الشيخ الحمية الدينية فشارك في القتال بنفسه مطلقاً بيديه أول سهم من قوسه ثم رمى في وجه الأعداء حفنة من تراب وهو يدعو الله أن يعمي أبصارهم ويفتت شملهم ، واحتدم القتال وامتلأ الجنود حماسة بفضل شجاعة الشيخ حتى انكشف معسكرهم الذى كانوا قد أقاموه على شاطئ بحيرة ماجان أو نهر رود وكانت الموقعة التى بدأت في الحادى عشر من محرم عام ١٠٢٠ هـ في قول آخر ١٠١٧ هـ موقعة حاسمة انتهت الى وقوع ولى محمد خان في يد أمامقليخان فقتل بأمر ذلك الشيخ الورع بعد أن حكم ست سنوات .

(سلطنة امام قلى خان) :

أدتّ انتصارات الشاه عباس على جيوش الباب العاّلى الى خوف جيرانه منه وهيبتهم اياه بما فيهم الازبك . وفي عام ١٠٢١ هـ حدث تمرد القوزاق وقراقلباق فقاد أمامقليخان جيوشه حيث قضى على المتمردين وقتل محركيهم ثم عاّد الى بخارى وعيّن ابنه اسكندر خان والياً على طاشقند . ولكن اسكندر خان سلك مع الأهالى مسلك الشدة والعنف فثاروا عليه وقتلوه وحين بلغ امامقليخان هذا الخبر أسرع الى طاشقند عازماً على أن ينتقم منهم اشد الانتقام ويسفك من دمائهم ما يبلغ ركابه .

ولم تسقط طاشقند الا بعد حصار طويل لقوة تحصيناتها واستبسال أهلها في الدفاع عنها وما أن دخلها أمام قليخان حتى بدأ مذبحة بشعة بالأهالى بما فيهم من شيوخ وأطفال ولكن العلماء تصدوا لهذا الأمر فعمدّوا الى فكرة بارعة ترضى امامقليخان مما أقسم به وفي الوقت نفسه تحتفظ للبقية الباقية من الأهالى حياتهم فحفروا حفرة عميقة ملأوها بدماء القتلى نزل فيـها الأمير بفرسه فوصلت الدماء الى ركابه فهدأ باله وأمر بايقاف المذبحة . على أن هذا التصرف من مثل أمامقليخان كان تصرفاً مشيناً يتنافي مع الخلق والدين والانسانية ولو أنه لا يغيض من أعماله العظيمة ببلاد ما وراء النهر فقد وفر لهذه البلاد الثراء والرفاهية والسعادة بدون حروب خاضها أو فتوح مضى فيها فضلاً عن أنه كان قدوة احتذى بها أمراء المسلمين في تمسكه بقواعد الشرع والدين .

كما أن حكمه اتسم بالأمن ففي خلال مدة حكمه التّي امتدت ثمانية أو ستة وثلاثين عاماً كانت الطرق والمسالك في جميع أنحاء بلاده يسودها الأمن والأمان . ويؤثر عنه أنه كان يمضى أغلب أوقاته في مجالس العلم والدين وحلقات الشعر وغالباً ما كان يتخفي في زى الدراويش وينطلق مع وزرائه نظر ديوان بيكي وعبدالوصى أقرب أخصائه اليه فيجوس خلال المدينة ليقف على أحوال أهلها بنفسه دون أن يعرفه أحد .

وقد قربّ اليه الكثير من علماء عصره وعلى الأخص الملا يوسف القرابافغى ومن الشعراء الملاترابي والملانخلى ويقال أنه كافأ الملانخلى ذات مرة على قصيدة عجبته بوزنها من الذهب .

كما ترك هذا الأمير لنا شعراً جيداً من نظمه . لقد أمكن أمامقليخان أن يساهم في اشعاع نور الاسلام في بلاده وكان جداً حريص على تنفيذ أحكامه وسننه كما استطاع له أن يحتفظ بعلاقات طيبة مع جيرانه (فارس وهند ستان ، سلاطين الاتراك) وكان يتبادل معهم الهدايا والرسائل ، وتعود قرابة هذا الأمير للامام على بن موسى الرضا الى وثرت أن استولى (عبدالمنعم) وفي تاريخ آخر (عبدالمؤمن) بن عبدالله خان على مدينة مشهد وأمر بذبح كل سكانها ، فقد تقدّم اليه (محمد على أبوطالب) المقلب ببديع الزمان أو حجة الاسلام وهو أكبر أحفاد الامام الرضا وأمسك بلجام فرس (دين محمد) وهو يتجول في المدينة وسأله أن يبقي على أسرته وينزل في ضيافته وقبل الأمير ونزل بدار الشيخ حيث تزوّج ابنته (زهرة بالو بيكيم) وأنجب منها ولداً سمى نـدر محمد أو (نظر محمد) فكان بذلك سيداً وعلوياً في الوقت نفسه وأيضاً كان (امام قلى بن دين محمد خان) . وقضى (أمام قليخان) سبع سنوات في بخارى بعد رجوعه اليها حيث أصيب بمرض في عينيه ولم يستطع الأطباء علاجه فعزم على قضاء أيامه الأخيرة بجوار النبى ﷺ وكان يملأه بذلك شعور المسلم الورع فدعا اليه أخيه نذر

محمد خان وسلمه صولجان الحكم واستبدل به عصا يتوكأ عليها وهو في طريقه الى بيت الله الحرام .

وحل يوم الجمعة وهو مازال في بخارى ودعي في الخطبة باسم (ندر محمد خان) لأول مرة فما كان من المصلين الا أن ضجوا بالبكاء والعويل حزناً عليه ، وعلى أثر ذلك غادر أمام قليخان بلاده وشعبه الذى عمل دائماً على اسعاده متخذاً طريقه الى مكة عن طريق ايران حيث استقبله شاه ايران بحفاوة بالغة .

وبعد أداء فريضة الحج توجّه الى المدينة المنورة حيث مات هناك وكان عمره اثنين وستين عاماً ودفن بقبور البقيع حيث دفن بعد ذلك ندر محمد خان ، وعبدالعزيز خان بن بندر محمد خان والسيد صديق خان بن السيد أمير مظفر الدين خان (عم محرر هذا الكتاب) والسيد هاشم خان بن السيد أمير مظفر الدين شقيق محرر هذا الكتاب) وهما من السلاطين المنغتيين راجيا من الله أنا محرر هذا الكتاب أن يجمع جسدى تراب البقيع الطاهر بجوارهم حتى نتشرف جميعاً بجوار رسول الله عليه وسلم .

(سلطنة ندر محمد خان) :

هو ابن دين محمد خان وكان من أغنياء سلاطين الشيبانية والاستراخانية ويقال أن كنوزه كانت تحتاج في حملها الى ستمائة قطيع من دواب الحمل أى ما يبلغ عدده من الجمال حوالى (٥٠٠٠) جملاً كما كانت حظائره تحتوى (٨٠٠٠) من أجود أنواع الخيول فضلاً عن الأفراس الولودة الأصلية العديدة وكان عددها ثمانين ألفاً علاوة على ثمانين ألفاً من النعاج الممتازة الأنواع واربعمائة صندوق مملوءة بأفخر أنواع الأطلس المختلف الألوان .

ولكن هذا الثراء الفاحش لم يساعده على تدعيم ملكه . فقد بدأ بنفسه في تعكير صفو السلام الذى خيم على البلاد زمناً طويلاً فقام بارسال جيش لغزو خوارزم بعد موت أميرها اسفنديار خان ، كما قامت في الوقت نفسه ثورة ضده في القسم الشمالى من البلاد بزعامة (باقي يوز) وعندما أرسل ندر محمد خان جيشاً لاخماد الثورة بقيادة ابنه عبدالعزيز خان انضم الابن بجيشه الى الثوار بل ونادوا به أميراً عليهم بدلاً من أبيه .

وعلم ندر محمد خان بهذه الانباء وهو في قرشى كما علم بزحف ابنه الى بخارى وجلوسه على عرشها وفكر فيما صار عليه ابنه وهو خصمه في الوقت نفسه من قوة فبدأ يركز كل جهوده في الاحتفاظ بأراضيه التى تقع عند ذلك الشاطئ القريب لجيحون بكافة السبل على أنه لم يلبث أن اضطر الى أن يفر الى بلخ بعد أن حكم خمس سنوات . بالكاد واستقبله أهلها بالترحاب وهناك قسم ملكه على أولاده الذين بقوا على اخلاصهم له منهم فأعطى ابنه (خسرو سلطان) الغور ولابنه (قاسم سلطان) ميمنه واند خوى ، وأقام بهرام سلطان (على كولاب) وسبحانقلى خان على جهارجوى وجعل (قتلق سلطان) على قندز وجلس هو على عرشه في بلخ .

(سلطنة عبدالعزيز خان بن محمد خان) :

بعد جلوس عبدالعزيز خان على عرش بخارى عام (١٠٥٠) هـ طلب من أبيه ندر محمد خان أن يعفو عنه وفي تلك الفترة (ساخانقلى خان وقاسم سلطان) تمردا على أبيهما ندر محمد خان ولحقا بعبد العزيز خان في بخارى .

ولما رأى ندر محمد خان ذلك أرسل الى سلطان الهند شاهجهان يطلب مساعدته وكان شاه جهان من أولاد تيمور وكانت له أطعامه في بلخ نفسها ولذا فقد أسرع بارسال ولديه (أورنكزيب ومراد بخش) على رأس جيش قوى تمكنا به من هزيمة خسر وسلطان الذى تصدى لهما بأمر أبيه ندر محمد خان بعد أن ندم على طلب المساعدة . بعد أن ندم على طلب المساعدة ثم أسر خسرو سلطان وأرسل مقبوضاً عليه الى هند ســتان أما والده ندر محمد خان فقد فر ناجياً بنفسه الى ايران عند الشاه عباس الثاني وأفلت بمشقة من بين رجاله أنفسهم من الأزبك ومعه ابنه قاسم سلطان متخذاً طريق شبرغان ومرو الى ايران .

واستقبله الشاه عباس الثاني استقبالاً ملكياً عظيماً واستضافه بعاصمته (أصفعان) عامين ونصف العام ، لقي خلالها كل اكرام واعزاز ، ثم عاد بعد ذلك الى وطنه حاملاً معه خزائنه وامتعته حيث استقر لمدة عامين في بلخ .

أما عبدالعزيز سلطان فقد جمع جيوشه وعبر نهر جيحون ودامت الحرب بينه وبين جيش أورنك زيب انتهت بهزيمة عبدالعزيز سلطان وانتشر القحط ببلاد بلخ ، ثم أمر الشاهجهان ابنه أورنك زيب بتسليم البلاد الى ندر محمد خان وعودة الجيش الى الهند فقام أورنكزيب بارسال مندوب الى ايران لاحضار ندر محمد خان الذى عاد وتسلم البلاد من أورنكزيب الذى عاد مع جيشه الى الهند . (أورنكزيب هو عالمكيربادشاهسلطان الهند ابن شاهجهان بن سلطان سليم المقلب بجهانگير ابن أكبر بادشاه ابن همايون بادشاه ابن بابر بادشاه ابن عمر شيخ ابن ميرزا محمد سلطان ابن ميرزا ميران شاه ابن الأمير تيمور كوركان رحمهم الله) .

ورجع عبدالعزيز الى بلاده بخارى وأرسل سبحانقليخان الى بلخ بجيش حيث قامت الحرب بينه وبين ندر محمد خان ولكنه قررا خيراً أن ينسحب من ميدان الحرب ويرحل الى المدينة المنورة ليقضى بقية عمره في سلام .

وحاول ندر محمد خان قبل أن يرحل أن يصفي ما بينه وبين أولاده لكن سبحانقيخان أنكر عليه هذه المشاعر الأبوية ، فخرج كسير الفؤاد متجهاً الى الأراضى المقدسة ولكن الحظ لم يحالفه كما حالف أخاه من قبل فمات في طريقه الى سمنان وكان ذلك عام ١٠٦١ هـ فنقل جثمانه الى المدينة المنورة حيث دفن هناك بجوار أخيه أما مقليخان في البقيع .

وفي عام ١٠٧٦ هـ هاجم أبوالغازيخان أمير أوركنج بجيوشه نواحى بخارى ، فصده عبدالعزيز خان وهزم جيوشه وشردهم من أراضيهم ثم عاد عاود تبوالغازيخان هجومه مرة ثانية . ولكنه هزم ثم مات وخلفه ابنه أنوشة خان على عرشه وقد قام أبوشه خان بثمانية عشر غزوة على أراضى بخارى ولكن أهالى بخارى تمكنوا من قتل معظم جنوده وفر أخيراً بمن تبقي من جيشه الى بلاده أورجنج . وعندما بلغ

عبدالعزيز خان بن ندر محمد خان الرابعة والسبعين من عمره كان قد أصبح ضعيف الجسم فاحضر أخاه من بلخ وأجلسه على عرش بخارى بتاريخ ١٠٩١ هـ ثم خرج الى الأراضي المقدسة للحج فمات وهو في الطريق ونقل جثمانه الى المدينة المنورة حيث دفن أيضاً الى جوار أبيه وعمه .

وقد بلغت مدة حكمه واحداً وأربعين سنة وقد بنى في حياته مدرسة مقابل مدرسة ميرزا الغ بيك ومدرسة أخرى في شمال قصر بخارى وبنى مكان سوق الغم مدرسة مشهورة كما بنى جامعاً بطريق جويبار ما بين باب الشيخ جلال ودروازه قربا قول ، وكان عبدالعزيز خان ضخم الجثمان الى درجة غير عادية حتى يقال أنه كان أضخم رجل في عصره ويقال أن حذاءه كان يتسع لطفل في الرابعة عشره يجلس فيه وقد حدث مرةأن تجرأ أحد الشعراء فاتخذ من ضخامته مادة يتندر بها ولما بلغ ذلك مسامع عبدالعزيز خان بعث في طلبه فادخل عليه وهويرتعد خوفاً على حياته وقال له الأمير (أيها الملأ بلغني أنك نظمت شعراً تسخر مني فيه فلا تفعل ذلك بغيرى والا فستندم على ذلك أشد الندم) ثم وهبه عشرة آلاف دينار وخلع عليه خلعة فما كان من الشاعر الا أن قال (كم كنت يا مولاى لو مزقتنى عشرة آلاف قطعة بدلاً من أن تخجلنى برحابة صدرك وكرمك) ولم يطق الشاعر بعد ذلك عيشاً في بخارى فغادرها الى الهند ومع ما كان عليه عبدالعزيز من العنف والقسوة تجاه أبيه فلطالما تجلت رحابة صدره وشدة كرمه في مناسبات عديدة مثلما جاء ذكره مع الشاعر .

(سلطنة سبحان قلي خان بن ندر محمد خان) :

جلس على عرش بخارى عام ١٠٩١ هـ وكان له أربعة أولاد منهم اسكندر سلطانً والى بلخ الذى مات في سن العشرين فأرسل بدلاً منه ابنه أبو المنصور خان والياً على بلخ ولكن أخوه عباد الله قتله وجلس مكانه ببلخ ، ولم يمض عليه سنتان حتى قتل وتولى مكانه صنديق محمد خان . وتمرد صديق محمد خان على والده سبحا نقليخان فأسرع سبحانقليخان بالحضور الى بلخ مع جيشه واستولى عليها وقتل ابنه صديق خان وأعوانه جميعاً وكان عمر صديق محمد خان واحداً وعشرين عاماً . ومات سبحانقلى خان عام ١١٢٢ هـ عن ٧٧ عاماً بعد أن ظل في الحكم ٣٢ عاماً واحداً وثلاثون عاماً . ودفن ببخارى .

ومن أعماله بناء مدرسة دار الشفا ببخارى والفكتابا باللغة التركية في الطب بين فيه دواء لكل داء واعتمد في تأليفه على مؤلفات جالينوس وابقراط وابن سينا والبخارى وفيه أيضاً باب للعلاج بالمدعوات والتعاويذ أى الطب الروحاني ، كما جمع الحكماء بمدرسته وفتح خوارزم وولايات تركستان .

(عبيد الله خان بن سبحانقليخان) :

كانت الولايات الخاضعة لأبيه مطيعة ومنقادة له في أول جلوسه على العرش ولكن محمد مقيم خان بن اسكندر سلطان بن سبحانقلى جلس على عرش بلخ وأمر بخطبة الجمعة باسمه وصكّ عملة باسمه أيضاً وقاد عبيد الله خان جيوشه لمنع ذلك وحاول أعيان دولته منعه من الحرب ولكنه رفض

نصحهم وفعلاً ذهبت جهوده أدراج الرياح .

وكان لمحمد مقيم خان مستشاراً يدعى (محمود اتاليق قطغره ويقال أن أسمه (قنغرات) وكانت أطماعه أن يكون حاكماً على بلخ بعده وفعلاً قتل محمد مقيم خان (١١٢٧ هـ) وبعد عام سار عبيد الله خان بجيشه الى بلخ ضد محمود اتاليق و بسبب دخول قبيلة المنغتية في سياسة الحكم وطرد الكينكسية من الدولة انتصر محمود أتالى . (وسنذكر بالتفصيل عن ذلك في سلطنة محمد رحيم المنغيت) .

وبعد حكم تسع سنوات فكر أعيان الدولة في قتل ابراهيم اتاليق كينكس وكان بقرشي مع أسرته وأخيه أبوالفيض خان ببخارى وجلس بدلاً عنه وعمره كان اثنا عشر عاماً وأرسل بقرشي جوش مع رفاق له حيث دخلوا قصر عبيد الله خان على زعم تقديم عريضة له من أعيان بخارى ثم قتلوه وفي الصباح دفن بجوار بهاء الدين النقشبندى .

بعد ذ لك قامت الحرب بين قبيلة المنغتية وقبيلة الكينكسية وبالرغم من أنهما أولاد عم أصلهما واحد وكانا متفقين معتصمين بالود والوفاق الا أن هذه الحرب استمرت بينهما سنوات طويلة حتى في أواخر الدولة المنغتية كان القتال مازال مستمراً بينهما . وأصبح جوشن قلماق قاتل عبيد الله خان وزيراً للدولة وعاني منه الشعب كثيراً من ظلمه وطغيانه حتى أمر أبوالفيض خان بقتله . ولكن صديقه ابراهيم اتاليق كينكس زاد عناداً بعد مقتل صديقه جوشن يفكر في قتل أبي الفيض خان وكان هناك تقليد تيمورى في بخارى . ففي كل عام وفي يوم محدد يجتمع كل من كان اسمه مقيداً بدفتر التجنيد ويوزع عليهم الحاكم خلعاً كل على قدر منصبه ومعاش سنوى ثم يسافر كل منهم الى بلدته ، وفي هذا الاجتماع أحضر ابراهيم اتالسق كينكس من بلده ثلاثمائة وثمانون شخصاً وغرضه الدخول الى القصر الملكى ليلاً وقتل أبي الفيض خان . ولكن بعض رجال الحرس الملكي الخاص عرفوا بالمؤامرة وأخبروا بها أميرهم أبوالفيض خان الذى استشار من حوله وقرر بعد المشورة أن يعهد الى قبيلة منغيت بالوقوف ضد المتآمرين في مقابل أن يكون من حق معتمد منغيت عبدالحكم بك تنصيب اتالق (يعنى الأمراء أو الأعيان في الدولة) .

وعندما وصل طلب أبي الفيض خان الى عبدالحكيم بي طلب من أصدقائه وعقلاء القبيل أن يجمعها سراً ثلاثمائة نفر وأسرع بهم الى القصر ودخلوا من مكان خفي في جداره الخلفي وأخفوا أنفسهم داخل القصر كما اختفي أيضاً أربعون من جنود الحرس في أطراف خزينة الملك الذى اختفي أيضاً معهم .

وفي الوقت الموعود في الليل هجم أعوان ابراهيم اتالق من الكينكسيين على القصر من جميع جوانبه حتى لا يفر أبوالفيض خان منهم . وبعد أن دخلوا جميعاً القصر وأخذوا يبحثون عن أبي الفيض خان حتى أمر عبدالحكيم بي جماعته بضربهم بالبنادق وسرعان ما وقع أكثرهم قتلى في الوقت الذى كان فيه زعيمهم ابراهيم خارج القصر ينتظر أن يفتحوا له باب القصر واذا به يرى رؤوس أعوانه وأولاده وأقاربه تلقي من فوق جدران القصر فأسرع بالهرب .

ثم أمر أبوالفيض خان بقتل كل الكينكسيين ومات منهم أربعة آلاف يشغلون مناصب هامة

ووظائف في الدولة ومن لم يمت منهم فقد فر مع ابراهيم الى شهر سبز تاركين ثرواتهم وأموالهم غنيمة لأهل بخار ى .

وكافأ أبوالفيض خان (محمد عبدالحكيم) بمنصب أمير الأمراء وأعطاه جميع واردات بلاد قرشي معاشاً سنوياً ، وأصبحت قبائل منغيتية في مقدمة القبائل جميعهاً . احتراماً ومقاماً كما أن قبائل كينكس أصبحت مطرودة من الدولة .

ولكن ابراهيم الذى كان مكسور القلب لفراق أولاده وأقاربه لم يسكت فبعد دخوله ببلاده شهر سبز ، انضم لطائفة القوزاق وكان رجب خان الذى جلس على عرش سمرقند يهاجم بين الحين والحين أطراف بخارى فينهب أهلها ويخرب ديارهم .

وأثناء احدى الحفلات التى أقيمت عند زيارة بهاء الدين القوزاق فجأ هذه الحفلة وأخذوا ثلاثة آلاف من أهالى بخارا أسرى ونهبوا أسواق وأموال جموع الأهالى وعادوا الى بلادهم ولكن أهالى بخارى دفعوا لهم ثمن الأسرى وأرجعوهم لبلدهم .

ولكن الله عاقبَ ابراهيم اتاليق على سوء عمله فأصبح كفيف البصر كما أن أبا الفيض أهمل السياسة وجمع حوله أهل الغناء والرقص من المطربين من شتى الأجناس يقضى أيامه ولياليه بين عزف الآلات الموسيقية والغناء والطرب غير ميال بما صار اليه الرعية من فقر بل زادهم فقراً بما كان يأخذ منهم بالقوة والنهب والسلب . وكانت أمور الحكم بيد مماليك أبي الفيض خان الذين استبدوا بالناس وظلموهم في حياتهم ومعيشتهم وكانت بخارى في قحط بسبب قطاع الطرق الذين كانوا يغيرون على الأهالى فيقتلون وينهبون وانعدم الأمن تماماً لمدة سبع سنوات . وخلت أطراف بخارى الى مسافة ثمانية وعشرين فرسخاً من الحياة فلا أشجار ولا بنايات وأصبحت المدارس مهجورة مخربة بسبب هجرة الطلّبة الى بلادهم من خوفهم وفزعهم ومن بقي منهم في بخارى هم الفقراء الذين لم يتمكنوا من الهرب الى بلاد أخرى . وزادت الشدة بأهل بخارى وبلغ بهم الجوع الى أن يأكلوا صغارهم ثم اشتد بهم السوء الى اخراج الموتي الجدد من القبور وأكل جثثهم كل ذلك والأمير غارق في ملذاته مطمئناً الى سلامة عرشه لا يعنيه من الأمور سوى نفسه ومن حوله من أعوانه الفاسدين . ولم يجد بعض أعيان بخارى سوى أن يلتجئوا الى عبدالحكيم اتالق منغيت الموجود بقرشي ليعينهم على ما أصابهم من ضر ولكنه اعتذر عن القيام بأى عمل لأنه كان ببخارى أخيراً وأمره الأمير بالعودة الى قرشي ولكنه وافقهم على أن يعود معهم الى بخارى ويتقدم باسمهم للأمير بعريضة عن أحوالهم . وفي تلك الأثناء هبت ريح عاصفة عاتية من ناحية أيران تمثلت في شخص اسمه نادر أفشار شاه من قبائل تركمان . ولد نادر شاه يوم السبت من المحرم عام ١١١٠ هـ ولئن كان آخر عزاة العالم الآسيوى فانه لم يزحف بجيوشه المظفرة نحو الشرق الا بعد أن جلس بالفعل على عرش ايران بعد انتصاره على السلطان حسين شاه ايران ثم استولى على العراق والعجم وخراسان والهند ستان وكابل .

وفي عام ١١٥١ هـ أرسل ابنه رضاقلي خان والأمير زادة طهماسب قليخان وكيل الدولة وبابا خان بجيش كبير الى ما وراء النهر فعبر الجيش نهر جيحون من شاطئ ترمذ حتى وصل بلاد خزار وقرشي وكان حاكم قرشي الأمير دانيال بي الذى اخبرابي الفيض خان بهذا الهجوم . وبعد خمسة عشر يوماً

تقابل الجيشّ وانتهت الحرب برجوع أبي الفيض خآن الى بخارى واتفاق الأمير دانيال مع رضاقلى خان يصلح بينهما .

لما سمع نادر شاه بذلك أسرع بالحضوّر الى بلخ ومنها توجّه الى جها رجوى داخل أراضى بخارى . وهنا أسرع مستشارو الأمير عبدالكريم اتالق بارسال ابنه محمد رحيم بيك ميراخور محملاً بالهدايا من طريق كركى فتقابل مع نادر شاه الذّى انطفأ غضبهّ وامتلأ سروراً من هذه المهاملة من أمير الأمراء ، وقبل هداياه وأحسن معاملّة ابنه محمد رحيم خان وخلع عليه خلعة ملكيّة ايرانية ثم حضر عبدالكريم بي اتالق منغيت بنفسه فاستقبله نادر شّاه استقبالاً ملكياً ببلادجهار جوى وأخبره نادر شاه أن حضوره صار سبباً لأمن وأمان أهل بخارى لأن أبا الفيض كان سيئ التفكير وانه كان قادماً لتدميره وتدمير بلاده ولكنه عفي عن فعله بحضور عبدالحكيم أتالق . وطلب نادر شاه من عبدالحكيم بي اتالق أن يعود الى بخارى ويرجع اليه ومعه أبوالفيض خان حتى تصفو الأمور بينهما ويعود الأمن والسلام للبلاد .

ولكن أبا الفيض خان رفض الحضور أول الأمر بناء على مشورة أمرائه مما أشعل نار الغضب في صدر نادر شاه فأمر ببناء جسر على نهر جيحون وعبره بجيوشه واستولى على قرية جها ربكر بالقرب من بخارى (على بعد أربعة أميال) من بخارى ، ولكن عدل أبوالفيض خان من رفضه الحضوّر الى نادر شاه فأسرّع اليه ومعه بعض أمرائه وشيوخ دولته وكان نادر شاه في انتظاره في سرادقه الفخم وحوله أمراء دولته وكبار أعيانه .

قدم أبو الفيض خآن الى المعسكر الفارسي في التاسع عشر من جمادى الآخرة عام ١١٥٣ هـ سبتمبر عام ١٧٤٠ م ونزل في السرادق الذى أعد له ولحراسه ، وفي اليوم التالى تقدم بالولاء والطاعة الى نادر شاه الذى أهداه بهذه المناسبة منطقة مرصعة بالأحجار الكريمة وفرساً حربياً بسرج ذهبي وهدايا قيمة أخرى . وعامل نادر شاه أبا الفيض خان معاملة ملكية أخوية ولكنه طلب في الوقت نفسه أن يتنازل له عن كل مناطق شاطئ جيحون القريب وأن يمده بفرق من رجاله الأ بك والتركمان . ووثق الطرفان تحالفهما برباط من المصاهرة فقد عقد نادر شاه على بنت أبي الفيض خان لنفسه وعقد على بنت أخرى لابن أخيه على قليخان .

أمر نادر شاه بعد ذلك أن يكون ما وراء النهر مّن اختصاص عبدالحكيم بي اتالق منغيت كلياً جزئياً وزيراً مختاراً ووكيلاً لجمع عموم وخصوص بخارى ورخص أبا الفيض خان لبخارى . ثم توالى حضور بعض الحكام من البلاد المجاورة ومعهم هدايا عظيمة وجياد لنادر شاه وكان منهم (محمد أمين بي [illegible] ك حصار) وغيب الله بهرين بي من بلاد خطرجى وعالم بي كيناكاس من شهر سيز بي دورمان من بلاد قباديان وعبدالستار بي نمان من قلعة بوس ، وطغاى مراد بي برقوت من نوارتا وكان ذلك طبق لتاليد الأزبك .

ثم امر نادر شاه عمدة الأمراء عبدالحكيم بي اتالق أن يجمع (٢٠٠٠٠٠) وزن غلة لطعام جيوشه ترضية لهم من الولايات التابعة له على أن تسلّم الى مخازن نادر شاه ، وقام عبدالحكيم بي بتقسيم هذه الكمية على البلاد والقرى كل حسب نصيبها وبعد أن جمع الكمية المطلوبة وقدمها للمخازن أمر نادر شاه بتجهيز جيش من عشرة آلاف من القبائل بقيادة محمد رحيم بن عبدالحكيم تسير معّه الى ايران

وبعد أن أقام ٢٥ يوماً سافر بجيشه الى خوارزم وكان أميرها الياس خان تركمان وودعه عبدالحكيم بي عند شاطئ نهر جيحون . وعاد الى بخارى . سار جيش نادر شاه ومعه جيش بخارى وعلى رأسه محمد رحيم خان بعد أن خلع عليه نادر شاه لقب خان مثل ابنه رضا قليخان حتى وصل أوركنج وهزم حاكمها السلطان الياس خان ثم فتح خوارزم وزوج بنت الياس خان الى (سيما يوقاشتى) الابن الثاني لعبد الحكيم أتالق الذى دخل معهم خوارزم وبعد أن فتحها أرسل أخبار هذا الفتح الى بخارى مع (يوقاشتى) . وأسرع عبدالحكيم اتاليق الى أورجنج مهنئاً نادر شاه وحاملاً معه خلعة فاخرة لنادر شاه باسم أهالى بخارى . ورجع نادر شاه الى ايران كما عاد عبدالحكيم الى بخارى ولكنه كان حزين الفؤاد لفراق ابنه محمد رحيم خان ومن معه من أهالى بخارى الذين رحلوا مع نادر شاه الى ايران وبعد أربع سنوات مات عبدالحكيم عام ١١٥٦ هـ ودفن بمز وذ دفن بمزار الامام بكر ترخان رحمة الله عليه . وعند ما بلغ خبر وفاة عبدالحكيم بي الى نادر شاه أخذ في مواساة محمد رحيم خان لوفاة والده وقدم له تعزيته وفي تلك اللحظة ولفترة أحدثت قلاقل وفتن في بخارى فقد انتهز بعض الأمراء موت عبدالحكيم فرفع (قابل بي كينكاس) في شهر سبز راية التمرد والعصيان على أبي الفيض خان الذى كان ضعيف الهمة عاجزاً عن التفكير والتدبير في أمور السلطنة والرعية ، كما زحف (عباد الله خطاى) من بلاد ميانكال الى بخارى بجيشه عام ١١٥٨ هـ وكان هناك حفل زيارة بهاء الدين النقشبند فنهب وسلب وأخذ أسرى من الزوار الحاضرين أرسلهم الى ميانكاء ولم يجد أبوالفيض خان بداً من أن يرسل خطاباً مع خواجة سراى الى نادر شاه يبلغه ما حدث وأسرع نادر شاه بايفاد محمد رحيم خان ومعه أربعة آلاف جندى ايراني الى بخارى حيث استقبله أبوالفيض خان بحفاوة بالغة وأعطاه منصب (اتالق) بدلاً من والده عبدالحكيم . وقد قام محمد رحيم خان ببستان يملكه والده يدعى بستان غازى آباد وهنك نوافذ على زيارته اخوانه (برات قوشبيكى ياوقاشتى) بي وعمه دانيال بي والى نسفاى قرشي وأمراءوأعيان قبائل منغتية وكثير من أطراف بخارى وكانوا يحملون له الهدايا الفاخرة الوفيرة .

ولكن بعض رجال حاشية أبي الفيض خان ممن يجيدون الوقيعة والفتنة أو عزوا الى أبي الفيض خان بطلب عبدالكريم خان خوقندى لحراسته وأفهموه أن محمد رحيم خان يجمع قبائل منغتية ضده وصدق أبو الفيض خان لضعف عقله وسوء تفكيره هذه الوشاية وأرسل يستدعى عبدالكريم بجيشه .

ووصل عبدالكريم بجيشه الى ميانكال ولكنه عاد الى خوقند وبذلك زادت الفتنة . ورأى محمد رحيم خان أن يخطر بما وقع نادر شاه ورجاه الحضور وأمر نادر شاه قائده محسن خان بالتوجه الى بخارى بجيش من الأتراك والأفغانيين وأن يأخذ من مرو ثلاثين مدفعاً في ذلك الوقت أرسل أبو الفيض شكوى ضد محمد رحيم خان كما كرر محمد رحيم خان شكواه من أبي الفيض خان فبعث نادر شاه جيشاً آخر بقيادة شاه قليخان وبهبود خان الحاقاً لجيش حسن خان خوفاً من نشوب الفتن . وشاع بين أهالى بخارى أن الجيش القادم لحراسة أبي الفيض خان ومحاربة كل عدو له وأن هذا الجيش يقوم بمهاجمة عباد الله بي خطاى وقابل بي كينكس . أثناء ذلك هاجم محمد رحيم خان بجنوده جيش عباد بي خطاى فهزمه ووصل الى ديزخ وفر عباد الله بي مع اخوته الى طاشقند وسار بعد ذلك الى شهر سبز حيث حارب قابل بي كينكاس وهزمه وقبض عليه وأحضره الى بخارى .

ثم وصله أمر ملكي من نادر شاه بأن يعسكر القائدان حسن خان وبهبود خان مع جيشهما ببخارى وان يحضر محمد رحيم خان ورفقاؤه من أمراء ما وراء النهر ومعهم شاه قلي خان الى ايران فوراً . وتوجه محمد رحيم خان برفقة محمد أمين بي يوز وطغايمر ادبي برقوت وجواجه الفت سراى وشاه قلي حاكم مرو ومعهم هدايا ضخمة تليق بنادر شاه وقد استقبلهم نادر شاه بحفاوة بالغة ثم استشارهم في أمر أبي الفيض خان الذى عجز عن ادارة الحكم في دولته وعدم قدرته على شئون سلطنته وأخبرهم أنه يرى أن يرسل معهم أحد أبنائه سلطاناً على بخارى تسكّ باسمه العملة ويخطب باسمه في المساجد وطلب ابداء الرأى منهم في ذلك الأمر وسكت جميع الأمراء ولم يردوا ولكن محمد رحيم خان قام من بينهم وأجابه أنه منذ قيام دولة جينكيز خان حتى حكم الشيبانية يتزلزل بنيان دولة ما وراء النهر بأى هزة والشكر لله ورعايته العظيمة لسلاطين بخارى وأنه لولا عطف متبادل وثقة بعدل الشاه ما كانت بلاد بخارى قبلت أن تكون تحت طاعته ومن الواجب أن يتولى عرش بخارى سلطان آخر من أولاد جينكيز خان بشرط أن يكون تابعاً لشاه ايران ، ولم يغضب نادر شاه من اجابة محمد رحيم خان بل سره ما أشار به رحيم خان وخلع عليه وعلى رفاقه الخلع الفاخرة ، وعادوا جميعاً الى بخارى ومعهم الأمير الأمر السامى من نادر شاه حيث نزلوا ببستان محمد رحيم خان حتى صباح اليوم التالى حيث استدعوا محمد قاسم خواجة جو يبارى رئيس القوم وأخبره بأمر عزل أبي الفيض خان وتعيين آخر بدلاً منه ثم توجهوا بعد ذلك الى أبي الفيض خان وأبلغوه نبأ عزله وجلوس ابنه على العرش مكانه وقرر أبو الفيض الخروج للحج الى بيت الله الحرام وارسال أسرته الى جويبار . وفي عام ١١٦٠ هـ أحضر الى قصر بخارى محمد رحيم خان ومعه الأمراء والأعيان لاجلاس عبدالمؤمن خان بن أبي الفيض خان على العرش وسمع بذلك الخبر القائدان الايرانيان حسن خان وبهبود خان اللذان كانا مقيمين بسمرقند مع جنودهما فاسرعا الى بخارى وأعادوا أبا الفيض خان الى عرشه في الوقت الذى كان يطمع فيه على قليخان ابن أخ نادر شاه في عرش بخارى وما وراء النهر ، كما كان رحيم خان يرغب تنفيذاً لأمر نادر شاه في أن يرسل أبا الفيض خان الى ايران لاعطائه وظيفة مناسبة لمقامه هناك .

وفي أثناء ذلك أشيع في بخارى خبر زوال دولة نادر شاه ووصل في الوقت نفسه أمر من على قلي خان لأمرائه بأن يكون أبوالفيض خان هو السلطان على دولته وأن يكونوا مسئولين عن حمايته وحراسته في حكمه .

وأشعل الأمراء الايرانيون الحرب على محمد رحيم خان بخارى الذين حوصروا داخل مدينة بخارى وطال أمد الحرب وامتلأ أهل بخارى بالقلق والرعب وتشاور الأمراء والأعيان فيما بينهم ورأوا (راو) أنه ليس من المصلحة ارسال أبي الفيض خان الى ايران كما أن حياته فيها فتنة بين الناس من الأفضل قتله حتى يرفع الايرانيون الحصار عن بخارى واضطر الأمراء الى تنفيذ هذا الرأى فقتلوا أبا الفيض خان بمدرسة أمير العرب (تسمى الآن غرفة خان الشهيد) أو مدرسة خان الشهيد . وقد جلس أبو الفيض خان على العرش وعمره ١٢ عاماً واستشهد وعمره ٤٩ عاماً ودامت سلطنته ٣٧ عاماً .

بعد موته أبلغ محمد رحيم خان القائدين الايرانيين حسن خان وبهبودخان أنهما اذا لم يعودوا الى بلدهما فان الازبك لن يتركونهما وتكون المسئولية عليهما وتم الاتفاق مع الايرانيين على الصلح على شرط الا يتعرض لهم أحد في طريق عودتهما الى بلادهم وفعلاً أوصلهم محمد أمين يوز حتى حدود ايران بسلام .



(سلاطين المنغتية في بلاد ما وراء النهر)

مقدمة :

المنغتية والكينا كاسية قبيلتان أصلها توأمان ولدا ملتصقين ثم فصلهما الأطباء بقطع ظهرهما ولذلك سماهما والدهما الأول (منغيت) بمعنى (مشى) والثاني (كينه كس) معنى (أقطع ظهره) والله أعلم بحقيقة الحال .

وقد ولدا في بلاد (كيش) التى سميت بعد ذلك باسم (شهر سبز) أى البلدة الخضراء .

وقد سمعت من أستاذى ـ أن قبائل العرب في عهد عبد مناف ولد له توأمين ملتصقين من الظهر ففصل بينهما بالسيف فسمى أحدهما بعبد شمس والثاني بـ (هاشم) وأنه صارت دماء بينهما من أول الأمر فلذا فان أولاده لا يتفقون أبداً وتكون دائماً بينهم حروب وشجار وتكون قبائلهم الأخرى .

وقد انطبق هذا الحال على قبيلتى منغيت وكينكس فقد كانت الحرب بينهما دائرة والقتال لا يتوقف .

وفي عصر عبيد الله خان بن سبحانقليخان أحضر قبيلة منغيتً الى بلاد نسف (تسمى الآن قرشى) بالقرب من بخارى وقد اشتهرت قرشي لان كبوك خان المغول بنى قصرا على مسافة فرسخين منها .

وقبائل المنغتية عددها ستة قبائل لكل منها اسمها . ويعتبر جد محمد رحيم خان من قبائل (ايلى توق منغيت) أى قبائل أغنياء منغيت وكان جدودهم فلاحين وأهل المواشي ومنهم جادشياى وكانوا يملكون أراض واسعة حول قرشي مثل قرية خواجة فريق وقراتيكان . وبعد طغيان محمود بي حاكم بلخ وقتله مقيم خان بن اسكندر خان ابن اخى عبيد الله خان قاد جيشاً مؤلفاً من ثلاثين ألف محارب للانتقام لقتل مقيم خان وعبر نهر جيحون بعد أن سار بطريق قرشيّ الى كليف متجهاً الى بلخ .

وفي أثناء سيره بأراض تابعة لجاوش باى الذى طلب منه أن يقبل دعوته ويستريح في أرضه مع جنوده ويكون ضيفاً عليه وقبل عبيد الله خان الدعوة شاكراً حيث قضى يوماً وليلة في ضيافة المذكور ثم قدم له جاوش باى مئونة كافية من الطعام وما يلزم للمواشي والأغنام وقال له أنه لم يرفي حياته اخلاصاً مثل هذا الاخلاص الذى دفع عبيد الله خاًن الى الانتقام وهذا نادر الوجود بين الناس .

وسار عبيد الله خان بجنده بعد أن شكر جاوش باى وأخذ معه ابنه (كيلدى يار) في ركابه . وقد وصل ابنه (كليدىٰ يار) في ركابه . وقد وصل ابن كليدى يار (باى خداى قلىّ) الى رتبة بيك بالتدريج ثم ابنه (خدا يار بيك ثم ابنه عبدالحكيم اتالق وبعد وصول محمد رحيم خاًن الى رتبة اتالق (عمدة الأمراء) ومستشار الملك أبوالفيض خان بامر نادر ثم أصبح أميراً ببخارى .

فالدولة المنغتية أصبحت سلالتها من المصاهرة توصل الى الاسترخانيين والشيبانيين وسلالة جينكيز خان وكينكس وتيمور من سلالة قبائل برلاس كينكس ومحمد رحيم خان من سلالة منغتية تركية أوزبكية .

ونعوّد الى عبيد الله خان مرة ثانية بعد أن عبر بجيشه نهر جيحون للانتقام لمقتل خان فقّد اتصل محمود اتالق سراً بالقبائل الكينكسية وأرسل اليهم أموالا كثيرة ووعدهم بمبالغ أخرى لكبارهم ومحاربيهم حتى يرجع عبيد الله خان عن الحرب أو تكون منهم مساهلّة اذا قامت الحرب بينهما .

وبلغت هذه المؤامرات سمع عبيد الله خان ورغبة في اظهار أسرارهم وحقيقة أمرهم فقّد اجتمع مع أعيان وكبار قبائل كينكس وطلب منهم المشورة والرأى في الحرب ضد محمود اتالق أمير بلخ فايدوا بالصلح والعودّة الى بخارى وأصروا على رأيهم جميعاً وهنا ظهرت حقيقة ما بلغه من خيانتهم فغضب وأمر كبارهم وأعيانهم فقتل منهم ألف وسبعمائة نفر ثم فتح عبيد الله خان خزائنه ووزع ما بها على جميع القبائل الأخرى وخصوصاً لقبائل عبدالحكيم منغيت مما أرضاهم وسرهم . وسار عبيد الله خان بجيشه والجميع مخلص له ففتح بلاد بلخ وأبدت قبائل منغيت وعبدالحكيم بك شجاعة فائقة في القتال معه وفر محمود اتالق بعد أن هزم وتخلى عنه من حوله . وفي أثناء فراره التجّأ الى مكان مهدم ولكن الله تعالى العزيز المنتقم لم يمهله الجزاء فسقط فوقه سقف المكان فمات فيه وكان الجزاء من جنس العمل فقد قتل من قبل مقيم خان بدون وجه حق فكان ذلكّ انتقام الله منه .

(سلطنة محمد رحيم خان) :

هو ابن محمد عبدالحكيم بك اتالق بن خداياربي بن خدايقلى بك بن كيلدى ياربن جاوش باى منغيت من قبائل (ايلى توق) منغيت . وعلى ما يذكر التاريخ فانه بعد قتل أبي الفيض خانّ وعودة الايرانيّين الى بلادهم أصبح المشرف على شئون بخارى هو محمد رحيم خان باعتبار السلطان عبدالمؤمن خان أميراً على بخارى بعد والده وكان عمره اثنتى عشر عاماً ولذلكّ تولى السلطة والحكم رحيم خان بأمر نادر شاه وكان ذلك عام ١١٦٠ هـ وأصبح وصياً ومشرفاً على عبدالمؤمن خان .

كما أن كثيرين من رجال الجيش الايراني الذى تقرر رجوعّه الى ايران طلبوا من رحيم خان أن يستقروا في بخارى فقبل محمد رحيم خان طلبهم ومنهم كان افغانيون وتاجيك وأتراك عثمانيون فصار يسكن بخارا أقوام وأجناس مختلفة ، من الأزبك والفرس والتركمان ، والعرب الساكن في بخارى قبائل بنى خزيم وبنى تميم وبنى زيد وغيره من أيام فتح قتيبة الباهلى والايرانيين والقلماق والقيرغيز والافغانيين والهنود والأرمن وغيرهم . ثم خلع رحيم خان على جميع حكام بلدان ما وراء النهر خلعاً فاخره وأعطاه مناصب كبيرة وتحالف معهم وأخذ منهم عهوداً ومواثيق بعدم وجود أى خلاف فيما بينهم وأن يعاملوا الرعية باحترام وأن يعملوا على رفاهيتهم . وسعادتهم . ولكن بعد أيام قليلة من أخذ هذه العهود قام (طغايمراد بيك برقوت) وغيب الله بهرين بمخالفتها والخروج على ما تعهد به فأسرع رحيم بجيشه وأخضع بلديهما . ثم اتفق بعد ذلك (جهانكير بيك) سراى خزادى وعالم بيك كينكس شهر سبزى ومحمد أمين بيك يوز حصارى وشهير على بيك حاكم شير آباد وقاموا بتمرد و عصيان ضد رحيم خان وزحفوا بجيوشهم على بخارى ولكن جيوش بخارى وقبائل منغيت ردتهم على أعقابهم و امتدت الحروب بين الطرفين عشر سنوات وانتهت بانتصار رحيم خان على المتمردين واخضاع بلادهم .

وبعد ذلك زحف بجيوشه الى سمرقند واوركوت وبنجه كنت وديزخ واوراتيفه وخجند وفتحها جميعاً وأخضعها لطاعته ثم توجّه الى خوارزم ففتحها بعد مدة طويلة . ورغماً عن اخلاص رحيم خان لبلده وقتله جميع أعدائها مضحياً بنفسه ووقته في سبيلها كما أن ابنته كانت زوجة لعبد المؤمن فان عبدالمؤمن كان شديد الكراهية لرحيم خان حتى أنه كان عندما يقطع بيده بطيخاً أو شماماً فانه يقول لزوجته (ابنة محمد رحيم خان) ان شاء الله سأقطع رأس أبيك مثلما أقطع هذا . وعندما عاد رحيم خان من فتوحاته الى بخارى أخبرته ابنته زوجة عبدالمؤمن بما قال . وكان لرحيم خان قصراً في (أرك عالى) وبه بئر تسقي بساتين القصر فأمر رحيم خان حارس القصر والبئر أن يلقي عبدالمؤمن فيه اذا جاء بقربه ، وفعلاً كان عبدالمؤمن يمر بعد بضعة أيام بجانب البئر دفعه الحارس الى البئر حيث سقط به غريقاً . وبعد أيام وجده أعوانه فأخذوا جثته ودفن بجوار أبيه في بخارى . وبموته انتهى حكم سلالة الاسترخانيين في بخارى واجتمع الامراء والأعيان ومشايخ الدولة وبايعوا على الحكم محمد رحيم خان الذى أصبح بذلك أميراً لبخارا .

(حكم محمد رحيم خان منغيت) :

بعد أن جلس على عرش بخارا فتح خزائن الحاكم السابق وأنعم على جميع أهل بخارى من الأمراء الى الفقراء بالمنح والمال . وكانت جميع الولايات الخاضعة له ترسل اليه البيعة والهدايا .

وقد جلس على عرش بخارى عامين كان قبلها مشرفاً على السلطنة والحكم عشر سنوات .

ومات رحيم خان وعمره خمس وأربعون سنة ودفن بمقبرة أبيه ، ولم يكن له أولاداً يتولون الحكم بعده فجلس على العرش ابن بنته (فاضل تورة بن ناربوته بيك) ولكنه لم يستمر فترة طويلة فقد عزل لحداثة سنه وجلس على العرش مكانه أبوالغازى خان من أولاد جينكيز خان ولكن أمور المملكة والاشراف على الحكم كانت بيد الأمير دانيال عم المرحوم محمد رحيم خان . وبعد وفاة محمد رحيم خان تمرد طغا بمراد بيك برقوت حاكم ولايتنوراتا و جها نكير بيك سراى حاكم خزار وذلك عام ١١٧٢ هـ ، ولكن الأمير دانيال حاربهم وقتل زعماءهم وقضى على المتمردين جميعاً وعاقب القبائل السبعة التى وقفت معهم عقاباً شديداً كما قامت اضطرابات في بعض البلاد الأخرى مثل ميانكال وشهر سبز وخزارو بايسون وشيرآباد وكثرت أعمال السلب والنهب في كل ناحية ببلاد ما وراء النهر وقام (فاضل بيك يوز حاكم خجد واوراتيفة بمحاصرة سمرقند وكان والياً عليها محمد برات قوشبيكى شقيق الأمير دانيال ثم أخذه أسيراً مع أسرته الى ميانكال كما جمع فاضل بيك سبع قبائل مشهورة وبعض حكام الولايات بعد ذلك و زحفوا الى بخارى . وقام وأسرع الأمير دانيال بجمع جيوشه وخرج الى بلاد كرمينة لمقابلة هؤلاء المتمردين وعند ما سمع فاضل بيك فتشاور مع أعوانه في القتال ولكن القبائل التى معه اختلفت فيما بينها فاتفقوا على الصلح وأرسلوا مندوبين عنهم برسالة الى الأمير دانيال يقدمون طاعتهم ويعلنون توبتهم وندمهم على ما حدث منهم وأنهم سمعوا بجلوس فاضل بيك تورة ثم عزله وأنه عين بدلاً منه الغازى الذى ينتمى من ناحية أبيه الى السيد عطا ومن ناحية أمه الى جينكيز خان وطلبوا منه في ختام رسالتهم أن يقبل وأن يكون أميراً عليهم يجمع كلمتهم ، ويوحد القبائل

المتفرقة وكلهم راضون بامارته بشرط أن يعزل أبو المغازى خان . وقبل الأمير خان . وقبل الأمير دانيال شروطهم وأهداهم هدايا وخلعا قيمة وتم صلح الطرفين وأرسل فاضل تورة مع والدّيه الى ولاية قرشى وجعله أميراً مستقلاً . وفي تلك الفترة خرج الأمير يادكاربيك اخ طغايمراد بيك من ولايتنور لوراتا - وخواجم ياربي بعرين ومعه أربعة آلاف محارب وحاصر ولاية كرمينة وبمعاونة قبائل قيرغيز وثلاث قبائل أخرى ولكن الأمير دانيال لحقه بعشرة آلاف محارب ومعهم مدافع وهزمهم جميعاً وفرياد كاربيك بطريق نوراتا . الأمير دانيال فقد أمر قبائل قيرغيزويابو بالانتقال من مكانهم الى بخارى .

واستمر حكم الأمير دانيال ببخارى بسبعة وعشرين عاماً ومات وعمره ٧٥ عاماً ودفن بجوار مقبرة النقشبند تاركاً من الأولاد ١٤ ولداً أرشدهم كان الأمير شاهمراد .

(سلطنة الأمير شاهمراد بن الأمير دانيال) :

كان من ألقابه (الأمير معصوم الغازى) وأيضاً (جنت مكان) وقد جلس على عرش بخارى بتاريخ ١١٩٩ هـ يونيه ١٧٨٤ م وكان أبوالغازى خان المعزول عن الحكم موجوداً يعيش في مكان بخارى يده عى (محلة بازار خواجة) و أعطى له وظيفة مما كان أخوانه في عهده يتولون مناصب الحكم ولم يجد منهم الشعب خيراً وقد عزلوا جميعاً من مناصبهم عند ما عزل أبو الغازى خان . وفي عام ١٢٠٤ هـ قاد جيشّه الى بلاد مرو وقتل بيرم عليخان حاكمها ونصب عليها أخيه عمر بيك والياً ثم عاد شاهمرّاد الى بخارى ومعه حاجى حسين باى خان بن بيرم على ومعهما ثلاثون الفاً من الشيعة (الروافض) الذين كانوا يقطنون في مرو . وقام عمر بيك شقيق شاهمراد ببناء قلعة في آخر نهر مرو وسماها اسلام آباد وجعلها لزوّج ابنته عبدالعزيز خواجة . ولكنه بعد مدة خرج على حكم أخيه شاهمراد وأغتصب من عبدالعزيز خواجة قلعة اسلام آباد وأرسل عبدالعزيز خواجة مقيّداً الى مرو . وعندما سمع بذلك الأمير شاهمراد توجه مسرّعاً الى مرو ولكنه لم يفتّح اسلام آباد بل فتح سد نهر مرو وعاّد الى بخارا .

ومرت أربع سنوات جفت فيها البساتين ومات الزرع من قلة الماء مما دفع الأهالى السنيين المتوطنين في تلك الأرض وكانوا الفي عائلة تقريباً أن يهجموا ليلاً على عمر بيك ومن معه وأخذوا أربعمائة نفر منهم سجنوهم في مكان وتركوهم بلا طعام حتى ماتوا جوعاً . أما عمر بيك فقد فر وعائلته الى ولاية شهر سبز ولما سمع شاهمراد بفراره أرسل أسد الله بيك قلماق والياً على مرو ثم سافر بنفسّه الى مرو عام ١٢١١ هـ حيث سدّ نهر مرو وعادت للأرض خصوبتها وزراعتها كما كانت . ثم جعل كادين ناصر الدين بك والياً على مرو واستقر شاه مراد مدة بمرو يحارب الروافض حتى بلغه أن تيمور شاه افغان وصل بجيوش وفيرة العدد قرب بلخ فعبر مع عشرين ألفاً من المحاربين نهر جيحون من طريق كليف وسد طريق أفغان وحمل على الجيش الأفغاني حملة شديدة فانهار الأفغان وهزم تيمور شاه ، وطلب الصلح وعاّد الى كابل . عام ١٢٠٦ هـ عين الأمير شاهمرّاد ابنه الأمير حيدر والياً على ولاية قرشى كما زوجّه ابنة السيد بك يوز حاكم دهنو . وبعد حفل الزواج قام الله بردى قطغن والى قندز وكولاب بحصار دهنو بجيشه فأسرع الأمير حيدر بجيش قرشى وفجأة جيش الله بردى بالهجوم وهزمه وأخذ الله

بردى أسيراً ثم قتله وأرسل رأسه الى أبيه ببخارى ثم فتح ولاية حصارات وعاد منتصراً الى قرشى وأبوه فخور بشجاعته وحسن تصرفه .

وفي عام ١٢١٠ هـ قاد اخته خان الايراني مائة ألف محارب من بلاد العراق الى خراسان وحاصر المشهد المقدس . وفي الحال أرسل والى مشهد نادر ميرزا رسولاً الى أمير بخارا يطلب النجدة والمساعدة وأسرع شاهمراد بارسال جيوش كثيرة العدّد الى حدود مرو وبعث بمقدمة الجيش بقيادة محمد رحيم بلك يوز ثم سار هو مع بقية الجيش ومر محمد رحيم بك يوز بدون خوف بجوارالجيوش الايرانية حتى وصلّ الى مشهد .

ووصل الأمير شاهمراد ببقية الجيشّ الى نهر تجن ولما رأى ذلك أمير العراق أخته خان تأثر بشجاعة شاهمراد وقوة جيشه فعاد بجيشه الايرانّي الى العراق بدون قتال وبايع أمير خراسان الأمير معصوم على أن تكون جميع البلاد من سمرقنّد الى أوراتيفة تحتّ ادارته . وكاّن ابنه حسين بك والياً على سمرقند ومدة حكمه ستة عشر سنة وعاش واحداً وستين عاماً ومات ودفن بمقبرة حاجى حبيب الله بجوار جويبار في بخارى.

وكانت هوايته رحمة الله عليه أن يرتدى ملابس الفقراء وعمامته كانت ستة أذرع من القطن نسيج بخارا ورداوه بنى اللون وينتعل قرقين البلغارى وكان ثوبه طوال الشتاء جبة واحدة من جلد الغنم المستعمل فروه ولم يزد مصروفه اليومى من درهمين يأخذ من جزية اليهود وطعامه دقيق الشعير والفول الهندى ، ولأهله كمية من دقيق الشعير كل أسبوع و أوقيتين من لحم الغنم ، ومنع عن نفسه لقب الخان واحترم دافعى الجزية من اليهود ولم يكن يذهب الى حفلات زواج أو غيرها عند أحد من الناس كما منع نفسه أخذ هدايا أو تحف ومنع البدع والخرافات في عصره وعيّن اثنين من الأشخاص الموثوق بهما لمنع البدع والخرافات . في البلاد . ويوماً سئل عما اذا كان هناك بدع أو خرافات باقية فقال مجيباً - لقد منعت البدع كلها الا بدعتين فقط الأولى سبحة المشايخ والثانية بيرق الأموات . وقد كان في بخارا متصوفون ولهم أتباع يحملون في أيديهم مسابح واذامات أحدهم يغرس فوق قبره البيرق حتى يعرف أن هذا القبر للشيخ فلان مثلاً .

ولما سئل عن سبب عدم منع هاتين البدعتين أجاب أنه يخاف أن يمنعها لأن أجله قد اقترب ويعتقد الناس أنه مات بسبب ذلك فيكون زيادة في ضلال الناس ولذلك فقد ترك هاتين البدعتين دون يمنعها .

وفي أحد الأعياد كاّن ابنه الأمير حيدر مازال طالباً فسأله زملاؤه ان كان عمل ملابس جديدة مثلهم فأخبرهم أنه سيسأل والده الأمير شاهمراد ولما سأله أخبره والده بأنه ليس لديه نقود فائضة ليشترى له ملابس جديدة ولما اشتكى الأمير حيدر لوالدته أعطته رسالة الى أمين صندوق بيت المال ليصرف له مبلغاً يقسط من راتب أبيه ولكن أمين الصندوق طلب من الأمير شاهمراد مستندا منه حتى يخصم الدين من راتبه الى أن ينتهى وعند ذلك بكى شاهمراد وشكر أمين الصندوق الأمين داعياً الله على ذلك . وكان رحمة الله عليه غاية من الورع والزهد فكان أيامه مقسماً بين النظر في أمور الرعية وبين عبادة ربه وجزء من وقته للقيام بتدريس طلبة العلم وبأعماله الخاصة وكان يشارك أهله في أعمال

البيت فتارة يقوم بنفسه بغسل ثيابه ولا شك أنه كان من العارفين بالله وهذه قصة متواترة بين أهل بخارى وهى أنه كان في أحد الأيام مشغولاً بغسيل ثيابه اذ جاء الساعى يخبره بوصول (اليو) وبين ذلك أنه كان بعض قبائل التركمانية الرحالة التى كانت لم تكن تابعة لأحد من الدول وكانوا قساة قطاع الطرق ويغيرون على القوافل وينهبون ويسلبون ويأسرون فتارة كانوا يغيرون على الدولة الايرانية ويبيعون أسراهم بأهل بخارى وتارة بالعكس وكان هذه الاغارة يسمى (يو) بفتح الياء وسكون الواو وكان غارتهم مفاجأة ولم يكن لهم نظام بل الغاية النهب والسلب وأخذ الأسرى (فأخبر الساعى أن اليو مقبل فقال وهو مشغول بغسل ثيابه حتى الآن بعيد فوصل بعده ساع آخر أن اليو قرب عند البلدة فقال حتى الآن بعيد فوصل الثالث يخبره بأنه وصل الى ريكستان فقام من رأس الطشت ويده مشغولة بالغسيل وطالع في ناحية المغيرين وأشار بأصبعيه اليهم فارتدت على أعقابها ولم تعد . فانتهى الأمر وقيل سئل زعيم الطائفة المغيرة عن سبب رجوع جموعه فقال أننى شاهدت بعينى أن ثعباناً في نهاية العظمة كاد أن يبتلعنى وجيشى كلها فاضطررت بالرجوع والا لقضت تلك الثعبان عليّ وعلى من معى من الجنود .

هذه حياة الأمير شاهمراد الذى زهد في الدنيا وعاف عن اللبس والمأكل حتى الذهب والفضة والسيوف وكل ما يملك كان يعطيه للمحاربين والمجاهدين من الجنود وأعيان دولته وللفقراء ومات رحمه الله عام ١٢١٥ هـ .

(سلطنة الأمير حيدر بن الأمير شاهمراد) :

جلس على العرش عام ١٢١٥ هـ وكان عمره اثنين وعشرين عاماً وأمّه ابنة السيد أبو الفيض خان الشهيد وكانت أولاً في عصمة محمد رحيم خان أوزبك ثم بعده تزوجت من الأمير شاهمراد وانجبت منه الأمير حيدر .

ويعتبر الأمير من سلالة المنغتية من ناحية أمه فقط وعلى ذلك فالسلاطين والأمراء المنسوبيّن الى قوم منغيت في بخارى من الاشراف الحسينيين عاملهم الله بفضله في الدنيا والآخرة وقد أجمع جمهور علماء بخارى والحجاز والأتراك على أنهم وذريتهم تصل لعلى وفاطمة رضى الله عنهما وجواز مشروعية النسب للأم فقد نسب عبد الله بن أم مكتوم مؤذن الرسول عليه الصلاة والسلام لأمه وهو من المهاجرين .

كان الأمير حيدر عالماً تقياً وباحثاً في علوم الدين وفي أول حكمه قام بابابيك بروانجى حاكم أوراتيفة بمهاجمة ديزخ الذى كان يحكمها محمد يوسف خواجة سيد اتابي وكان متزوجاً من أخت الأمير حيدر ، كما كان أبوه محمد أمين خواجة نقيب حاكماً على كنه قورغان وعند ما علم أبوه بهذا الهجوم قاد جيشه وأنقذ ابنه بابابيك وأسر خمسمائة من جنوده فقتل جزء منهم والباقي أرسله مع والدتهّ وابنه الآخر قاسم خواجه الى بخارى للأمير حيدر . ولكن الأمير حيدر أطلق سراح الأسرى واعاد والدة محمد أمين خواجة وابّنه اليه ، ولم يعاملها معاملة حسنة مما أحزن محمد أمين خواجة وضايقه فأرسّل الى عمر بك وفاضل بك ببلاد شهر سبز يطلب منهما مده بجيش ليحارب معه ضد الأمير حيدر .

فأرسلوا اليه ألف محارب بقيادة عبدالله داد خواه . كما تمرد عمر بك بعد أن عينهما محمد أمين خواجة على ولاية بنجشنبه وعيّن ابنه قاسم والياً على ينكى قورغان خطاى وحاصروا بجيشهم سمرقند التى كان والياً عليها محمد حسين شقيق الأمير حيدر . فبعث الأمير حيدر خاله مؤمن بيك بروانجى ومحمد أمين بيك قلماق على رأس عشرة آلاف محارب الى سمرقند ولحق بهما على رأس جيش كبير حيث توجّه الى ولاية بنجشنبه وحاصرها خمسة أيام ثم فتحها وقتل جميع من كان يدافع عنها وفيهم عمر بيك وفاضل بيك فلما بلغ ذلك الى نقيب بك فك الحصار عن سمرقند وأسرع الفرار الى شهر سبز .

وفتح الأمير حيدر بعد ذلك بلاد كنه قورغان وينكى ودخل سمرقند وجلس بكوكتاش عرش تيمور لنك ثم قاد جيوشه واستولى على قورغان قره تيفه وعاد ثانية الى سمرقند حيث دولت ديوان بيكى والياً على خزار وعين دولت قوسشبيكى والياً على سمرقند وكان الاثنان من أعوان والده . وأثناء وجودة على سمرقند أرسل برونجى حاكم وراتيفة هدايا فخمة مع ابنته ومجددا له البيعة ، كما أرسل له أيضاً بيكمراد بي ولد خدايار بي يوز حاكم خجند هدايا وتأكيداً لولائه وبيعته . ولكن عالم خان بن ناربوتة بك حاكم خوقند استطاع أن يستولى على بلاد خجند وفر بيكمراد بي الى بلاد أوراتيفة عند عمه ولكن انتهز فرصة وقتل عمه برونجى وجلس مكانه في الحكم وأرسل الى الأمير حيدر ببخارى يطلب منه ارسال جيوش يستعيد بها بلاده خجند من عالم خان وقد أرسل له الأمير حيدر أنه سيحضر بنفسه لأخذ ثأره ، واستعادة خجند . وبعد قليل وصل الأمير حيدر الى أوراتيفة بجيشه واستقبله بيكمراد بي ولكن الأمير حيدر قبض عليه وسلمه لأولاد برونجى الذين قتلوه قصاصاً لقتله والدهم غدراً . وبعد ذلك عين على بلاد أوراتيفة ملا أمير نظربك والياً عليها وعيّن افلاطون توقبا على بلاد ضامن وخوشى بك على بلاد ديزخ . ثم زحف بجيشه على أورميتن و فلغر وفتحهما وانتقل الى بلاد شهر سبز ففتح قورغان أولغ أوغل وعين عليها حاكماً ثم عاد الى بخارى .

وفي عام ١٢١٩ هـ أخذ أيل توزار خان ، أمير أورجكنج يقوم بغارات على اطراف بخارا للنهب والسلب والاغتصاب فما كان من الأمير حيدر الا أن أرسل له عشرين ألف محارب بقيادة نيازى بيك بن برونجى الى خوارزم وسرعان ما تقابل الجيشان بعد أن عبر ايل توزار خان بجيوش كثيرة العدد نهر جيحون ودارت الدائرة على أيل توزار خان فانهزم جيشه وغرق كثير من جنوده في نهر جيحون وأسر عدد آخر فيهم ثلاثة من أخوة أيل توزار خان نقلوا الى بخارا حيث أمر الأمير حيدر بشنق اثنين منهم أما الثالث (قتلق مراد خان) فقد عفي عنه ومعه أربعمائة أسير بعد أن حلف يميناً شرعياً بعدم الخروج على الأمير حيدر ولا يتعدى عليه أو يعصيه وأعادهم الى بلادهم أوركنج .

وكان دين ناصر بيك أخو الأمير حيدر حاكماً على مرو من أيام والده الأمير شاهمراد ولكنه بعد انقضاء الحرب مع أوركنج تمرد على أخيه الأمير حيدر وتوجه على رأس أربعة آلاف محارب الى حدود جهارجوى فأرسل له الأمير حيدر جيشاً من عشرة آلاف محارب بقيادة نيازبيك برونجى وبعد قتال بين الطرفين وقع الفان بين قتيل وجريح وأسير من جيش دين ناصر بيك وفر الباقون ومعهم دين ناصربيك وتقبهم نيازبيك برزانجى حتى سد نهر سلطان ففتح السد فأصبحت بلاد مرو بلا ماء وييبس الزرع وبتاريخ ١١٢٢ هـ هاجر دين ناصربيك وأسرته وحاشيته الى مشهد وأقام بها ولم يعين الأمير

حيدر والياً على مرو مدة أربعة سنين ثم بعدت بعدها يرلقب بيك مع مائتى عائلة تركمانية ليكون واليا عليها . ولكن بعد مضى عشر سنوات عاد مرة ثانية الى بخارى ومعه العائلات التركمانية تاركاً مرو التى أصبحت خراباً خالية من السكان ولم تعمر بالسكان الا بعد خمس وأربعين سنة بالتدريج . وفي عام ١٢٢٨ هـ تمرد قائد جيوشه عالم خان في خوقند واستولى على أوراتيفة وزحفَ الى ديزخ وحاصرها ولكنه لم يتمكن من فتحها فعاد الى خوقند حيث ثار الشعب عليه وقتله وعين بدلاً منه أخيه الأمير عمر خان .

وفي عام ١٢٣٤ هـ قام محمد رحيم خان حاكم أوركنج بأعمال السلب والنهب وحاصر جهارجوى وفتحها وأخذ يهاجم أطراف بخارا ينهب ويغتصب ويسلب أهالى القرى والفقراء لمدة عامين ، كما قامت قبائل خطاى وقبجاق أيضاً بالطغيان والسلب والنهب وأخذت دولت قوشبيكى مع أهل وحواشي أسرى واستولوا على كنه قورغان وبنجشنبه وينكى قورغان وجلك ونهبوا واغتصبوا كل ما صادفهم ثم حاصروا سمرقند .

وفي الحال أمر الأمير حيدّر ابنه الأمير نصر الله بقيادة جيشه من قرشى لتأديب قبائل خطاى وقبجاق ثم قاد هو جيوشّه الى حدود كرمينة وتمكّن ابنه الأمير نصر الله من فتح كنه قورغان وقتل واليها عبدالله بك أورتارجي ومن معه من المتمردين وفرت قبائل خطاى وقبجاق من حول سمرقند ولكنه تعقبها حتى بلاد جلك وأسر من أمرائهم وأعيانهم عدداً كبيراً قتل جزء منهم والباقي طلب منه الصلح . وأخذ الأمير مبايعة من أهل أوركنج وعقد معهم عهداً وميثاقاً وعاد الى سمرقند حيث نصبّ ابنه الأمير حسين توره والياً عليها . ورجّع الى بخارا أيضاً محمد رحيم خان حيثّ استكمل جيشه ثم استولى على جهارجوى وعبر نهر جيحون واستولى على قرب وكان أمير خوقند وأمير أوركنج دائماً في حروب مع أمير بخارا . ولذلك فقد نصحهم الأمير حيدر أن يكفوا عن القتال فيما بينهم وأن يسود الصفاء والسلام قلوبهم حتى يعيش الناس في راحة وأمان وطلبّ منهم أن يعقدّوا اتفاقية فيما بينهم بذلك . وكان عمر خان حاكم خوقند شاعراً مجيداً وكان اجابته بمواهبه الأدبية مستنّدا الى حادثة تاريخية من ترتيب الخلافة نسبة للخلفاء الراشدين بما يلي :

(سزدكه شاه بخارا مطيع من كردد　　　عمر بتخت خلافت مقدم أزحيدر)

أى جدير بأمير حيدر (حيدر لقب على المرتضى كرم الله وجهه) أن يكون تابعا لىلقدم وسبق خلافة عمر على خلافة علي وكان جنيد الله مخدوم متخلص بـ (حاذق) في خدمة أمير (خيوة المسمى بـ (محمد رحيم خان) أجاب عن ممدوحه بالشعر التركى :

(محمد عمر آلديغه تايسه حجاى　　　عمر جاكر أولمسمو حيدر مطيع)

أى ـ فتى كان محمد عند رب العزة (رحيم) فمن الضرورى أن يكون لعمر وعلى أن يكونا مطيعين ومنقادين له . وكان هدفهما بهذه الردود عدم الاتفاق وكان ذلك دليلاً على أنانيتهم وسخف عقولهم وتفكيرهم لذا لم يبق من أمراء المسلمين في بلاد ما وراء النهر أحد واضعفت تلك الخلافات قواهم فتمكن الروس منّ ابتلاعهم واحداً تلو واحد .

وعندما جاء محمد رحيم خان لقيادة جيوشه في قرية قرب واستولى عليها أرسل الأمير سعيد هو امير حيدّر ابنه أمير عمر تورة ومعه نيازبيك بروانجى القائد الحربي ومعها ستة آلاف جندى ولكنهم عادوا مهزومين فأخذ أمير سعيد الشرازم من جنده الموجودين وبعض الأهالى والبدو فقادهم بنفسه الى صحراء همد وقلى وبعد أن استراح جنوده يومين في الصحراء زحفَ الى أرض (بتك) وانضّم اليه حاكم بتك (محمد سيد خواجه) ومعه خمسمائة محارب . وعندما سمع (قتلق مراد خان) أخو محمد رحيم خان بمجئ الأمير السعيد (حيدر) عبر من نهر جيحون لمهاجمته ولكن جنود بخارا هاجموه وأسروا من جنوده أربعاً وخمسين والباقي غرق أكثرهم في نهر جيحون كما أن محمد رحيم خان مات من الغصة بعد ثلاثة أيام من خروجه بطريق أوركنج ووصوله الى بلاده وبذلك خلص الله أهالى بخارا من شره .

ولما سمعت قبائل خطاى وقبجاق بمجئ الأمير سعيد وفرار أهالى أوركنج أسرعوا فبايعوا الأمير اسحاق بك ثم ابن محمود بك بن الأمير دانيال ونصبوه خانا لأنفسهم عليهم وزحفوا الى الباغجة كلان قرب بلاد كرمينة فنهبوا وسلبوا كل ما قابلهم وأحرقوا بيوت الأهالى . ولم يتركهم الأمير سعيد فبعد أن فتح جهار جوى وهزم أوركنّج استراح في بخارى أسبوعاً ثم هيأ جيشه وجهزه لقبائل خطاى وقبجاق . وعندما سمعت القبيلتان بخروجه اليهما فرت جيوشهما من صحراء بخارا الى حدود جلك ولكن الأمير سعيد تعقبهم وحاصر بلادهم . وخرج السيد بك اتالق يوز حاكم حصار واتالق بك حاكم أوراتيفة حيث استقبلا الأمير حيدر الملقب بالأمير سعيد ولمساعدته ولكنه رجع الى سمرقند وأمرهما بالرجوع الى بلديهما .

وعندما وصل الى سمرقند عزل ابنه الأمير حسين من ولاية سمرقند وسبب ذلك أرسل رجب بك بروانجى الى بلاد أوركوت مع جيوشه بدون علم أبيه الأمير حيدر حيث وقع رجب بك أسيراً وقتل أكثر جيشه ثم أعطى أوركوت لقبائل مينك في مقابل تخليصها رجب بك بروانجى . وزحف الأمير سعيد بجيوشه من سمرقند الى بلاد أوركوت ولكن (كنه بك بي) من أعيان أوركوت استقبله وخطب ابنته للأمير نصر الله . ثم فتح الأمير سعيد بلا جلك وينكى قورغان وسابوى المترده وعاد الى بخارى منتصراً وظافراً على أعدائه جميعاً . وفي عام ١٢٤٠ هـ توفي في بخارا ودفن بها وكانت مدة حكمه سبعة عشر عاماً ومات عن ثمان وأربعين عاماً .

وكان في حياته مجاهداً عظيماً ومجتهداً على العمل على راحة رعيته وخيرهم كما كان عالماً تقياً مواظباً على الصلاة والعبادة وكان أربعمائة من طلبة العلم تلميذه وزوجته تزوجت بنت زمان شاه ابن تيمور شاه ابن أحمد شاه أمير كابل أعطاهم عشرون ألف ذهب وأيضاً بنت حاكم حصار سيد بي يوز روزبك وأيضاً بنت حاكم شهر سبز محمد صادق بي كل عام ينفق على عشرة آلاف من فقراء المسلمين وكان يحترم العلماء وأهل الفضل ، وأولاده سبعة ذكور وثمان اناث . ومن الذكور كان الأمير حسين الذى تولى العرش بعد أبيه والأمير نصر الله كان والياً على قرشى . وقد بايع الجميع الأمير حسين على عرش بخارى بعد وفاة والده ولكنه لم يستمر في الحكم فقد مات بعد ستة وسبعين ٧٦ يوماً وكان عمره ثلاثون سنة . واتفق أعيان المملكة على جلوس أخيه عمر أميراً على مكانه وأحضروه من

بلاد كرمينه وأجسوه على العرش . ولكنه كان سيئ الخلق والمعاملة متساهلاً في أمور الدولة مما جعل الأمراء يرسلون سراً للأمير نصر الله الذى جاء من قرشى بعد أن زار قبر بهاء الدين رحمة الله عليه .
وسافر الأمير نصر الله الى سمرقند حيث استقبله أهلها بحفاوة ثم الى ميانكال وبعدها سار ثانية الى بخارى وحاصرها مدة خمسين يوماً حتى فتح له أبوابها أعيان بخارى حكيم قوشبيكي ورجب بيك بي واياز بي ودخلها الأمير نصر الله بعد أن غادرها الأمير عمر الذى توجّه الى بنت زوج أخته السيد أحمد خواجة بمحلة مسجد بلند ، ثم تركها الى هرات وبعدها سافر الى خوقند حيث استقبله أميرها بترحاب وزوجه أخته . وظل الأمير عمر بخوقند حيث مات بها بعد مدة من الزمن .

(سلطنة الأمير نصر الله خان بن الأمير حيدر) :

بعد جلوسه على عرش بخارا عام ١٢٤٢ هـ جمع حاشية أخيه الأمير عمر ومنهم عصمة الله بك وابنه وخمسين شخصاً من الذين كانوا قد أغلقوا أبواب قلعة بخارى في وجهه وقتلهم جميعاً ثم بعث بأخوته الأمير زبير والأمير حمزة والأمير صفدّر الى ولاية نرزم . كما جلس محمد علي خان عمر خان خوقندى بعد موت أبيه على عرش خوقند ، واعتدى على الأراضى التابعة لبخارا فأخذ أوراتيفة من الوالى اتالو بيك بي يوزو زحف بجيشه على بلاد ينكى قورغان وساى بوبي واستولى عليها كما أن دانيال ولينعمى بشهر سبز أخذ بلاد جراغجى وحاصر بلاد قرشى .
وفي تلك الفترة عين الأمير حكيم قوشبيكى وزيراً للداخلية وعيّن ابنه والياً على قرشي ورجب بيك بروانجى والياً على بلاد بنجشنبه والأمير داله بيك توقصاً بابن رجب بك والياً على بلاد ينكى قورغان وعالم بك بي نوايا خلى يوز والياً على جلك والله نظر بروانجى والياً على نور اتاوبير نظر بي والياً على كرمينة وقابل ديوان بيكى والياً على (خطرجى) وميرزا عباد الله بي والياً على قراكول وعبدالرسول بي والياً على جها رجوى .
وبتاريخ ١٢٤٣ هـ مات بيك أوغلى بي ديوان بيكى الوالى على بهرينوفي نفس التاريخ تمرد أهالى شهر سبز فقاد الأمير نصر الله جيوشه الى شهر سبز وفتح بلاد جراغجى وهدم حصونها ووقع صلحاً مع دانيال بي والى شهر سبز وأنعم عليه برتبة (ديوان بيكى) ثم عاد الى بخارى ليجهز جيشاً لاستعادة البلاد التى استولى عليها منه أمير خوقند (محمد على خان) . وجمع الأمير نصر الله جيشاً قوامه ثلاثين ألفاً من الفرسان والقامن الميليشيا وعشرة آلاف من التركمان من قبائل تكة وسالور . وبتاريخ ١٢٤٨ هـ تمكن من فتح ديزخ واوراتيفة وخجند ثم زحف الى خوقند فاضطر محمد على خان الى الفرار ولكنه وقع في أيدى جيوش نصر الله خان قرب مرغيلان فأمر الأمير نصر الله باعدامه ومعه أهله وولديه .
ولم يعد الأمير نصر الله الى بخارى الا بعد أن أعدم معظم أعوان محمد على خان وصادر أموالهم ثم عهد بأمر المدينة الى ابراهيم بي بروانجى وترك معه ألفين من الجند . ولكن بعد أربعين يوماً عزل أهالى خوقند ابراهيم بي بروانجى الذى عاد الى بخارا وعينوا بدلاً منه ناربوتة خان (المقلب بملة خان) كما أن ابنه (مسلماً نقلى خان) استولى على اوراتيفة وزحف بجيوشه الى ديزخ ثم صار أميراً على خوقند .

ولكن أهالي خوقند قتلوه وجلس مكانه على عرش خوقند أخوه خدايا رخان .

وفي عهد الأمير نصر الله خان أخذت روسيا تحاول الوصول الى اتفاق ثابت مع بخارى فاوفدت اليها لهذا الغرض في عام ١٢٤٨ هـ بعثة سياسية علمية على رأسها (الماجور بوتنيف) وكانت التعليمات التي زودت روسيا بها هذا المبعوث بذل غاية جهده في اقناع الأمير بما يكنه بلاط بطسر سبرج من محبة وعطف نحو البلاد الاسلامية . ومن ذلك ما فعله قيصر روسيا مع السلطان محمود الثاني في محنته مع محمد على والى مصر وما كان من موقفه كذلك مع محمد قاجار شاه ملك فارس وأن روسيا لا تتردد في أن يكون لنصر الله بدوره نصيب من تعاونها وتأييدها بشرط أن يتعهد بأمور معينة .

هي - أولاً عدم القيام بأعمال عدوانية ضد روسيا لا في السر ولا في العلانية - ثانياً - الاّ يحتفظ عنده بأسرى من الروس وأن يضمن سلامة رعايا الروس وممتلكاتهم . في بلاده . ثالثاً - الا يصادر متاع الروس الذين توافيهم المنية في بلاده بل يبعث بها الى روسيا . رابعاً - أن يمنع البخاريين من السطو على رعايا الروس أو ارتكاب أعمال العنف معهم وأن يعاقب في الحال كل من يرتكب منهم شيئاً من ذلك . خامساً - أن يؤخذ الرسم المفروض على البضائع الروسية بحيث لا يزيد عن ٥٪ من قيمة كل سلعة . سادساً - الا يتعرض التجار من الروس للمضايقات أو الأذى ببلاده وأن يوفر لهم ببخارى من الحماية ما يوفره الروس للتجار البخاريين في بلاد روسيا .

كما تقدمت روسيا أيضاً الى الأمير نصر الله بكثير من المنافع والامتيازات نظير ذلك فخدعت الى حد ما في تقديرها للأمير نصر الله ، فكيف يكون لهذه البعثة العادية أن تتقدم بهذه الشروط .

ولقي المبعوث الروسي وأعضاء البعثة من حسن اللقاء وكرم الضيافة مما ليس له من مزيد الا أنه لم يصل في مهمته الى نتيجة ما . فقد تلقي الأمير نصر الله هدايا امبراطور روسيا ورسائله بالعطف الزائد . ولكنهم لم يستطيعوا أن يحملوه على الدخول معهم في مفاوضات بشأن المعاهدة والشروط التي كانت تنشدها روسيا . فقد كان يتعلل دائماً للهروب منها أما باعتذاره للانشغال في حروبه مع خوقند أو لأمور هامة تخص الدولة . وانقضى على البعثة الروسية ثمانية شهور في بخارى ورئيسها الماجور بونتيف يحاول عبثاً مقابلة الأمير نصر الله .

ولم يكن سلاطين بخارى السابقين يعترفون بسيادة أو مودة لغيرهم سوى السلاطين العثمانيين الذين كانوا يعترفون لهم فقط بالسيادة من الناحية الدينية ولذلك فقد كان في نظرهم أنه لا جدوى على الاطلاق من مودة تعرضها دولة أوربية حيث أن أمراء ما وراء النهر كانوا يمقتون المسيحيين كل المقت . فقد كان اختيار بريطانيا السابق بتاريخ ١٢٤٨ هـ لبعثة الكولونيل ستورات لاقامة علاقات ودية مع بخارى عن طريق السفير البريطاني بطهران وبلغ أيضاً المستعمرون الانجليز نيتهم الاستيلاء على الهند ونية الروس في التوغل في آسيا الوسطى وأن المراسلات الدبلوماسية بين لندن وبتر سبورج لن يكون من ورائها جدوى وأن روسيا سوف تواصل سياستها العدوانية ازاء الخانيات الثلاث وأيضاً استولى الانجليز بقيادة لورد عوفلان ٥ عام ١٢٥٥ هـ على بلاد أفغانستان وفر أمير كابل الى بخارى هرباً من الانجليز حيث لجأ اليها مع أسرته . كل ذلك وبسبب الحوادث المستمرة فان الأمير نصر الله كان بعيد النظر وكان على حق في موقفه الواعي وما يؤخذ على البلاد الثلاثة (بخارا و خيوه وخوقند) حروبها

مع جيرانها وفيا بينها ولو تجمعت كلمتهم وتوحدت قوتهم في وجه المستعمر الخارجي لامتنعت بلادهم عن كل دخيل .

وعلى عادة سلاطين بخارى السابقين فقد أرسل الأمير نصر الله رسوله (قابل بيك قرلقّ) الى شاه ايران محمد شاه قاجار وكان حاضراً (جغتاى بك) مندوب السلطان عبدالمجيد سلطان الدولة التركية وعندمامقابلة الرسول لشاه ايران فقد اثار منذ الأول السخط والغضب باصراره في حمق على رفض اتباع التقاليد التى تجرى ببخاري عند مقابلة شاه ايران وخاطب الشاه قابل بيك بي بأنّ أهالى بخارا فقراء وهم يسرقون وينهبون رعيّة ايران ويأخذون منهم ويبيعوّن اياهم وهذا أساس معيشتهم وأنه مع ذلك لا يخجلون ويرسلون ممثليّن الى سلاطين البلاد . ولزم قابل بيك الأدب فلم يرد عليه ولكن (جغتاى بيك مندوب السلطان عبدالمجيد قام وطلب السماح له والاذن بالكلام وذلك طبقاً لتقاليد أهل بخارى ولّما اذن له الشاه قام ،الرد على الشاه ـ بأنه لا يخفي عليه أن سلاطين بخارا منذ قديم حكمهم مشهورون بين الخاصة والعامة وبين أكثر الممالك بحكومتهم العادلة وحرصهم على رفاهية شعوبهم والعمل على أن يعيشوا مطمئنين مع الحكومات الاسلامية المستقلة ويحبوّن احترام جيرانهم ولكن الشاه يعلم أنه يوجد بين دولتى بخارىّ وايران وقبائل التركمان ومنهم قطاع الطرق وكذلك أهل البادية وهؤلاء ليسوا رعية لبخارى ولا رعية لايران هم عصابات مسلحة يحترفون السلب والنهب وهتك الأعراض وقتل كل من يقف في طريقهم وهم لا ضمير لهم ولا مبادئ ولا خلق ياسرون الأبرياء مّن ايران وغيرها ويبيعونهم في بخارى وخوقند وخوارزم ، وأهالى بخارى يشترونهم بطريق الشفقة والمروءة ودافع الأخوة الاسلامية فيعاملونهم بشفقة وحنان الأبوة وبسبب الرفاهية التى يتمتع بها أهل بخارا يشترونهم بطريق الشفقة والمروءة فان هؤلاء يتربون أحسن تربية ويتعلمون التجارة والصناعة أو يبرزون في العلم وينشأون وقد نسوا وطنهم الأصلى وأصبحوا ذوى مكانة في موطنهم (الجديد) بخارا ومنهم من يصل الى أرقي المراتب في الدولة فيصبح منهم الوزير والحاكم وصارت لهم الاسر الكثيرة الأولاد وهكذا كانت دائما معاملة أهل بخارا لأسرى التراكمة وبهذه الاجابة الواضحة التى أظهر بها جغتاى بيك الحق أمام الشاه فان الشاه ابتسم وظهر عليه السرور ، وأجاب أنه قد اطمئن قلبه بعد أن ظهر له (الحق) يوزع على كل منهم خلعة وفرساً وهدايا أخرى ثم أرسل معهم من أوصلهم حتى حدود استنبول .

وعند مواصلة جغتاى بيك طريقه وصل مندوب من السلطان عبد المجيد وجاء بالأمر ابراهيم باشا وكان حواشي سيسافر بطريق البحر فاتفق معه أن يسافروا جميعا بطريق البر الى استنبول واستقبلهم قافلان باشي من حاشية السلطان وطلب خطاب أمير بخارى فرد عليه جغتاى بيك أنه سيقدم بنفسه للسلطان كأمر ملكى . وبعد مدة عاد قافلان باشي وطلبه لمقابلة السلطان فارتدى جغتاى بيك كتقاليد بخارى فوطة شملة تلف ظهره وبوسطه خنجر ولما حاول قافلان باشي منعه عن ذلك صمم جغتاى بيك عليها قائلا كل شخص لابد وأن ينفذ تقاليد ومراسيم بلاده ودخل على السلطان بهذه الهيئة ولما سأله السلطان عن هذا الزى وعن الخنجر قام جغتاى بيك من مجلسه ليجيبه أن الفوطة والخنجر رمزان لرتبة


1860 – 1865

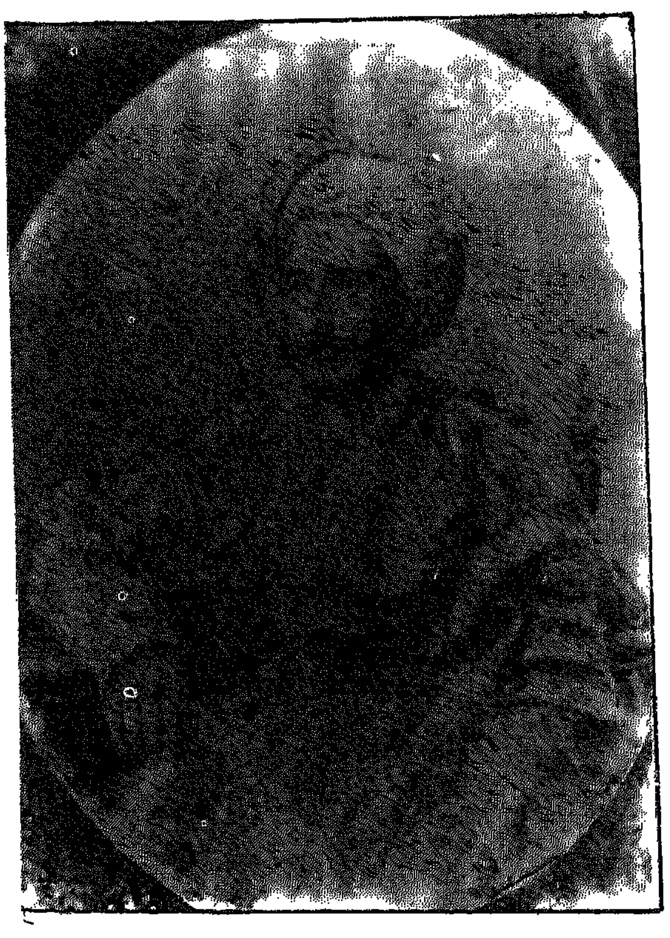
بك في بخارى فان أمراء بخارا عندما يقدرون من أخلص في خدمتهم وعلى قدر مدة خدمته واجتهاده تكون رتبته وهذه أعلى رتبة في بخارى ولذلك فهو يرتدى الزى الخاص به . وتبسم السلطان وهمس في أذن قافلان باشى بشيئ خرج على أثره ثم عاد ومعه نيشان مرصع باللآلئ أي ميدالية ثم علقه على صدر جغتاى بيك قائلاً له : أنت أخذت رتبة أيضاً من السلطان وأمر له بدار الضيافة ، حيث أقام جغتاى بيك ستة أشهر محاطاً بالاحترام الخاص ثم استأذن في الرجوع الى بخارى .

بعد وصول جغتاى بيكْ الى بخارى أوفده الأمير نصر الله مرتيَن الى روسيا لمهمة عند القيصر نيكولاى ومات عام (١٢٥٠) هـ أثناء سفره بطريق بترسبورج . وبعد وفاة دانيال بيك ولينعمى ديوان بيكى والى شهر سبز تمرد خواجه قلى بك ولينعمى فقاد الأمير نصر الله جيوشه الى شهر سبز ثم رجع بعد اتفاق بالصلح وكان ذلك يتكرر مرتين في العام حتّى اضطر أخيراً وبعد ثمانية وعشرين مرة أن يفتح شهر سبز ويعود الى بخارى ومعه اسكندر بيك ولينعمى وجميع أهله وأولاده ، ثم تزوج أخته ولكن الحقد الذى ملأ قلبها مما حدث لأخيها جعلها تضع الزئبق في اذن زوجها وهو نائم ، ولم يكن الأطباء في ذلك الحين قد وصلّوا الى علاج لمثل حالته . وظل الألم باذنه أياماً تمكن خلالها من أن يجعل زوجته تعترف بفعلتها الآثمة فأمر بقتلها ثم مات بعد مدة قليلة بتاريخ (١٢٧٧) هـ ودفن بجوار حضرة داملا عليه الرحمة وقد عاش ثلاثاً وستين سنة ودامت مدة حكمه خمساً وثلاثون عاماً وبضعة شهور .

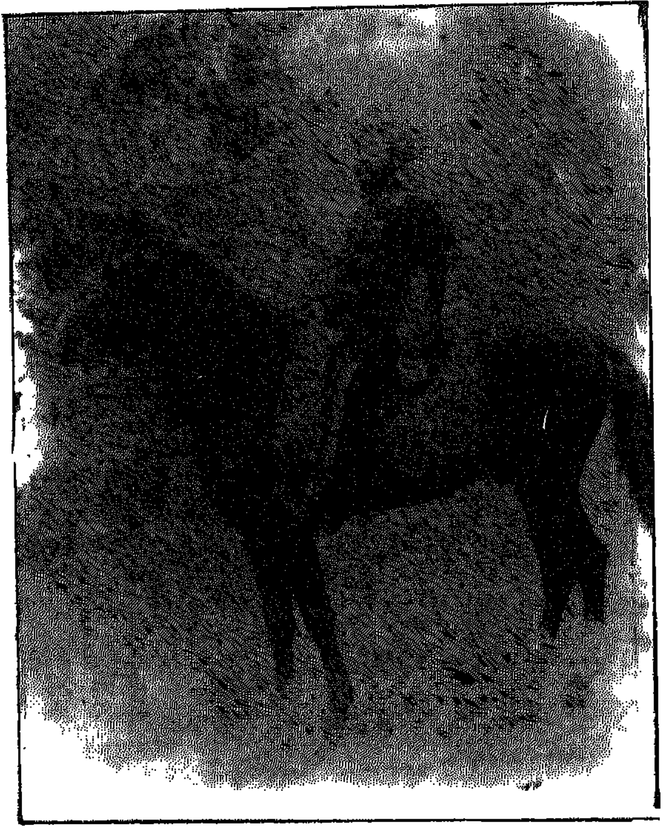
(سلطنة الأمير مظفر الدين بن الأمير نصر الله خان) :

كان والياً على بلاد كرمينه في حياة أبيه . وبعد وفاة والده جلس مكانه على عرش بخارى وخضعت له جميع الولايات التى كانت تابعة لوالده ما عدا عبدالكريم ديوان بيكى حاكم حصار ، وسره بيك داد خواه حاكم كولاب وحكام قراتيكين ودرواز وجميعها في شرق بخارا فقد تمردوا وشقوا عصا الطاعة الى حدود دهنو ، كما استولى (مله خان بن ناربوته خان) خوقندى على أوراتيفة وحاصر ديزخ . وكان الوقت شتاء والبرد قارصاً حين قاد الأمير مظفر جيشه لفتح بلاد حصار ووصل الى حدود دهنو وفتحها بعد قتال رهيب وأمر بقتل كثير من أهلها الذين ندموا على ما فعلوه ثم زحف بعد ذلك الى حصار حيث حاصر بلاد حصار شادمان لمدة خمسة عشر يوماً ثم فتحها وقتل حاكمها عبدالكريم مع أولاده وزحف بعد ذلك الى بلاد كولاب ويلجوان حيث تمكن من فتحها وقتل المتمردين بها ولكن سره بيك داد خواه حاكم كولاب استطاع الفرار مع أسرته وعبر نهر جيحون الى أفغانستان حيث التجأ لأميرها عبدالرحمن خان وأقام في كابل . وأسرع حكام درواز وقرا تيكين بالحضور لمبايعة الأمير مظفر الدين بالولاء والطاعة ، ولكن الأمير مظفر الدين جدد ولاية قراتيكين لحاكمها السابق سراج الدين شاه وعطف عليه واحترمه ثم ولى على كل البلاد التى فتحها حكاماً لها وعاد الى بخارا .

وكان مله خان خوقندى الذى سبق أن استولى على أوراتيفة قد قتله أمراء خوقند وجلس مكانه



الأمير عبد الملك
ولي العهد
←



الأمير عبد الملك
يقود جيشه ضد الروس
→

على عرش خوقند أخوه خدايار خان . وبعد أن رجع الأمير مظفر الدين من شرق بخارا قاد جيوشه الى أوراتيفة واستولى عليها من رستم بيك يوز وبعد أن استراح مدة بها زحف بجيشه الى خوقند وحاصرها ثم فتحها وأعادها الى أميرها خدايار خان بعد أن بايعه ورجع الأمير مظفر الدين ثانية الى بخارا . وبعد عامين قام أهالى خوقند بثورة ضد أميرهم واختاروا أميراً عليهم سلطان مراد خان من أهاليهم وفر خدايار خان الى سمرقند حيث رحب به حاكمها الله يا ربيك بروانجى ومنحه مسكناً وأعطاه المصاريف اللازمة بعد أن استأذن في ذلك الأمير مظفر الدين ، وبعد عامين قضاهما خدايار خان بسمرقند حضر مظفر الدين بجيشه وأخذه معه حيث فتح خوقند وأعاد خدايار خان مرة ثانية الى عرشه . وفي أثناء ذلك حرض بعض الكينكسية أهالى شهر سبز في عزل حاكمها عشوربيك بي ونصبوا مكانه حكيرم بيآجه ميكى ، كما عزلوا والى كتاب (ذاكربيك) ونصبوا مكانه (جوره بيك تراخلى) وزاد غضب أهالى شهر سبزو (كتاب) على أميرهم مظفر الدين الذى جمع جيشه وتوجه اليهم حيث حاصرهم مدة شهرين لكنه لم يستطع فتح شهر سبز فعاد الى بخارا بعد أن اتفقا على الصلح بينهما . فقد شغل ذهن الأمير مظفر الدين في ذلك الوقت فتح جيوش روسيا بلاد تركستان واستيلاء القائد الروسى (جرنايف كينرال) على طاشقند في شهر يونيو عام ١٨٦٤ م وشهر يسه ، المعروف بتركستان مقر الصوفي المشهور (خواجة أحمد يسوى) وكان من المنتظر في تلك الحالة أن يتحد القبجاق مع خدايار خان للوقوف معاً لقتال عدوهما الكافر ولكن ما بينهما من حقد وكراهية كان له دوره الكبير وكما كان يلعبانه على الدوام في توران من قبل وعلى ذلك فقد وقف القبجاق يتفرجون على الروس في سرور بالغ وهم يتقدمون على طريق سيرام الى طاشقند . وأدرك الأمير مظفر الدين أنه قد آن الأوان لكى يعيد النظر في مشاكل ربيبة خدايار خان وحاول بينهما فاوفد خواجة نجم الدين على رأس بعثة صداقة الى بطرسبرج يشكو الى القيصر الاعتداءات التى قام بها قائده (جرنايف) ولكن الروس قبضوا على نجم الدين ، واعتقلوه في حصن قضلى .

ولما كان الأمير مظفر الدين لا يزال يحتفظ عنده برعايا من الروس فان الجنرال (شغرنايف) بعث الكولونيل (شتروفة) عضو المجلس الشورى الى بخارى وبصحبته عدد من الضباط (الكابتن جلوشوفسكى وحامل العلم كولسينكوف والمهندس تاتارينوف) لفض الخلاف مع الأمير مظفر الدين . وغالباً أن القائد الروسى لم يكن مفوضاً بالحرب أو لم يكن في مركز يسمح له بذلك ، وكان من الطبيعى الا يلقى الكولونيل (شتروفة) معاملة حسنة من الأمير مظفر الدين لما قام بوقوعه منهم نحو مبعوثه نجم الدين خواجة . منهم . وعندئذ أحس الجنرال (تشرنايف) أنه قد أهين اهانة بالغة فعبر نهر سيحون عام ١٨٦٦ م وتجنب المرور بخجند ونفذ من الصحراء الى (جيزخ) أول موضع يتصل بأرض بخارا نفسها . وطبقاً لما نشرته المطابع الانجليزية عن هذا الموضوع بمقالة عن السياسة الخارجية لسير جون لويس بقلم الكاتب المستر ويلى فان هذه البعثة الروسية ظلت منذ وصولها حتى أول فبراير عام ١٨٦٦ م أسيرة الدار التى نزلت فيها ثم دعتهم السلطات البخارية الى تسليم أنفسهم واسلحتهم ولكنهم رفضوا ذلك ، في اصرار مما أدى الى وقوع مناوشة أصيب فيها العمدة وخمسة من البخاريين بجراح خطيرة ، ثم استسلم الروس آخر الأمر بعد أن أظهروا شجاعة وجرأة ولو أن ذلك يمنع أن

الروس كانوا قد بنوا تقديرهم هذه المرة على أساس خاطئ مما دعا الحكومة الروسية الى توبيخ تشرنايف على سوء تصرفه وحل محله الجنرال (ديمترى ايليتش رومانوفسكى) .

وقد شجع فشل الروس في خطتهم هذه قبائل الازبك على مهاجمتهم حتى استطاعوا في ٥ أبريل من العام نفسه أن يستولوا بعد هجوم قوى على (جيناس) وهو حصن صغير على الشاطئ الأيسر لنهر سيحون .

وجرى في وهم الأمير مظفر الدين أن في استطاعته مهاجمة الروس فخرج على رأس جيش من خمسة آلاف من الجنود النظاميين وثلاثين ألفاً من القيرغيز وعشرة آلاف من التركمان ومعهم عشرون مدفعاً وذلك ليسترد القسم الشمالى من طاشقند .

من أيدى الروس الكفار . وفي ٢٠ مايو من عام ١٨٦٦ م وقعت المعركة الحاسمة عند برجار على الشاطئ الأيسر لسيحون على مسيرة أميال قليلة الى الشمال الغربي من خجند . واستطاعت المدفعية الروسية أن تفتح ثغرات في صفوف فرسان الأزبك المتراصة اندفع بعدها الروس مقتحمين صفوف المسلمين الذين اضطروا واضطربت صفوفهم وملأ الفزع قلوبهم فتداعت خطوطهم وتزاحموا الى الفرار في فوضى نحو الجنوب وبلغت خسائر البخاريين في هذه المعركة حوالى ألف رجل وكانت معظم الخسائر في قبائل المنغتيين الذين كانوا صفوة جيش الأمير مظفر الدين وكانت معركة برجار (جيناس) هذه بمثابة ضربة قاضية لتركستان اذ ضاع بسببها استقلالها بل أن العالم الاسلامى في آسيا الوسطى أصيب بسبب هذه الهزيمة بضربة مميتة . ولو أنها عاصمة اقليم خوقند الا أنه كان يقيم بها حامية بخارية وهى التى اضطلعت بالمقاومة في المدينة ورغم أن السكان ولا سيما التجار منهم كانوا يميلون الى الاستسلام للروس ايماناً بتفوقهم فقد اندفع رجال الحامية البخارية بتحريض من رجال الدين المتحمسين يدافعون عن المدينة في استماتة ولكن الروس استطاعوا أن يقتحموا القلعة بعد سبعة أيام كانت خسائرهم خلالها تزيد بكثير عن خسائرهم في الموقعة السابقة في حين خسر الازبك من رجالهم الفين وخمسمائة قتيل وأصبحت كل الأماكن الهامة بخوقند في أيدى الروس وما كانوا ليحصلوا على هذا الانتصار السهل لو أن خوقند كان يجلس على عرشها أمير قوى قادر على الذود عن حدودها أو لم يكن محاربوها الذين اشتهروا بشدة مراسهم قد سارعوا آنذاك الى الانضواء تحت لواء يعقوب بيك قوشبيكى أمير تركستان الشرقية .

ولقد فوجئ الروس بهذا الانتصار السريع فانهم لم يكونوا يتوقعونه بهذه السهولة وبتلك السرعة . كما أن (خدايار خان كان عجينة) لينة في أيديهم فقد أظهر سروره وفرحه حين سمح له الروس باسترداد قصبة البابر القديمة ولكن تحت ظلهم وحمايتهم ووافقهم مرحباً على أن يسلم اليهم كل وديان سيحون بطول مجرى النهر كله وأن تكون مدنه مفتوحة الأبواب للرعايا الروس وتكون أملاكهم وراحتهم وطمأنينتهم تحت مسئوليته وعلاوة على ذلك فقد فرض عليه الروس غرامة حربية باهظة أثقلت كاهله لسنوات طويلة كما خفضوا جيشه فصار مجرد قوة رمزية .

ولا شك أن ما كانت تهدف اليه روسيا أن يئول كل ذلك القسم الشرقي من البلاد بعد موت الأمير خدايار خان اليها . وماذا كان في استطاعة الأمير مظفر الدين أن يفعله لانقاذ الأمير خدايار خان

وقد أصبح هو أيضاً وحيداً والنوائب تثقل كاهله فقد انطلق ينشد العون ممن حوله دون جدوى . ولم يكن هناك من يغامر الانضمام اليه في قتال ضد الروس العدو الفاتح القوى وخاصة بعد أن أصابته الهزائم المتوالية ووجود الروس بين مظفر الدين وبينهم باحتلالهم لخوقند . ولم يحز في نفس مظفر الدين أنه صار في عزلة تامة وحيداً مهجوراً بقدر ما آلمه ما كان من سلوك رعاياه نحوه بعد أن قتل أكثر قواد جيشه وأقاربه في الحروب ولكنه مع ذلك مشغول البال والفكر في أحوال المسلمين في بلاد ماوراء النهر ومستقبلهم .

وفجاة برز البكوات والشيوخ والدراويش والتجار والعمال حتى أفقر الفقراء يحملون السلاح وتجمعوا مصممين على ضرورة القتال ضد الروس فأما النصر واما الشهادة . ونودى في الناس بالجهاد وتسابق الكبار والصغار يتقدمهم رجال الدين ولم يكن أمام الأمير مظفر الدين الا أن ينزل على ما أجمع عليه رأى القوم وبذلك تجددت الحرب مع روسيا .

ولقد كان سلوك أهل بخارى بتلك الطريقة الجنونية وبدون تخطيط أو تدبير هو الأمنية التى كانت روسيا تتمناها لتمضى في تحقيق أهدافها . فبعد سقوط خجند توقفوا عن زحفهم حتى تصل اليهم الامدادات والمؤن اللازمة وفي أثناء ذلك أصبح قائد الجيش الروسى هو الكونت (داشكوف) بدلاً من (رومانوفسكى) .

وواصل الروس انتصاراتهم فاستولوا على حصن أوراتيفة الهام في أوائل أكتوبر عام ١٨٦٦ م تم وقعت (جيزاك) في أيديهم بعد ذلك مباشرة . لقد كان الأمير مظفر الدين مضطراً الى تجديد القتال كما ذكرنا سابقاً تحت ضغط شديد من فئات شعبه وفي الوقت نفسه فان سياسة بلاط قيصر الروسيا كانت تهدف في المحل الأول الى عدم الرجوع عن الحرب حتى تستسلم لهم الخانات الثلاث التى تكون الحدود الطبيعية لجيحون وذلك رغماً عن الاعتراضات والمضايقات الرسمية التى كانت تلقاها السياسة الروسية والقادة الروس المتحمسين ولذلك فان البخاريين بغاراتهم على الأرض التى احتلتها روسيا انما كانوا يجعلون روسيا تعجل باتمام خطتها مستندة في ذلك الى أعمال الاستفزازات التى يقوم بها البخاريون .

وخلال عام ١٨٦٧ م لم يقع الا بعض مناوشات قليلة استطاع الروس فيها أن يستولوا على حصن ينكى قورغان الصغير بقيادة الجنرال (كاوفمان) مما استطاعوا أن يمدوا مراكزهم الأمامية حتى (طاش كوبريك) وهو جسر حجرى يقع في منتصف المسافة بين ذلك الحصن وسمرقند . وفي ١٣ مايو من العام التالى صدرت الأوامر الصريحة بالزحف الى سمرقند . وشرع الجيش في التحرك فعلاً - وبينما الكولونيل (بتروشفسكى) يقود مقدمة الجيش على الشاطئ الأيمن لروافد زارافشان سيحون التقي بنجم الدين مبعوث الأمير مظفر الدين الذى كان يحمل مقترحات أميره لعقد صلح مع الروس مع طلب ايقاف الزحف أثناء المفاوضات . ولقد كانت طلقات المدافع هى الاجابة التي وجهها الجنرال (كلوفمان) وفي حين كان البخاريون قد سحبوا جيشهم المكون من أربعين ألفاً من الجندى الى

منحدرات الشاطئ المقابل وكانت قوات الروس تتكون من احدى وعشرين فصيلة من المشاه وستة عشر مدفعاً مع سرية من المهندسين وأربعمائة وخمسين جندياً من القوزاق .

وبدأ الروس عبورهم نهر سيحون وكان الجناح الأيسر من جيشهم بقيادة الماجور (جولوفايف) وقد استطاع خوض المياه مع رجاله غير مكترثين بنيران المدفعية التي كانت تنصب فوق رؤوسهم حتى بلغوا موضعاً صالحاً من الشاطئ حيث تكتنف المستنقعات هذا الجزء من الأرض وتمكنوا من الصعود الى الشاطئ المقابل ولم يستطع الجيش الأزبكي الذى كان يتفوق على الروس خمسة أضعاف أن يعوق عبوره للنهر واستولوا على جميع المواقع الممتازة على المرتفعات التي تركها الازبك وهم يهربون مسرعين تاركين كل مواقعهم غنيمة للروس .

وعندما وصل هذا النبأ لوالى سمرقند (شيرعلى بك اناق) خرج بجيشه لصد الروس خارج سمرقند ولكن الدائرة دارت عليه فقتل في المعركة عند ذلك أسرع أهالى سمرقند باغلاق أبوابها في وجه الهاربين من جنودهم من المعركة خوفاً على مدينتهم من حدوث فوضى كما قام وفد منهم مكون من كبار شيوخهم وأعيانهم بالتوجه الى الروس لدعوتهم الى دخول سمرقند حيث سار قسم الجيش الروسى في اليوم التالى وعلى رأسه الجنرال (كاوفمان) تحوطه حاشيته ودخلوا سمرقند التي قام أهلها الخونة بفتحها بكل بساطة للروس . على تلك الصورة المخزية كان موقف أهالى سمرقند ودخل الروس هذه المدينة في ١٤ مايو عام ١٨٦٨ م وكانت تعد من المراكز الممتازة للثقافة الاسلامية القديمة ، كما أنه بسقوطها أصبح الروس في مركز أقوى وأحسن الأجزاء في بلاد ما وراء النهر . وعلى أثر سقوطها انطلق الأميرالى (كرمينة) في حين فر ابنه وولى عهده الأمير عبدالملك ميرزا وكان شاباً في التاسعة عشر من عمره الى بخارى أثناء المعركة .

وانتشر نبأ سقوط سمرقند بأكملها بين المسلمين في الوقت الذى كان فيه الأعداء الكفار قد امنوا مراكزهم وخصو الربوة الصغيرة التي تقوم عليها القلعة ، وبعد ذلك واصلوا زحفهم في طريق بخارى ليطاردوا الأمير من جهة ويؤمنوا الأماكن التي استولوا عليها من جهة ثانية . وزحف الماجور جنرال (جولوتشيف) الى حصن كنه قورغان على زرافشان على رأس أربعة عشر فصيلة من المشاه وثمانية مدافع وثلاث سرايا من القوزاق في الوقت الذى أخذ فيه الأمير مظفر الدين يجمع جاهداً شتات قواته واتخذ من قرية مير مقرا لقيادته وأخذ يبعث ببعض قواته من الخيالة الخفيفة لمناوشة الروس عند كنه قورغان . وضاق الجنرال (كاوفمان) ذرعاً بهذه المناوشات التي تضايق جيشه باستمرار . انها لم تكن ذات بال الا أنه عزم على المضى نحو بخارا للقضاء على الجيش الأزبكي فيها . وكان الغرور مازال يركب رؤوس البخاريين حتى استعد الأمير للمقاومة من جديد . والواقع أنه لا يدرى أحد أفعل ذلك من تلقاء نفسه أم بتحريض آخر من شبعه . المهم أن الموقعة الحاسمة قد وقعت عند سربل بين أسرة منغيت وجنود أسرة رومانوف لتحدد مصير تاج بلاد ماوراء النهر في نفس المكان ونفس الوقت من السنة بل وربما كان نفس اليوم الذى وقعت فيه معركة حاسمة بين شيباني خان وبابر خان قبل ثلاثمائة وتسع وسبعين عاماً مضت .

وكانت النتيجة لغير صالح الأزبك الى أبعد حد لقد اقتحم الروس بشجاعة وبسالة مرتفعات

الطرق التي يحتلها الأزبك وهجموا عليهم من كل جانب مما أوقع الفوضى والاضطراب في صفوف الازبك فاسرعوا بالفرار تاركين سلاحهم وذخيرتهم حتى بلغ الأمر أن الطريق حتى كرميتة كانت تغطيه أسلحة الفارين .

حددت تلك الكارثة الفظيعة المصير القاسي الذى انتهى اليه الأمير مظفر الدين فلم يجرأ على العودة الى بخارى خاصة وقد خرج عن طاعته ابنه (عبدالملك) وولى عهده والذى كان دائماً ثائراً عنيداً فقد تزعم البقية الباقية من المتحمسين الناقمين وسلب أبيه بقايا عرشه المنكود ولكنه لم يجسر على التقدم بقواته لمواجهة الروس .

وكان الروس على ما يبدو قد حزموا أمرهم هذه المرة على المضى قدماً تحت راية النسر الأسود لبلوغ بخارا الشريفة . ولكن (عبدالملك خان) ولى العهد قام بمحاولة عن طريق شهر سبز للهجوم على سمرقند وكان الجنرال (كاوفمان) غائباً عنها . فقد هاجم قلعتها بقوة من خمس وعشرين ألفاً من الأزبك والسمرقنديين وأخذ يدق مركزها بشدة وعنف ولكن الحامية التى كانت بها ولو أنها كانت تتكون من ستمائة وخمس وثمانين رجلاً بقيادة الماجور (البارون) فوق شميس الا أنهم أبدوا من البطولة الفائقة ما جعلهم رغم أن بعضهم كان من الحرجى أو من غير المحاربين يدافعون عن موقعهم ستة أيام كاملة من ١٢ يونيه الى ١٨ منه فقدوا خلالها ٤٩ قتيلاً وجرح منهم ١٤٣ شخصاً .

واستطاع المهاجمون بعد أن ركزوا نيرانهم على أحد أبواب القلعة أن يحدثوا ثغرة فيه ولكن رغم ذلك لم يفدهم ذلك فقد ظل الروس يدافعون في ثبات وينتقل جنودهم من مكان الى آخر ، وهم يصدون الموجات المتتالية من المهاجمين وينزلون بهم الخسائر الفادحة أثناء ذلك بلغ الخبر أن الجنرال (كاوفمان) أسرع العودة برجاله وأنقذ برجوعه رجاله المحاصرين بالقلعة من موقف مهلك .

وقد كانت تلك الفترة من الحرب الروسية البخارية أعظم مثال على ما وصلت اليه شعوب آسيا الوسطى من وهن وضعف بسبب التفكك والفرقة التى سادت بلادهم وكان نتيجتها استعمار أراضيهم .

ولم يكن أمام الأمير مظفر الدين بد من عقد صلح مع عدوه المنتصر يحفظ به ما تبقي من ملكه ما بقي له من سنوات على أن يدفع للروس غرامة حربية قدرها (مائة وخمسة وعشرون ألف روبله) (نصف مليون دولار) ولم ينص الروس صراحة على أنها جزية حفاظاً منهم على شعور الأمير. وقد تعهد الأمير مظفر الدين في معاهدة الصلح تلك بما يلى .

١ ـ أن يسمح لرعايا الروس بممارسة التجارة في حرية تامة بكل أنحاء البلاد بصرف النظر عن عقائدهم وأن يؤمنهم على ممتلكاتهم وحياتهم .

٢ ـ أن يسمح للتجار الروس بأن يقيموا وكلاء تجاريين لهم بكل أجزاء البلاد في حرية تامة .

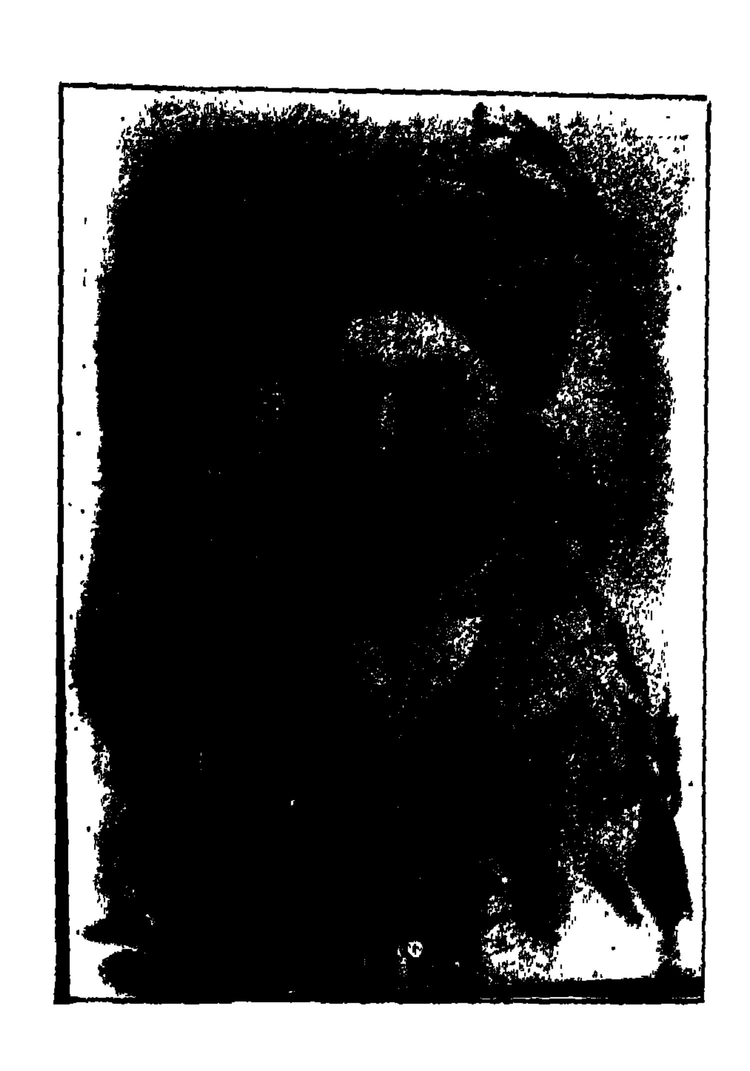
٣ ـ أن تحدد الضريبة على الواردات الروسية باثنين ونصف في المائة من قيمتها الاسمية .

٤ ـ أن يسمح للتجار الروس بحرية المرور في أراضى الخان أثناء عبورهم الى ما يجاورها من البلاد .

وبينما عقد الأمير مظفر الدين هذا الصلح مع روسيا ، كان ولى عهده يتمتع بتأييد حزب قوى له في بخارى ، كما كان يؤيده أيضاً (جوره باى وبايرباى) في شهر سبز وكذلك مالت الى جانبه المناطق الشمالية في غجدوان ونوراتا وخطرجى . ولذلك فقد انفصل عن والده وتوجه الى قرشى ونادى بنفسه سلطاناً ودخل في تحالف مع خان خيوة ولم يمض وقت قصير الا وقد اجتمع حوله جيش من حوالى عشرة آلاف مقاتل . ولم يقف الأمير مظفر الدين موقف المتفرج ازاء فعل ابنه فجمع ما تبقى له من قوات وزحف بها الى قرشى ليكبح جماح ابنه ولكنه لم يصل الى منتصف طريقه حتى علم بقيام ثورة عليه في القسم الشمالى من بلاده بتدبير ولى عهده سرا وعلم كذلك أن (صادق باى) زعيم الثوار في تلك الناحية يزحف الى كرمينة ولذلك فقد قطع الأمير طريقه وأسرع العودة لمواجهة ذلك الخطر في الشمال .

وشجع ارتداد الأمير مظفر الدين الى عاصمته على أن يقوم ابنه بمطاردته وكان ذلك من الممكن أن ينجح في خطته تلك لو لم يتدخل الروس بطلب من الأمير . ولم تكن تلك الاضطرابات ترضى الروس فقد كان من صالحهم استقرار الأمور في تلك الولايات التى دانت لهم حديثاً . ولذلك فقد صدت قوة روسية صغيرة بقيادة الكولونيل (ايراموف) لجيش ولى العهد عند قرية جام قرب سمرقند وكانت القوة تتألف من سبع فصائل مشاه وسريتين من القوزاق وستة مدافع ثقيلة ومثلها خفيفة واستطاعت تلك القوة أن توقف تقدمه . وفي الوقت نفسه استطاع الأمير أن يتخلص من صادق باى في الجهة الشمالية الشرقية من بلاده فأنزل به هزيمة تامة .

وبعد ذلك طلب الأمير معونة الروس لاقرار الأمور في الجنوب ، حيث توجد (شهر سبز) التى ثارت عليه وابنه الذى خرج عليه ومن طاعته وأسرع الروس باجابة طلبه حيث قدمت جيوشه فرقة استطلاعية بقيادة الكولونيل (ايراموف) حيث التقى في زحفه بقوات ولى العهد في أكتوبر وفي نوفمبر فهزمها وشتت شملها واستولى الروس على قرشى و سلموها للأمير هى وقلعتها وكل ما كان بها من أسلحة وذخاير . وقد كادت الدهشة تعقد لسان أهلها من هذا العمل . ورأى الأمير مظفر الدين بعد ذلك أن يستفيد من الروس في حربه مع شهر سبز - وكان يرمى الى القضاء على جوره بك . دون ابنه الذى كان يعده مجرد مخلب قط لخصمه جوره باى ولكن الجنرال (كاوفمان) وجد أنه صنع الكثير ليثبت صداقته واخلاصه لحليفه الجيد (الأمير مظفر الدين) وعلى ذلك فما أن أخلى الروس قرشى حتى عادت جنودهم الى معسكرهم الشتوى في جام . ولم يكن ولى العهد يهدأ له بال وهو في العرش ولذلك فقد كثرت مغامراته مع عصاباته من التراكمه الايرسارى أو التكة الذين كانوا يناصرونه وكان ينتقل من جزء الى جزء آخر في البلاد مما أقلق والده كما أقلق أيضاً الروس والانجليز . وقد حاول أن يتحالف مع خيوة كما حاول أن يحمل اميركابل (شير على خان) على حرب والده وقد لقى في كابل كل ترحيب وكل عطف حتى أن شير عليخان زوجه من ابنته ومع ذلك فان أحداً لم يجرؤ على شد أزره أو مساندته في تحقيق أغراضه . وأخيراً سافر الى الهند وكانت انجلترا تحتلها فعرض خدماته على الانجليز الذين رحبوا به وعطفوا عليه وأعطوه مسكناً لاقامته وخصصوا له معاشاً يصرف منه واستقر لاقامته في بلدة فتح آباد حيث مازال نسله من ابنه اسكندر وتيمور واخوته موجودون هناك . أما هو فقد عاد الى



السّيد عبد الملك حاجر

خيوة وفي أثناء تجوله فيها أغتيل وبذلك انتهى أمره وتخلص أبوه الأمير مظفر من هذا الكابوس المخيف . وعاد السلام يخيم على ربوع ذلك القسم من بخارى كما استراح الروس الى ذلك الوضع خاصة وأقساط الغرامة الحربية تؤدى اليهم في سمرقند بصفة منتظمة نسبياً وان كان أهل القوم قد أثقل بها . وانتظمت الأحوال بين حصن بخارا وقلعة مدينة تيمور وما غدا الأمير أظهارا لولائه أن أوفد الى بطرسبورج (لينينجراد) الآن وفدا من قبله على رأس عبدالفلح ميرزا أصغر أبنائه وأحبهم الى نفسه وكان اذ ذاك في الثانية عشر من عمره . وكان الأمير مظفر الدين قد نادى بابنه الرابع (الأمير عبدالأحد) خلفاً له وسعى جاهداً في أن ينال التأييد على ضفاف نيفا ولكن ذلك كان أمراً مشكوكاً فيه .

ولئن كان القيصر نيقولا قد أفصح سابقاً ومن قبل هذه الأحداث شاه ايران وبطريقة عملية عن حب روسيا لبلاده ايران حين دلله في طفولته وأجلسه على ركبتيه في تفليس فان اسكندر الثاني لم يكن يرغب في أن يتعرض لمثل ما لقيه سلفه (نيقولا) من متاعب كما لم يكن مستعداً بطبيعته لأن يقوم بالوصاية على عبدالفلح . ولكن رغماً عن ذلك فقد قوبلت البعثة القادمة من شواطئ زرافشان البعيدة بكل حفاوة واحترام بالبلاط الروسى في ٣ نوفمبر عام ١٨٦٩ م .

ولم يأل القيصر جهداً في الاعراب عما يكنه من صداقة الأمير مظفر بتركستان وقد كان الأجدر بالقصير أن يقول عنه أنه تابعه ولكن هكذا كانت سياسة روسيا . وكانت الهدايا التى تلقاها القيصر كثيرة وفخمة فقد شملت ما يلى :

١ ـ خاتم مرصع بحجر ضخم من الماس . ٢ ـ عمامة مرصعة بالأحجار الكريمة لزوجته . ٣ ـ مجموعة من أطقم الخيل من الفضة المرصعة بالياقوت خاصة بخيول أربعة من كرام الخيل الأصلية بعث بها من تركستان .

٤ ـ معاطف من جلود الخيل سوداء اللون ومزخرفة بالكشمير . ٣ ـ معاطف رمادية اللون من صوف الأغنام ومخططة بالنسيج البخارى المعروف بالشتالى . ٢ ـ كوستان من الكشمير . ١ ـ قطعة من الكشمير الجميل النادر . ١٨ ـ ثمانية عشر قطعة من الحرير المنسوج ببخارا . ١٨ ـ ثمانية عشر قطعة من النسيج المصنوع من الحرير والصوف . وقد بعث القصير هدايا مناسبة للأمير مظفر الدين رداً على هداياه ودليلاً على التفاهم المتبادل وحسن النية بين الطرفين . والواقع أنه كان واضحاً أن مظفر الدين كان قد كف عن اظهار عدائه لروسيا منذ أن استولى الجنرال (كوفمان) على سمرقند . على أنه لم يكن من المستبعد أن يكون الأمير قد حاول سراً التحالف مع أمير تركستان الشرقي القوى يعقوب بيك . كما لم يكن مستبعداً أيضاً أنه كان يبذل جهوداً من وقت لآخر للغرض نفسه في القسطنطينية وكلكتا . فكثيرون في عهده كانوا يعلمون أنه لم يكن يائساً أبداً من محاولة استرداد ملكه السابق كاملاً ولكن محاولاته كلها لم تثمر شيئاً ، كما أنه لم يبد من روسيا أى نية في اجلائها عن أى جزء مما احتلته في آسيا .

ولذلك فقد أمر وزيره محمد شاه قوشبيكى أن يبنى قصراً لأسرته يدفن فيه أيضاً الخزائن الموجودة خوفاً من أن ينهبها الروس اذا فكروا في الاستيلاء على بخارى وسرعان ما حضر الوزير وأحضر عشرين

من المهندسين والبنائين وجعلهم يقسمون على أن يكون عملهم سراً ومقناً . وبنى المهندسون والعمال بناء عظيماً ونقش بالاجر والجبس وبنوا في أسفله قبوا عظيماً وجعلوا به واحد و عشرين خزينة سعة كل منها خمسة اذرع في خمسة أذرع ملأت جميعها بالذهب والفضة والمجوهرات النفيسة ، وحلل الأمراء المنقوشة بسلوك الذهب والفضة والمحلاة باللآلئ وكل الهدايا التى أهداها الملوك والأمراء لسلاطين بخارا كما وضعوا بها تيجان ملوك بخارى المرصع بالجواهر الغالية وماورثوا عن أجدادهم من تحف وثروات وبعض آثار الملوك التيموريين القدماء . وغيرهم وبنوا فوق القبو قصراً ضخماً أخفي القبو تماماً تحته وسكن به أهله . وفي عصر ابنه وولى عهده الأمير عبدالأحد خان (عم كاتب هذا التاريخ) وبعدّه ابن عمى (السيد عالم خان) ولمدة خمسين عاماً لم يعلم أحد بهذا السر الموجود بالقبو فقد عاشت بخارى طيلة تلك الفترة تحت ظل الصلح ولكن يخيم عليها شعور بالخطر . فقد كان تدبير الأمير مظفر الدين لمستقبل أسرته يتعارض مع ارادة الله وتدبيره فقد حدث انقلاب بعد خمسين عاماً ببخارا قام به فيض الله خواجة وميرزا محي الدين وكان أساسه الثورة الروسية البلشفية واستغل هذه الثورة وما لابسها من فوضى أحد خدم جان مير زاقو شبيكى الذى كان يعرف السر من والده فأخبر حكومة الثورة التى استولت على كنوز الأمير مظفر الدين ، ولكن الحكومة الشيوعية الروسية أخذت هذه الكنوز منها .

نعود الى الوراء قليلاً فبعد أن قام الأمير مظفر الدين بدفن الخزائن اختار ابنه الأمير عبدالأحد والياً للعهد وكان قبلها حاكماً على ولاية كرمينة ونوراتا وخطرجى وكتب بذلك للقيصر نيقولاى اليكسندر اف يرجوه اعتماد ذلك الأمر ، واعتماد ابنه والياً للعهد ، وحمل خطابه ابنه الأمير عبدالأحد ومعه حاشية مكونة من دوربين بروانجى وأربعة أشخاص آخرين ومعهم من الهدايا جبة مرصعة باللؤلؤ وحزام ذهبي مرصع بالفيروز وسيف محلى بالماس وأشياء أخرى لا تقدر بثمن بجانب أموال ليس لها عدد وبعد أن قدم ولى العهد للقيصر وثيقة الاعتماد موقعة من والده ومن جميع أعيان مملكة بخارا قام القيصر بتحرير قرار منه بخط يده بموافقته على ولاية العهد للأمير عبدالأحد بشرط أن تدخل روسيا خطاً حديدياً وتمد أسلاك التلغراف في أراضى بخارا وأن يكون لبواخرها حق الابحار في أراضيها على أن يكون الأمير مسئولاً عن سلامتها وأمنها . ووافق الأمير عبدالأحد مضطراً وأعطى تعهداً بهذه الشروط دون أن يأخذ مشورة والده . وعاد الأمير عبدالأحد الى بخارى وما أن أخبره والده بما حدث ، حتى أصابه الحزن والاضطراب وركبه الهم والأسى فقد ذهب كل ما كان يفعله ليدارى أعداءه الروس ويحافظ على ملكه هباء منثوراً بما تعهد به ابنه من شروط . وسرعان ما وصل المهندسون الروس ومعهم معداتهم وخرائطهم لمد أسلاك التلغراف فطلب الأمير مظفر من القيصر نيقولاى التمهل في تنفيذ ذلك حتى يصبح ابنه هو الحاكم ويفي بتعهداته التى تعهد بها للقيصر ، لأنه أعطى هذه التعهدات دون أخذ رأى والده ودون رضاء الشعب البخارى ، خاصة وأن الروس كانوا قد وضعوا في خطتهم اقامة المحطة للتلغراف في أرض مصلى العيد في بخاراً واقامة محطة للسكة الحديد مكان ايلجى وكنتوز ويقيم بها موظفون الروس وفي ذلك ما يؤذى مشاعر أهل بخارى المسلمين ويجرح كرامتهم الوطنية والدينية . وبعد جدال بين الطرفين وأخذ و رد في النواحى القانونية والنظامية وافق الروس على تغيير خريطتهم

مقابل ثمانين ألف جنيهاً محطة السكة الحديد في قرية كاكان بعيدا عن العاصمة بخارا . وفي عهد الأمير مظفر الدين لجأ عبدالرحمن خان أمير أفغانستان الى بخارى مرتين اثر حروب داخلية مع أولاد عمه . في كل مرة كان الأمير مظفر الدين يقابله بالحفاوة والترحاب وفي المرة الثانية طلب من الشعب الأفغاني العودة الى عرشه فاستأذن من الأمير مظفر الدين أن يأخذ معه بعض أهالى بخارى الذين يرغبون في السفر الى بلاده .

وفعلاً سافر معه عدد من تركمان جهارجوى . وكان يحكم بلاد جهارجوى وقتذاك والدى الأمير أكرم بن الأمير مظفر الدين وقد جاءه أمر ملكى بترغيب الأهالى التراكمة في الرحيل مع عبدالرحمن خان . وكان والدى قد دعي الى سمرقند بدعوة من حاكمها بصفته مندوباً عن الأمير مظفر وهناك التقى بعبد الرحمن خان وسهل له بعد ذلك رحيل كثير من التراكمة الى أفغانستان . وبعد عودة الأمير عبدالأحد من روسيا ولاه والده على ولاية كرمينة ثم قضى ثلاثة أعوام حزيناً مريضاً ثم كتب الوصية لابنه عبدالأحد الذى كان سبباً في حزنه لتعهده في روسيا الشروط الغير المشروعة .

مضمون الوصية ـ (قرة العيون السيد عبدالأحد ـ أوصيكم أولاً بتقوى الله سراً وعلانية ولا تكسل أبداً عن أمور الشريعة ومتابعة سنة الرسول عليه الصلاة والسلام . ثانياً : لا تغر نفنسك بالسلطنة وسوتها فالعمر أيامه قليلة فانية . ثالثاً : عجزت عن جمع الدولة وقمت مضطراً بمسألة ومسالمة العدو ومهادنته عسى أن أقوم ولو في أواخر عمرى بحرب ضدهم واستخلاص أرضى المحتلة منهم ولكن الله لم يكتب لآمالى أن تتحقق . رابعاً : أخذت أموال اثنين من الأغنياء من أهل بخارا بسبب طغيانهم ، ووضعتها في الخزائن وعليك بعد توليتك الحكم أن تعطى كل ذى حق حقه فتشتهر بالعدالة بين الناس . خامساً : أعطاني الله تعالى من كرمه ونعمه اثنين وعشرين ذكر وأنثى ولكن السلطان أصبح من نصيبكم ونصيحتى أن تعامل كل اخوتك على قدر عقولهم وأحوالهم ومن تراه أصلح حكمة وتدبيراً فعينه على الولايات حاكماً والا ما كانت السلطة حق لك أما مالى الخاص المكون من اثنين وأربعين بستاناً وحديقة فهو يقسم تقسيماً شرعياً فيما بينكم وعليك أن تكون وصياً عادلاً وأن ترعاهم رعاية أبوية. توفي الأمير مظفر الدين يوم ٦ من شهر صفر عام ١٣٠٣ هـ وكان عمره واحدا وستين عاماً وقد اختلف الرواة عن مدة حكمه فقيل عشرون عاماً .

(سلطنة الأمير عبدالأحد خان بن السيد الأمير مظفر خان) :

هو السيد عبدالأحد بن السيد الأمير مظفر الدين خان ولد في ٢ من شهر شعبان عام ١٢٧٥ هـ (٢٦ مارس عام ١٨٥٩ م) وقد تولى امارة بخارا يوم ١٢ نوفمبر عام ١٨٨ م (الجمعة الموافق ٧ من شهر صفر عام ١٣٠٣) هـ وكان قبل ذلك والياً على كرمينة . وقد بايعه فور وفاة أبيه أمراء المملكة وأعيانها وجميع طبقات الشعب . وعقب ذلك أرسل استانقلى بي كل قوشبيكى حاكم حصار شادمان ومعه ميرزا سليم بيك بروانجى وزير الداخلية ومعهما بعض الأعيان الى القيصر نيقولا اليكساندروف ، لابلاغه عن موت والده وتوليه العرش مكانه . ولم تكن سكة الحديد بخارا قد بدأت بعد فسافر الرسل باحدى عربات البريد الروسية الى حدود أورنبرغ ومن هناك استقلوا السكة الحديد

الى بطرسبرج حيث أمر القيصر بنزولهم في أفخم فنادق المدينة وأحاطهم بكل حفاوة واحترام مـ
شهرين قضوها في زيارة معالم البلاد والتجول بين قصورها وحدائقها ثم ختم تكريمه لهم باهداء
منهم ميدالية الدولة وساعة ذهبية وخاتم برلياتني وعادوا الى بخارى حاملين رسالة للأمير عبدالأ-
بتحيات القصر وتهنئته .

بدأت روسيا تنفذ خطة السكة الحديد وغيره من المنشآت والاستحكامات في أراضى بخارا طـ
للمعاهده الدولية لا يزيد جيش بخارا عن عشرة آلاف من المشاه وأربعمائة من الفرسان وستمائة
الطوبجية وكان عدد رجال الشرطة اثنى عشر ألفاً ، كما كان ممنوعاً تحصين مدن بخارا ومنع أيضاً تجا
الرقيق ، واذا تعرضت بخارا لأى خطر خارجى تصدى الروس لحمايتها والتعرض للمعتدى كما يـ
دخول الأجانب بخارا الا بتصريح رسمى من الروس ، كذلك فان تجارة بخارا من واردات وصادرا
تتكون عن طريق الروس . وبتلك الاجراءات كانت بخارا في الواقع تابعة للروس ولا تملك شيئاً
أحوالها . كذلك لم يبد من روسيا أية بادرة تفصح عن نيتها في الجلاء عن أى من آسيا بنود المعاهـ
التى تمت زادت تدخل روسيا في أمور بخارا . وقد منعت المعاهدة ترميم الحصون الموجودة أيضاً ولو
كان من المتبع منذ أيام الخلافة العباسية ترميم وصيانة الحصون كان مقسماً فلكل قبيلة في بخارا حد
معلومة بينهم ولكن أمير بخارا أصبح ليس له الحق كلية في بناء أو تشييد الا بعد اذن القيصر له بذلك
وأخيراً ترك الأمير عبدالأحد بخارا وأقام في كرمينة فأصبحت عاصمة ملكه طيلة حياته الباقية حـ
مات ودفن بها بمزار قاسم شيخ .

وفي عهده عاشت بلاده في رفاهية وأمان كانت تمتد من حدود أفغان بهم خاصة وقد كان يشـ
بما آلت اليه دولته من ضعف واضطراب في بلاطه مع اخوانه ومن كان يترصد به من أعدائه داخـ
وخارج البلاد .

وقد جعل وزير اله الملا محمدى بي قوشبيكى وبعد وفاته جعل مكانه الماجان ميرزابي قوشبيكى
أعقبه آستانه قل بي قوشبيكى بعد موته وعما من حفدة الملا محمدى بي قوشبيكى المملوك الذى اشـ
والده من أراضى ايران .

لكن حدث في يوم عاشوراء أن قامت بين الايرانيين ساكنى بخارا والسنيين ثورة عارمة بسبـ
أمور دينية وانتهت بمظاهرة ضخمة ثلاثين ألف من الطلبة ووصل الى بخارا خمسمائة شخص
طاشقند للتوسط في اصلاح الأمور بناء على تلغراف أرسله الوزير آستانقلى وبعد أن هدأ الحال عـ
الوزير آستانقلى وعين مكانه نصر الله بروانجى البخارى الأصل الذى أصبح وزير البخارا . قام الأ
عبدالأحد بشراء قطعة واسعة في الأراضى الروسية (يلتا) في قريم ذات بساتين وحدائق غناء وبنى
قصراً فخماً كان يقضى به ثلاثة أشهر في الصيف .

وكان شفوقاً مع اخوته عطوفاً بهم ، وكان منهم والدى (الأمير السيد أكرم بن الأمير مظفر الد
الذى كان حاكماً على بلاد خزار التابعة لشرق بخارا منذ أيام والده وقد ظل الأمير أكرم في عهد أ-
عبدالأحد حاكماً على تلك البلاد كما استمر حكمه لها في عهد ابنه الأمير عالم خان أيضاً فكانت
حكمه لبلاد خزار خمسة وخمسين (٥٥ عاماً) ، وكان والدى الأمير أكرم معززاً مكرماً من أ-

الأمير عبد الأحد الذى كان يكن له كلّ احترام.

وقد نصب السيد مير قاسم بن الأمير أكرم حاكماً على بلاد جراغجي وتزوج مَن ابنة الأمير عبدالأحد كما جعل الأمير عبدالأحد أخيه السيد عبدالمؤمن حاكماً على بلاد حصار شادمان ثم جعله حاكماً على بلاد بايسوند.

أما بقية أخوته فقد عاشوا جميعاً ببخارا وجعل لهم رواتب شهرية. فالسيد مير محمد صديق جعله مرتباً ١٥٠٠ تنكة والسيد عبدالصمد (١٠٠٠) تنكة والسيد محمد ناصر (١٠٠٠) تنمة والسيد عبدالعزيز (٤٠٠) تنكة والسيد عبدالعظيم (٤٠٠) تنكة وقد قرر لغيرهم على قدر كل منهم وكان يقدم لهم في الأعياد والمناسبات ما يرضى خواطرهم، ويسعد أحوالهم من العطايا والمنح. ومما يذكر له أنه اشترى في عهد الشريف عون مسكنين واسعين في مكة المكرمة ومسكناً في المدينة المنورة وعين ثلاثين شخصاً بخارياً وبعض أهالى مكة المكرمة لقراءة القرآن الكريم (ويسمى مقصورة) وقراءة صحيح البخارى في كل يوم بمكة المكرمة، وقد أوقف على نفقات هذه الدور بعض العمارات والدكاكين والحمامات في بخارا ترسل ايراداتها كل عام من بخارا الى مكة المكرمة والمدينة المنورة لأنها كانت لها مقصورة القرآن وصحيح البخارى.

ولكن منذ سيطرت الحكومة الشيوعية على بلاد بخارا انقطعت تلك الايرادات لمصادرة الشيوعيين من ضمن جميع الأوقافات.

(ومن أعماله العظيمة) :

انه لم يكن للمسلمين مسجداً يقيمون شعائر الدين في بطرسبورج عاصمة القيصر المعروفة الآن (بلينين كراد) فطلب من القيصر نيوقولاى مكاناً لبناء المسجد لهم هناك فترك له القيصر الحرية في اختيار المكان المناسب وعلى أن يكون هدية من الدولة للمسلمين. وفعلاً اختار المسلمون مكاناً فسيحاً بجوار الكنيسة التى يصلى بها القيصر وبنوا فيها مسجداً (ا) فخماً نقشوا جدرانه بالذهب والفضة فكان هذا المسجد من أفخم المساجد ليقيم المسلمون به شعائرهم الدينية هناك، وكان يؤذن في هذا المسجد اعلام المؤذنين التى كانت أصواتهم الرخيمة العالية أشد من طلقات المدافع في آذان قيصر وحاشيته ورهبان الكنيسة. بجانب ذلك كله فقد بنى في عهده أماكن لاستراحة أهل بخارا (أربطة) في استنبول بتركية وفي الشام والعراق ومصر وكابل ولوان أكثر ما بنى من أبنية خيرية كان في مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة والطائف. وقد كان يرسل الى تجار بخارا وهم خارج البلاد أموالاً يشترون له بها بضائع قيمة وذهب وفضة وأحجار كريمة نادرة ويجمعها في خزانته حتى يعتزم السفر الى

(ا) أنظر صورة مسجد الذى بناه السيد عبدالأحد خان أمير بخارا في بترسبورج المعروف بلينينكراد الآن وتبرعات مع الدول الاسلامية ولم يكن هو في حاجة الى مساعدة أحد ولكن اقتضت السياسة كذلك لئلا تتعرض بالهدم أو الاستيلاء في المستقبل بحقوقه الفردى.

روسيا فيقوم جميع الأمراء والأعيان في المملكة بمساعدته . كما جاء (بتاريخ ناصرى) فيجمعون من بينهم ما يصل الى ثلاثمائة ألف درهم ليأخذ معه الى امبراطور نيقولا وعائلته وحاشيته الهدايا الثمينة وتكون منها أيضاً مصاريفه خلال أشهر الثلاثة التى يقضيها خارج بلاده . كذلك كان يحضر معه الهدايا لعائلته وأمراء بلده وحاشيته . وفي عهده كانت التجارة في بخارا رائجة للغاية يتعاملون في ملايين الدراهم فكان حجم تجارتهم الواردة والصادرة كبيرا .

وقد توفي أخوه عبدالمؤمن والى بايسوند فأرسل نصر الله ليحصر تركته التى بلغت عشرة ملايين درهماً وذهب ومجوهرات ثمينة خلاف الأغنام التى كانت ترعى في الصحراء وبلغ عددها حوالى ثمانين ألف رأس ومن الخيل ستمائة منها أربعمائة خاصة بالسبق (الوكبارى) هذا علاوة على أشياء أخرى متفرقة ثم حصرها جميعاً في سجل خاص . وقد ترك السيد عبد المؤمن من الأولاد ٢٧ ذكراً وأنثى أرسلوا جميعاً عند عمهم السيد أكرم (والدى) ليتولى رعايتهم وتربيتهم ، حيث زوج بعض بناتهم لأبنائه ثم أخذ الأمير عبد الأحد بعضهم الى بخارا حيث أعطاهم المسكن اللائق والمعاش الشهرى المناسب . ودفن السيد عبدالمؤمن رحمة الله عليه ببلاد دبليسوند .

وكان الأمير عبدالأحد خان (عمى) سياسياً بارعاً وعالماً فاضلاً وكان يهوى الشعر ويقول الشعر في جميع الأبواب بالفارسية والتركية ومن زهدياته ناصحاً نفسه يقول (دل جه بندى درجهان دانى كلين دون برورست) (هركه بااوشد مقيد دائماً دردسرست) معناه بالعربية (لماذا تربط وتعلق قلبك بالدنيا مع علمك بأنها تربي الجهلاء واللؤماء وكل من قيد واشغل نفسه بها فهو دوماً مشغول البال بسبب أتفه الأشياء .

(غلغل كوس جهاندارى كشه رابردرست ـ ميكند آكه كه هان نوبت براى ديكرست) ومعناه بالعربية نفير الدولة والسلام الملكى الذى يقـرع بباب الملك الذى يحكم العالم ينبئه قائلا واستيقظ من الغفلة لقد جاء دور طابورك للرحيل الى دار الآخرة . ويستمر في قصيدته بما معناه باللغة الفرسية :

(توشه بيداكن كه اند ربيش دارى راه سخت ـ ميروى باحسرت خشت لحد زير سرست)

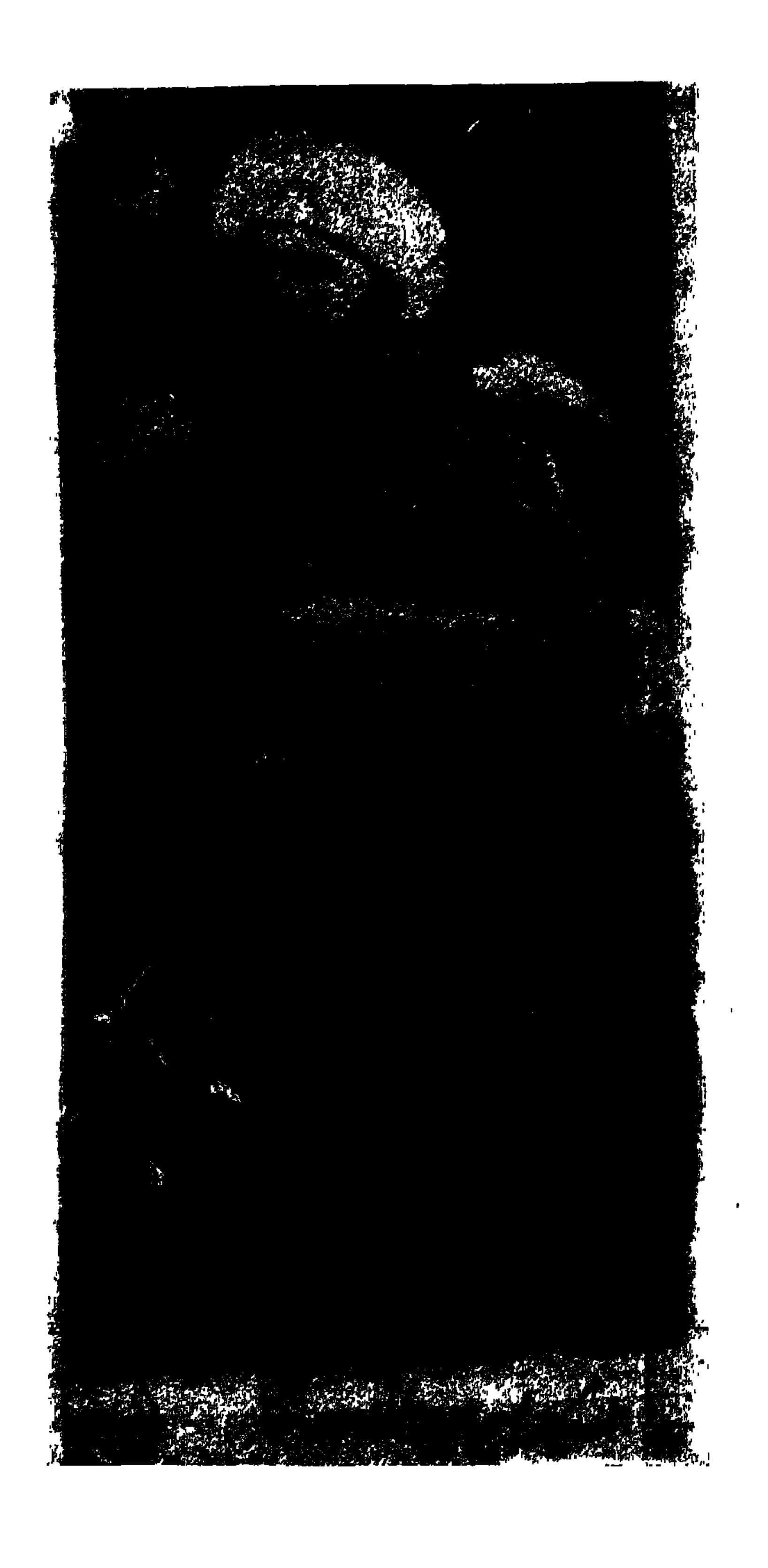
(برمراد خويش كمترروكه اين دام بلاست ـ نامرادى بهترازشا هى وتاج قيصر ست)

يعنى أيقظ نفسك من الغفلة وأعمل شيئاً فيلآخرتك حيث أن أمامك طرق وعرة فتترك هذه الدنيا وتموت وسيكون لبنة اللحد تحت رأسك .

(لا تغتر بمباهج الدنيا وزينتها ، وازهد عنها فانها تلهيك عن عبادة ربك فان اليأس والقنوط منها والتعلق بأذيال التوبة والاستغفار أجدى وأنفع لك من صولجان السلطنة وتاج الملك) ويختم قصيدته بما يأتي :

(بنده عاجزد ومطلب دارد أزلطف خداى ـ طوف بيت الله سلام روضة بيغمبر ست)

لهذا العبد العاجز مطلبين اثنين من المولى عز وعلا وهما أداء فريضة الحج والسلام على روضة الرسول عليه الصلاة والسلام . وكان من شروط المعاهدة التى عقدها رحمة الله مع الروس أنه اذا



استمر في حكمه ٢٧ عاماً دون خلاف مع الروس فانه ينال استقلالاً تاماً من قبلها لبلاده ولكنه لم يكمل المدة المطلوبة اذ أنه توفي في عام ١٣٢٨ هـ عن اثنين وخمسين سنة من عمره وحكم بلاده منها ٢٦ عاماً ودفن بجوار مزار قاسم بولاية كرمينة . رحمة الله عليه .

(سلطنة السيد الأمير عالم خان بن السيد الأمير عبدالأحد خان) :

ولد في ٢٠ محرم عام ١٢٩٧ هـ وبدأ منذ صغره على تحصيل العلوم الدينية حتى كان عمره ثلاثة عشر عاماً فأرسله والده ١٨٩٣ م الى بترسبرج روسيا حيث يتعلم نظام الحكم وبعد ثلاثة أعوام اجتاز الامتحان ليصبح وليا للعهد عام ١٨٩٦ م وبعد عودته الى بخارا ظل فترة من الوقت تحت رعاية والده ليزيد من معرفة أمور الدولة والمعاملات السياسية ثم أرسله حاكماً على ولاية نسف اسمها الآن (قرشى) حيث استمر والياً عليها اثنتى عشر سنة بني خلالها كوبرى على نهر قرشي وبنى مدرسة بها وعدة مساجد وبعد تلك المدة نقله والده حاكماً على ولاية كرمينة لمدة سنتين .

وفي عام ١٣٢٨ هـ (١٩١١ م) توفي والده الأمير عبدالأحد فجلس على العرش مكانه في نفس العام .

وكان أول أعماله بعد جلوسه على العرش أن أمر باعفاء الفقراء في الدولة من الخراج وكثير من الرسوم وألغي بعض الجمارك ، كما بنى بالقرب من ارك بخارا (بالاى حوض) حوضاً ومسجداً جامعاً كما بنى أيضاً مدرسة كبيرة دار العلوم بجوار منار بخارا وبجانب مدرسة مير عرب وكان يؤمن للطلبة مأكلهم وملبسهم ومسكنهم من أموال الدولة ، وحكم الأمير عالم مدة عشرة أعوام وكان عصره عصر رفاهيــة وسعادة للرعايا ، ثم بدأت محاربة البلاشفة ومكافحة الشيوعية .

(نبذة عن السوفيت) :

منذ عهد جدنا السيد الأمير مظفر الدين غفر الله له ورحمه الى عصر السيد الأمير عبدالأحد وابنه السيد الأمير عالم خان (ابن عمى) رحمة الله عليهما كانت دولة بخارا تعيش في استقرار تحت ظل المعاهدة التى عقدت بين دولة بخارى والقيصر الروسى اليكسندر وابنه القيصر نيقولاى والتى استمرت ثلاثة وستين عاماً والتى كان من شروطها عدم شراء بخارا آلات وأسلحة حربية من أى دولة أجنبية اذ أن روسيا ملزمة بالدفاع عنها بجنودها و سلاحها اذا تعرضت لأى اعتداء خارجى وكان يوجد في بخارى ثلاثة عشر ألفاً من الجنود مهمتهم فقط حفظ الأمن والحراسة داخل البلاد وعلى حدودها .

ولم تكن بخارا في الحقيقة تحتاج لجنود أو سلاح لأن جميع الدول المجاورة كانت تخشى روسيا ولذلك ظلت بخارى خلال تلك الفترة (٦٢) عاماً تتمتع بالأمن والطمأنينة .

وبعد قيام لينين بانقلاب عام ١٩١٧ م في روسيا تولى الأمر في روسيا مجلس برأس (كرينسكى) وأصبحت روسيا جمهورية ، وأرسل كرينسكى رئيس الجمهورية مبعوثاً خاصاً الى بخارى هو (بيرايرجنى) ليعقد معاهدة بين الحكومة الجديدة التى قامت في روسيا وبين بخارا وبعد مباحثات مفيدة وافقت روسيا على استقلال بخارا . وما أن حصلت بخارى على استقلالها حتى بعث السيد الأمير

عالم الى أفغانستان وزيره توره خواجه والملا قطب الدين للاتفاق على قيام سفارة دبلوماسية بينهما ، كما أرسل الحاج (أصغر بيّ) الى دولة انجلترا ، في مشهد حيث وقّع اتفاقية مع حاكمها . وفي تلك الفترة نشب قتال بين جمهورية روسياً وانجلترا وأرسل الأمير عالم خان ميرزا سليم بيك بروانجى وعبدالرؤف كاروان باشى ، باستقبال الجنود الانجليز عند حدود جهارجوى ولكن تخطيط الروس مع أمان الله الأفغاني جعله يقوم بعد قتل أبيه باعلان الحرب على الانجليز وطلب استقلال حدود أفغان وعادتّ انجلترا عن حدود بخارى لذلك .

وتم فعلاً تنفيذ التخطيط المرسوم فقد أعطت بريطانية لافغان استقلالها وفي الحال أرسل أمان الله عن طريق بخارى الجنرال محمد وليخان وزيراً مختاراً له في روسيا وفي أثناء مروره ببخارى سلم للأمير عالم رسالة ومعها هدايا من أمان الله ثم تباحث معه وأخذ رأيه حول موقفه من جمهورية روسيا وكان رأى الأمير عالم أنه من الرأى والصوابُ اعلان الحرب على الجمهورية الروسية فان الوقت مناسسب جداً لذلك . فهنالك حرب أهلية في روسيا بين المنشويك والبلشفيك وليس عندهم قوة لحرب خارجية . ولكن الجنرال محمد وليخان أجابه بأن الوقت ليس مناسب تماماً فان أمان الله بين حرب وصلح مع بريطانياً واذا قامت بخارا بقتال مع روسيا يكون ذلك ضرراً كبيراً وربما أدت هزيمة للدولتين الاسلاميتين أفغان وبخارى وأنه من الأفضل لهما الصبر الى أجل غير مسمى وستكون العاقبة باذن الله خيراً ". واتخذ الأمير عالم برأى الجنرال محمد وليخان الذى غادر بخارا بعد ذلك متجهاً الى روسيا .

وتأكيداً لروابط الود والصداقة فقد بعث أمان الله الى الأمير عالم مائتى جندى على رأسهم فضل أحمد خان نظامى ومعهم فرقة موسيقية وسبعة من المدافع وسبعة أفيال . كما بعث الأمير عالم مندوباً من طرفه الى جمهورية (كرينسكى) تأكيداً للصداقة . ولكن الحرب التى كانت دائرة بين البلشفيك والمنشويكٌ انتهت أخيراً بانتصار البلشفيك وهاجر المنشويكٌ الى خارج البلاد ، وبدأ البلشفيك ينفذون النظام الشيوعى في أنحاء البلاد .

وكان نظامهم يدعو الى ملكية الدولة لأدوات الانتاج ورأس المال وعدم حقوق الفرد في الملكية . اذ أنه آلة في عجلة الدولة يأخذ على قدر عمله فقط وكان نظامهم يدعو الى الاشتراكية التى تجعل شيوعاً في مال الفرد وحياته ، وحريته ويدعو كذلكٌ الى عدم احترام الأديان ، وأدعوا الحرية والعدالة ، والمساواة "، وانها في الأصل من مبادئ الاسلام ولكنهم ضلوا عن الحق وزعموا بالباطل . فان الاسلام أرسى دعائم الاشتراكية الحقة وحقق لاتباعه الحرية والعدالة والمساواة كما يجب أن تكون ، وها هى أربعة عشر قرناً من الزمن مضت تقريباً ونداء الاسلام الخالد يعلو ويعلو فوق المآذن خمس مرات في اليوم داعياً لوحدانية الله والشهادة له ولرسوله الكريم ومؤكداً أنه لا اشتراكية ولا حرية ولا عدالة بغير طريق دين الحق ولا شك أن من اتبع غير هذا الطريق فانه من الخاسرين .

وقد كان حكام الروس الذين تولوا الأمر تحت راية الشيوعية قوم لا عهد لهم ولا ضمير وكان هدفهم نهب الأموال من أصحابها والقضاء على العلماء والأعيان والأغنياء ولذلك كانت صداقتهم مع دولة بخارا في الظاهر مودة ولكن في باطنها خداع وتخطيط للاستيلاء عليها . وقد استطاع عملاء الشيوعيين أن يكونوا من بعض الجهلة والخونة من شباب أبناء بخارا عصبة جمعت بعض أبناء سمرقند



وطاشقند بزعامة فيض الله خواجه يف وميرزا محي الدين مقصود وكان عددهم تقريباً ١١٧ نفراً واتفقوا مع الروس على انقلاب يقومون به في بخارا بمساعدة عسكرية من الروس . وفي يوم السبت من شهر جماد الاخرى عام ١٣٣٦ هـ أعلن الثوار الحرب فجأة وكان (كاليسوف) القائد الروسى قد وصل على رأس جنود روس بالسكة الحديد الى كاكان لمباعدتهم ولكن الله سبحانه وتعالى نصر المسلمين على أعدائهم وتم الصلح بين الطرفين . ثم أرسل (لينين) وزيراً مختاراً له (الياواو بوريدو) في بخارا حيث اعترف الروس باستقلالها تماماً ووعدوا الأمير خان برد الأراضى التى كانوا قد استولى عليها من قبل أيام حكم القيصر وتزويد بخارا بالأسلحة والأدوات الحربية والطائرات الكافية ، وعين الروس سفيراً لهم في بخارا (أكسل روت) ، ثم أرسلوا من طاشقند أحد عشر مدفعاً كدفعة أولى من الأسلحة هدية ولكنها كانت بدون ذخيرة .

ولما مضت فترة تبين للأمير عالم خان خلالها أن وعود الروس الشيوعيين على غير أساس قام بشراء أسلحة حربية من جيران بخارى سراً وفي خلال عامين كان يدرب جيشه تدريباً علمياً ويجمع السلاح والذخيرة وكانت روسيا خلال تلك الفترة في حروب وثورات داخلية ، كما اتفق خلالها أيضاً بخارا مع أمير خوارزم على معاهدة تضمهما معاً ضد الروس ، وبعد انتهاء الاضطرابات داخل روسيا واستقرار الأمرل (لينين) و (تروتسكى) أرسل أمير بخارا من رجاله للتهنئة مكوناً من الجنرال مهدي خان وجوره بيك طوقصابا وغيب الله خواجة وحاجى ميرزا ونوروز بي ولو أنه كان يعلم أن الروس سينتقمون يوماً ما من بخارا . وفعلاً بدأت روسيا عن طريق سفيرها في بخارا معاملة غير معاملتها الأولى اذ أصبح يطلب من بخارا امداد بلاده (روسيا) بالقمح والأرز بدون مقابل ، كما انتشر جواسيس روسيا في البلاد وكانوا يقبضون على رعايا بخارا في الطرق ويسجنون بدون سبب وكانوا بذلك يتحرشون ببخارا للهجوم عليها . وتمكن الأمير عالم من جمع جيش قوامه خمسين ألف مقاتل من مختلف البقاع للدفاع عن بلاده وأقام استحكامات على طول خط السكة الحديد . ولكن لينين أسرع بارسال تيرانوف وزير الخارجية من طشقند عند ما علم بذلك ويلك طريق المكر والتحايل الدبلوماسى ليعتذر للأمير عالم عن تأخير روسيا تنفيذ معاهدتها وتعلل بالاضطرابات الداخلية التى كانت موجودة وانشغال الحكومة بعد ذلك في اصلاح البلاد . ودلل على أن المعاهدة التى ظلت ثلاثة وستين عاماً بين روسيا وبخارى مرت دون خلاف ، وأن روسيا حصلت من بخارى على منافع كثيرة واستفاد الطرفان من هذه المعاهدة المخلصة ، وطلب لينين من حاكم بخارى أن تستمر هذه الصداقة حتى تتمتع روسيا من المعونات والمساعدات التى تقدمها بخارى وأنه مستعد لأى طلبات لبخارا ويأمل أن ترفع بخارى حصارها عن الجنود الروس الموجودين بطريق السكة الحديد والمحافظة على أرواحهم مع احتفاظ الروس بالسكة الحديد كما كانت .

ووقع الطرفان هذه المعاهدة التى تعد الثالثة بينهما ووافقا على شروطها الكاملة . وبموجب شروط المعاهدة أعطى الأمير عالم أوامره للجنود أن يبعدوا عن خط السكة الحديد ثلاثة أميال وخفض الحراسة على الحدود الى أربعين جندياً بكل نقطة حراسة . واحترم الأمير عالم المعاهدة في أن يعم السلام والأمن شعب الدولتين ولكن روسيا كعادة حكامها الشوعيين لم تحترم كلمتها ولم تحافظ على

عهدها . فقد فعلوا كما يفعل قطاع الطريق اذ هاجمت قواتهم فجأة نقاط الحراسة البخارية يوم الأحد ١٥ ذى الحجة عام ١٣٣٨ هـ الساعة الثانية عشرة ليلاً وأخذوا جنودها أسرى ، وتدفقت جنودهم في قطارات السكة الحديد تحمل أحدث الأسلحة والمدافع الرشاشة والدبابات والمصفحات وبدأت طائراتهم بمهاجمة العاصمة بخارى ، وقذفها بالقنابل بما أحدث خسائر فادحة وحرائق أتت نيرانها على معظم مباني بخارى وقتل في هذه الغارات المفاجئة حوالى خمسين ألفاً من الشيوخ والأطفال والنساء والرجال خلاف القتلى من الجنود والأموال والتجارة التى أحرقت .

وبعد أربعة أيام خرج أمير بخارا من العاصمة ومعه أمراء البلاد وحاشيته والسفير الأفغاني عبدالشكور خان والجنرال النظامى محمد أسلم خان الأفغاني وقاضى عسكر الأفغاني مع خمسة وعشرين ألفاً من الجنود حيث توجهوا الى ولاية قورغان تيفة بعد عشرة أيام ولكنهم أثناء عبورهم طريق السكة الحديد اعترضتهم بعض مصفحات الروس ودارت معركة رهيبة وقع خلالها في الأسر وزير الداخلية عشما بيك ورئيس القضاة برهان الدين وعبدالرؤوف كار وان باشى رئيس التجار ويوسف باى مقيم بي وكيل تجارة الأمير ، ولكن أمير بخارى ومعه عدد كبير من الجنود استطاعوا الوصول الى شرق بخارى حيث أقاموا استحكامات بين جبلين في دربند التابعة لولاية بايسوند أول أراضى شرق بخارى . ودارت حروب بين الروس والبخاريين ستة شهور لم يتمكن الروس خلالها من اختراق استحكامات الجبلية المنيعة التى لا تقدر عليها طائرات أو مدفعية بل لا يصلح في مهاجمتها سوى المشاة المسلحين بأسلحة خفيفة . وكان وزير الحربية هو محمد سيد بيك بروانجى خال أمير بخارا ومعه عبدالحفيظ بيّ وابراهيم بيك بقيادة الجند النظاميينّ واضطر الروس أخيراً أن يطلبوا امدادات عسكرية من موسكو وبعد أن حضرت اليهم الامدادات قاموا بهجوم دام عشرة أيام وفرغت الذخيرة تماماً من الجنود البخاريين فأسرعوا بطلب المساعدة من أمان الله خان أمير أفغان لمدهم بالرصاص والذخيرة ولو بالثمن ولمنه لم يعطيهم بل أشار الى حضور الأمير عالم خان الى افغانستان للاجتماع به . واضطر الأمير عالم الى تلبية رغبته وتوجّه الى حدود أفغانستان بعد أن أوصى رجاله الملا محمّد ابراهيم بيك ديوان بيكى ودولتمند بيك ديوان بيكى وقائد الجيش الأزبكى البخارى بالثبات في الحرب والدفاع حتى يعود من أفغانستان . وعبر الأمير عالم خان حدود (درقد) التابعة لولاية كولاب من نهر جيحون يوم الأربعاء ٢٢ جماد الآخرة عام ١٣٣٩ هـ ودخل أراضى أفغانستان حيث نزل في مكان يسمى (عبدالنظر بيكى) تابع رستاق ، ثم استقبله محمد عالم خان مع ثلاثمائة من الجنود يوم الخميس ٢٣ جماد الآخرة وأطلق لتحيته وترحيبا به أحد عشر مدفعاً وبعد أن قضى يومين في رستاق توجّه الى قطغن عند نائب الحكومة أكبر خان ومحمد أكبر خان مع نائب الأربن خان الأفغان حيث استقبل استقبالاً رسمياً وأطلقت المدافع احدى وعشرين طلقة ثم نزل في بستان حياة آباد واستراح خمسة وعشرين يوماً ثم توجّه الى كابل مع حاشيته ووصلها يوم الأربعاء الثامن من رمضان ونزل ببستان قلعة مراد بيك ، حيث استقبله عشرة من حاشية أمان الله خان وأخذوه اليه وبعد تبادل التحيات وعبارات المودة ان امر امان الله خان بأن يكون الأمير عالم في ضيافته شهراً كما أمر بصرف (١٢٠٠٠) روبية للأمير عالم . وأمان الله هو الابن الثالث لحبيب الله خان أمير أفغان .

وفي تلك اللحظة ظهر للأمير عالم خان ما كان سراً فقد علم باتفاق امان الله مع روسيا وتكشف له أن تلك الحفاوة والبشاشة والترحيب الذى قوبل بهم ما هم الا قناع مزيف ، ويخفي خلفه أمان الله خان حقده المرير وشوقه الجنوني للانتقام اكراماً لصديقه لينين . ولد أمان الله عام ١٣١٠ هـ ١٨٩٢ م نصب نفسه قائما مقام والده على العرش أثر اغتيال أبيه في ١٩١٨/٢/٢٠ م فأعلن نقض معاهدة راولبندى التى عقدها جده عبدالرحمن خان مع الانجليز لاستكمال استقلال افغانستان الخارجى مما أدى الى نشوب حرب بين الأفغان والانجليز في الهند انتهت بمعاهدة عام ١٩٢١ م اعترفت بربط بريطانيا باستقلال افغانستان التام وتبادل الممثلين مع الدول الأجنبية وحاول تنفيذ برنامج واسع النطاق لادخال المدنية الأوربية .

في ديسمبر ١٩٢٨ نشبت ثورة داخلية أدت تنازله عن العرش ومبايعة أخيه عنايت الله ثم خلفه محمد نادر شاه وهو قضى على الفتنة وأصبح الأمير السيد عالم خان سجيناً داخل حدود أفغانستان لا يستطيع مغادرتها الى أى دولة أخرى حتى أداء فريضة الحج ولم يستطع الوصول اليها وكما يقول المثل (فر من الغول ووقع في يد عزرائيل) .

ولكن أنا محرر هذا التاريخ ومعي أخى السيد هاشم استطعنا وبشق الأنفس أن نندمج بين حجاج كابل وغادرنا الحدود ومنهم الى الأراضى المقدسة عام ١٣٤٤ هـ حيث لجأنا وأقمنا كمهاجرين بمكة المكرمة والمدينة المنورة . ومات السيد الأمير عالم خان في كابل الساعة الثانية من صباح السبت ٥ جماد الأولى عام ١٣٦٣ هـ ٩ثور عام الشمسي و ١٣٢٣ الموافق (٢٩ أبريل عام ١٩٤٣ م) وكان قد بلغ من العمر ٦٤ عاماً وشيع جثمانه رسمياً الصدر الأعظم ووزراء وأعيان أفغانستان ودفن في مقابر الشهداء الصالحين ، وأقيم له العزاء بجامع شاه شمشيرة كابل لمدة ثلاثة ليالى بحضور محمد ظاهر شاه وعبدالظاهر شاه مع الوزراء والحاشية .

حقيقة أن (كل من عليها فان ويبقي وجه ربك ذو الجلال والاكرام) والزمن كفيل بتغيير كل شئ وكل دولة مهما بلغت في مآلها الى الزوال . وهكذا كانت آسيا الوسطى فقد انتهى أمرها بعد انهيار دولة آل منغيت وتحول حماس أبنائها الصادق وازدهار حضارتها المضيئة الى حماة الهمجية والجهل تحت ستار الشيوعية ولم تتخلص منها حتى الآن .

وهكذا انقضى دور أمراء بخارا على مسرح التاريخ بعد أن حكموا قروناً طويلة بلاد آسيا الاسلامية وتقلصت الدولة المزدهرة التى قامت ببلاد ما وراء النهر فأصبحت بخارا البائسة كما رثاها شيخ المحدثين ببخارى الشيخ محمد سعيد العسلى الشامى رحمة الله عليه حيث قال :

أما بخارى فقد كانت ببهجتها ـ تزهو ويعلم هذا سـائر الناس
فعضها الدهر فهى الآن كاسفة ـ تشكو اليهم جـراح مالها آسى
ياهل أرى قبة الاسلام عامرة ـ أم حال دون المنى سور من اليأس

وقد لقبت بخارى بقبة الاسلام عند المؤرخين فما كانت في الحقيقة الا منبع العلوم الاسلامية ومنبت الائمة والمجتهدين في الفقه والتشريع الاسلامى . وما كان زائرها الا منعماً بجودها البديع ومناظرها الخلابة وأخلاق أهلها الوديعة وعشرتهم اللطيفة ولعل أعظم مثال لذلك قصر (ستارمة

خاصة) الذى بنى في عهد محمد عالم خان آخر أمراء بخارا الذى تتمثل فيه بدائع الفنون وجميل المناظر وتتذكر قول الله سبحانه وتعالى (كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك واورثناها قوماً آخرين ، فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين) صدق الله العظيم .

قبائل المتغتية ست قبائل : ١ - قبائل (ايلى توق منغيت) وهم الأسرة المالكة . ٢ - قبائل تيمور خواجة . ٣ - قبائل آق منغيت . ٤ - قبائل (قره منغيت) . ٥ - قبائل (بورداق منغيت) . ٦ - قبائل (كوكولدرى منغيت) وقد تفرعت منهم شعوب وقبائل كثيرة انتشرت في بلاد قرشي . (وشهر سبز) التابعة لبخارى واشتهرت تلك القبائل بين غيرها من القبائل الأخرى بالشجاعة والكرم ودام حكمهم ١٧٣ عاماً على أيدى الأسرة المالكة المنغتية الذين كان آخرهم السلطان محمد عالم خان الذى توفي ودفن في كابل .



السيد أمير عالم آخر أمراء بخارى

ومرة أخرى نعوّد الى تكملة ما بدأناه بعد مغادرتنا بخارا مع الأمير السيد عالم خان الى أفغانستان - فقد تركنا كما سبق ذكره الجيش البخارى معتصماً في استحكاماته الجبلية بقيادة القائد ابراهيم بيك والقائد دولتمند. فقد أسرع الروس بمهاجمة البخاريين عندما بلغهم خبر رحيل أمير بخارا الى أفغانستان ، ولكن جنود بخارى البواسل رغم قلة عددهم وندرة سلاحهم وذخيرتهم كانوا يهاجمون معسكرات الروس ويستولون على السلاح والذخيرة ، حتى أصبحت قدرتهم رهيبة وبلغ عددهم عشرة آلاف جندى وفدائي وتمكنوا بقيادة ابراهيم بيك ودولتمند من اكتساح الروس أمام استحكاماتهم ثم تقدموا واستولوا على بلاد كولاب وبلجوان وحرروها من أيدى الروسية وغنموا خلال ذلك على كثير من المعدات والأسلحة الروسية ، وعادت القوات البخارية واستولت على بلاد قراتيكين ودرواز وبلاد أخرى بعد أن أنزلت بالروس هزائم ساحقة ، وكان ابراهيم بيك بعث برسالة الى الأمير عالم يخبره بسير القتال ويتلقي منه الأوامر والمشورة وظلت الحرب دائرة في كل مكان في بخارى بين الروس وجنود البخاريين بقيادة ابراهم بيك وكان الفدائيون يعملون ضد الروس ليلى نهار لمدة سبع سنوات كاملة.

واستطاع الفدائيون أن يستولوا على عاصمة ولاية حصار شادمان في شرق بخارا بعد قتال عنيف واستولوا على غنائم لا حصر لها ومعدات حربية كبيرة وبعثوا الى الأمير عالم يبلغونه بهذا النصر العظيم الذى أسرع يهنئهم وينعم على قوادهم برتب منها الوزير العام والقائد العام وفي تلك الفترة وصل الى شرق بخارا انوربيك (٣) وزير الحرب التركى وزوج بنت السلطان رشاد خان مع حاشيته المكونه من ٢٧ شخصاً فكتب ابراهيم بيك الى الأمير عالم خان يخبره بحضوره ويسأله اذا كان يرغب أن يعبر له الحدوّد الى أفغانستان أم يرغب أن يساعده في القتال لأن انور باشا أعلم بفنون الحرب وخططها وقد اختار أنور باشا أن يساعدهم في الحرب خدمة لدين الاسلام. ووضع الخطط الحربية مع ابراهيم بيك لتحرير بايسوند وخزا روشير آباد وقرشي التى سرعان ما تحررت بيد الجيش البخارى وبعد ذلك أقام استحكامات منيعة بولاية قرشي قرب بخارى وكان نتيجة هذا الانتصارات الرائعة والفتوحات العظيمة ان جنوب وغرب وشمال بخارى قاموا بثورات مسلحة ضد الروس وارسلوا يطلبون من ابراهيم بيك

---

(٣) قائد ووزير تركى ولد ببلدة أبانا على البحر الأسود عام ١٨٨١ م من أب تركي وأم الباني ودخل السلك العسكرى والتحق بكلية أركان الحرب وانتقّل الى سالونيك حيث انضّم الى جماعة الاتحاد والترقي وأصبح بعد ذلك عضواً بارزاً في حزب (تركيا الفتاة) ومن دعاة الجامعة الاسلاميّة اشترك في الانقلاب العثماني عام (١٩٠٨ م) وفي السنة التالية ملحقاً عسكرياً في برلين وعند نشوب الحرب التركية الايطالية عين قائداً عاماً في طرابلس فنجح في كسب تأييد القبائل العربية - ثم اشترك في حرب البلقان واسترد أدرنه من بلغاريا عام ٩١٢ م تولى وزارة الحربية التركيّة ابان الحرب العالمية الأولى وعرف بميوله الألمانية وقاد الجيش التركى في جبهة القفاز وبانهيار الجبهة البلغارية والتماس السلطان وحيد الدين الهدنة من الحلفاء فرانور باشا الى القرم ومن ثّم الى لين ثّم انتقّل الى مسكو وناصر الحكومة البلشفية واشترك في مؤتمر باكو وطالب باستقلال الولايات الاسلامية الروسية ، فلما نكث الروس بوعدهّم انقلب عليهم وارتحل سرّاً الى تركستان الغربية وقاد ثورة نظامية مسلحة ضد حكومة مسكو واستولى على كثير من المقاطعات للتركستان استشهد في حربه مع البلشفيك عام ١٩٢٢ م في بلجوان في شرق بخارا ودفن هناك واحيط موته بشائعات دامت عدة سنين. آهـ من القاموس الاسلامى ج ١ ص ٢٠٥.

مدهم بضباط يقودون جيوشهم ضد الروس وأسرع ابراهيم بيك بارسال الجنرال الملا عبدالقهار ومعه ضابطين كبيرين قاموا بقيادة الجيوش التى بلغ عددها خمسة عشر ألف جندى وفدائي تمكنوا من فتح بلاد كثيرة وحرروها من الروس .

بعد تلك الانتصارات أرسل ابراهيم بيك الى أمان الله يطلب منه عودة الأمير عالم خان الى بلاده التي تحررت من الروس ولكن أمان الله أعاد رسل ابراهيم بيك الثانية ، كما جاءوا يدون أمير بخارا الأمير عالم خان بحجة أن هناك مازال الخطر موجوداً لأن الاستحكامات التى أقامها أنور باشا ضد الأعداء غير سليمة طبقاً لأصول الخرائط الحربية ولانشغاله ليل نهار في الحرب ، وما أن عاد الرسل الثانية حتى تجدد القتال لمدة سنة بين ابراهيم بيك وبين الروس الذين طلبوا من مسكو امدادات حربية وتعزيزات عسكرية وكان الروس قد اتخذوا ولى العهد الأمير ابن أمير بخارى الأمير عالم خان أسيراً وأخذوا معه اثنين من اخوته واثنين آخرين من أخوتي هما السيد رحمة الله وسيف الدين . وأخذ الروس الأسرى الخمسة وهم (سلطان خان ولى العهد وشاه مراد خان ومحمد رحيم خان وسيد رحمة الله وسيف الدين) الى مسكو حيث لم يعلم مكانهم أحد . كما قتل الروس بعض أولاد عمى وخمسة أنفار من كبار شخصيات بخارى بدعوى أنهم قاموا بترشيد أولاد أمير بخارى الى أفغانستان وأرسلوهم الى ولاية كركى قرب حدود أفغان . ثم جمع الروس بعد ذلك جميع أفراد الأسرة المالكة وسجنوهم ٣٤ يوماً بكركي ثم سلموهم لقائد الحدود الأفغاني حيث ظلوا ١٧ يوماً ثم طلب نائب حكومة مزار شريف ببلخ أعمام أمير بخارى الأربعة ووالدته وبنتين صغيرتين من بنات الأمير عالم خان مع امها ومعهم سبعين من أولاد عمه تقريباً حيث أرسلوا جميعاً الى كابل عند الأمير عالم خان ومنهم من مات في مزار شريف ببلخ (اثنان من أعمام أمير بخارا وعمى) . في تلك الفترة كانت الامدادات الروسية قد وصلت للروس في بخارا واشتد القتال بين ابراهيم بيك وزير الحربية واللواء دولتمند وأنور باشا وبين الروس . واضطر الجيش البخارى الى التحصن بجبل بلجوان وأقام استحكامات به .

وفي يوم عيد الأضحى كان الجنود يحتفلون به وفجأة هجم الروس من كل جانب وهب البخاريين يدافعون عن أنفسهم بكل بسالة ولكن أنور باشا سقط شهيداً في القتال ولحق به شهيداً اللواء دولتمند وكل ذلك يوم ١٠ ذى الحجة عام ١٣٤٥ هـ وقد دفن الشهيدان في احتفال مهيب حضره بعض الأتراك وفي مقدمتهم نافع أفندى ترك بمقبرة حوالش قرب قرية حوالش في مزار كان بادام . ثم سافر سامى باد شاه من أفغانستان مع بعض الأتراك للمساهمة في الحرب ولكنه عاد ثانية بعد أن وجد أنه لا فائدة من هذه الحرب .

وقد كان الأتراك بعد الحرب العظمى منتشرين خارج البلاد فمنهم من كان في أفغانستان مثل جمال باد شاه وفخرى باد شاه وقد سافر جمال باد شاه الى طاشقند حيث مات هناك أما فخرى باد شاه فقد أصبح سفيراً لمصطفي كمال أتاترك في أفغانستان ثم عاد الى بلاده بعد مدة .

مرة أخرى نعود الى قصتنا فبعد استشهاد أنور باد شاه ودولتمند هاجم الروس ابراهيم بيك عام ١٩٢٥ م الذى ظل ثابتاً في مواقعه ٢٥ يوماً يدافع عنها بوحشية واستطاع أن يظفر من الروس بعدد كبير من المدافع الرشاشة و(١٨٠٠) بندقية وثلاثمائة ألف رصاصة ومصفحتين واسقطت قواته

طائرتين حربيتين .

ثم تمكن أن ينسحب جنوده بنظام الى ولاية بايسوند . وفي تلك الفترة كان البلاشقة الروس قد أرسلوا جنودهم الى درقد عند حدود الأفغان قرب نهر جيحون حيث دار جدال بين الطرفين بخصوص الحدود وانتهز ابراهيم بيك هذه الفرصة فترك بعض قواده مع جيش بشرق بخارا وتولى بنفسه قيادة باقي الجيش و(١٥٠٠٠) جندي وانتظر بالقرب من منطقة النزاع يرقب نتيجة المباحثات بين الروس والأفغان وليسرع للمساعدة بجانب الأفغانيين اذا قامت بينهما حرب . ولكن المحادثات امتدت الى أربعين يوماً وانتهت بمعاهده بين الطرفين بعد تحديد الحدود بينهما .

وما أن علم الروس بوجود ابراهيم بيك مع قواته وراء الجبال حتى هجموا عليه بجيش من خمسة وعشرين ألف جندى ودار القتال عنيفاً مدة خمسة أيام سقط خلاله قتلى كثيرون من الجانبين وتشتت جيش ابراهيم بيك في الجبال ، ولم يبق معه سوى ثلاثمائة مقاتل . واضطر ابراهيم بيك الى عبور نهر جيحون الى أفغانستان بعد أن ألقي جنوده بأنفسهم في النهر وعبروه سباحة ثم أرسل الى أمير بخارى بتقرير بما حدث . وعندما سمع أمان الله بخبر وصول ابراهيم بيك حدود الأفغان أحضره الى كابل ورحب به وأمر بضيافته ومنحه محلاً لاقامته وراتباً يعيش به .

ثم التمس ابراهيم بيك من أمان الله أن يسمح له بأن يقيم بجانب مخدومه وأميره السيد عالم خان فسمح له بذلك . وظل ابراهيم بيك مقيماً بجوار أميره حتى حدث انقلاب حبيب الله خان سقوى في الأفغان فأسرع بالعودة الى حدود الأفغان مع رجاله ولكن الأفغانيين أرادوا تجريده من السلاح الذى يحمله هو ورجاله ولما رفض حاول الأفغانيون أخذ سلاحهم بالقوة وانضم اليهم الروس عند الحدود ضدابراهيم بيك ورجاله .

واستطاع الروس بمساعدة الأفغانيين المسلمين الذين خانوا اخوانهم المسلمين أن يأسروا ابراهيم بيك ورجاله ومنهم كان زوج أخت السيد سلمان خواجه صدور .

ومن بعض ما حدث أيضاً من بعض أبطال بخارا خلال تلك الفترة من الزمن قصة الملا عبدالقهار فقد بعث الأمير عالم خان الملا عبدالقهار من كابل ليجمع الفدائيين من غرب وشمال بخارا وقد نجح الملا عبدالقهار في مهمته واستطاع الفدائيون بعد أن نظموا أنفسهم أن يستولوا على بلاد تومان غجد وان حيث يوجد ضريح خواجه عبدالخالق غجد واني احد الصالحين والعارفين بالله وساعدهم أهالى غجد وان على فتحها .

وقد بلغ عدد الفدائيين (٦٠٠٠) من غجد وان (٢٠٠٠) من وابكند (٢٠٠٠) من تومان وغانزى و(٢٠٠٠) من شافر كام و (٢٠٠٠) من تومان بيرمست و (٢٠٠٠) من اتومن خطرجي . و (٢٠٠٠) من بهاء والدين - والتومان قرية كبيرة باللغة البخارية وغيرهم من القرى الأخرى حتى بلغ عددهم (٢٥٠٠٠ ألف تقريباً) .

وجعل على كل ألف فدائي قائداً . وفي خلال شهر تمكن الفدائيون من الاستيلاء على غنائم عظيمة من الروس تقدر بألفي بندقية ومائة ألف رصاصة وعشرة مدافع الرشاشة وثلاث مصفحات ، كما حرروا معظم قرى بخارى مما أفزع الروس من شجاعة هؤلاء الفدائيين . وشجع ذلك الأهالى أما

أهالى مدينة نواراتا فطردوا الروس من مدينتهم وخطبوا باسم السيد الأمير عالم خان كما أقاموا استحكامات حول مدينتهم . ودفع الفدائيون بعد ذلك الى العاصمة بخارا ووصلوا قرب كوبرى مهز قاسم قرب العاصمة وعندئذ خرج وزير الحربية عبدالحميد أفندى وزير حربية بخارى مع ستين نفرا من البخاريين والهنود والأتراك ومعهم أسلحة حربية كثيرة لتقديمها هدية للفدائيين كما أهدوهم أيضاً (٦٠٠٠) جنيهاً ذهبيّاً انجليزياً كما قاموا بمساعدة الفدائيين .

وقد جمع الروس جنودهم وحاربوا الجنرال عبدالقهار وحاولوا ايقاف تقدّمه الى بخارى مدة يومين ولكنهم فشلوا أخيرًا اذ هجم الجنرال عبدالقهار بجنوده على بخارى وحاصرها واستطاع جنوده أن يستولوا على ستة أبواب بخارى من الاثنى عشر وعند ذلك أخلى الروس بخارى وانسحبوا الى محطة سكة الحديد كاكان ودخل الجنرال عبدالقهار بخارى فاتحا منتصراً ولم يهدأ عبدالقهار لحظة واحدة فبعد أربع ساعات من دخوله بخارى أسرع يتعقب الروس قبل أن يجمعوا شملهم ودامت بينه وبينهم معركة عشر ساعات تمكن بعدها من أخذ غنائم كثيرة من الروس .

واضطرب القائد الروسى واستنجد بموسكو وسرعان ما أرسل الروس نجدات من مسكو ومن طاشقند وكانت الامدادات تتوالى لهم بغير حساب باعداد كبيرة من الجنود تتدفق بلا عدد ومعهم من الدبابات والمصفحات والمدفعية ، والرشاشات ما لا نهاية له وتساندهم أسراب عديدة من الطائرات الحربية ، وأخذت تلك القوات تحاصر البخاريين من جميع الجهات واستعمل الروس سلاح الرشوة بنجاح بين بعض الجنود الذين نزع الله الايمان من قلوبهم ودام القتال خمساً وعشرين يوماً ما بين الطرفين وسقط كثير من الجنود البخارية شهداء في ساحة المعركة ومنهم شقيقا الجنرال عبدالقهار . ولم يستطع الجنرال عبدالقهار بمن بقي معه من الجنود القلائل أن يصمد في وجه هجوم الروس الوحشى المتواصل فانسحبَ الى صحراء قزاقستان . وأخذ الروس ينتقمون بتخريب قرى ومدن بلاد بخارى وقتل كثير من اهاليها وبذلك انتهت حركة الفدائيين التى ظلت مشتعلة أربع سنوات في غرب وشمال بخارى .

(بعد هجرتنا من بخارا) :

منذ أن هاجرنا من بخارى عام ١٣٣٨ هـ عقبَ استيلاء الشيوعيين عليها والتجأنا الى أرض أفغان فأن ارادة شعب التركستان وتعطشهم للحرية والاستقلال لم تهدأ ولكن دورة الزمن لا تترك لدولة اختيار نهايتها ولم تتركهم الدنيا في سلام فقد انهالت عليهم سموم العواصف وحاقت بهم صنوف المحن .

وقد أراد الروس أن يعقدوا صلحاً مع جميع الدول التى اشتركت في الحرب العظمى ، وبعد ذلك حاولوا مع الدول الداخلية مثل بخارا فقد عرضوا على حكامّها اتفاقية للصلح على أن يتنازلوا عن جميع ما اشترطوه في معاهداتهم السابقة التى وقعتها حكومة القياصرة وأن يعيدوا ما استولوا عليه من أراض الى بخارا مع اعطائها استقلالاً تاماً ، كما وأن الروس على استعداد لمساعدة بخارا في الاصلاحات الداخلية والمعونات الأخرى التى تحتاجها بخارا . ولكن تجارب بخارا مع الروس علمتهم

أن عروض الصلح التى يعرضها السوفيت مثل سابقتها وأنهم لا عهد لهم ولا قيم ومع ذلك فما كان أمام بخارا سوى قبولها فقد مثل الغريق الذى يستنجد بالقشة وارادوا أن يحفظوا بعض آثار مجدهم الخالد وحتى لا تذهب الأيام بآثارهم وتطحن عجلة الزمن الدوارة مخافاتهم .

ان الانسآن الى فناء ولكن تلك ذكرياتي التى تراودني وتهز مشاعرى وتبعث في نفسى الأحاسيس الحلوة والخواطر الجميلة ولن تقوى يد الزمن على محوها حتى ينتهى جسدى الفاني ولكنها ستبقي خالدة في نفوس الأجيال والأجيال من شعبنا العريق . لقد ظلت الدولة المنغتية قرابة قرنين من الزمن في قمة مجدها وعظمتها حتى قلب الدهر ظهر المجن للأمير عالم السيئ الحظ فذهبت جهوده التى بذلها لتحرير وطنه أدراج الرياح .

لقد كان من سوء طالعه التجاؤه الى الأفغان وتحديد اقامته في كابل في الوقت الذى كان يجهل فيه تحالف أمان الله سراً مع لينين ولو كان يعلم بذلك الأمر لتغيرت الأمور ولكن هكذا أراد الله وارادته فوق الجميع .

وفي ذلك صدق قول الشاعر :

(وما من يد الا يد الله فوقه ـ ولا ظالم الا سيبلى بظالم)

وقول الشاعر :

(لا تستهينوا بنا من ضعف قوتنا ـ فكم ذبابة غاب أزعجت نمرا)

(هذى البلاد أغرسوا فيها مودتكم ـ ثم أقطفوا من جناها ودنا ثمرا)

(فكم لكم حلف صدق في سياستكم ـ مشى الى الموت من جرا لكم زخرا)

(لسنا بقوم اذا ما عاهدوا نكثوا ـ ولو جرى الدمع حتى أشبع النهرا)

(ولا نخالف أحلافا فنخذلهم ـ ولو لبسنا المنايا دونهم أزرا)

(فنحن أوفي الورى بالعهد شنشنته ـ ونحن أرفعهم في المكرمات ذرا)

وفي مجال سوء الحظ الذى صادف الأمير عالم خان فقد كان يضع في بنك انجلترا ثروة لحساب وطنه وعندما سحبها رفض البنك صرفها الى أجل غير مسمى حتى عودته الى وطنه .

أودعها الأمير عالم خان بنك انجلترا بيد رئيس تجارته (توره قلى باى) الذى أرسله مع بعض خدمه الى لندن عن طريق أفغان ولكن توره قلى خان أميره ووضع المبلغ باسم شعب بخارا واضطر الأمير عالم خان الى الالتجاء الى المحكمة الشرعية التى استمعت الى شهادة الخدم الذين شهدوا بالزور ولكن المحكمة حكمت بالمبلغ كله . ولكن وكيل الأمير عارض في الحكم واعيد النظر في القضية واعترف الوكيل أن أصل المبلغ كان بضاعة وليس نقداً وأن المكتوب على بالة البضاعة كان (مال السيد عالم) أمير بخارا فحكمت المحكمة برجوع المبالغ كلها للأمير ولكن الوكيل عاد واعترض بأن الخدم استولى الشيوعيون على أموالهم وطلب أن يعوضه الأمير عالم هو والخدم من الأموال .

وانتهى الأمر بأن يقسم المبلغ ثلاثة أقسام أصل المبلغ (٢١٠٠٠٠٠) روبية كلدار . خمسمائة ألف للخدم ومائتى ألف مصاريف الدعوى ورسوم الرضية الجمرك لجمرك لندن وسبعمائة ألف للأمير عالم خان وسبعمائة ألف حجزت بالبنك لحساب الوطن يستلمها الأمير اذا عاد الى بلاده ومازال هذا



حضـرة والدي المرحوم السيد أكرم
رحمة الله عليه
←

مدرسة والدي بنا في حكومة
ولاية خزار
↓



المبلغ ببنك لندن حتى الآن . هذا خلاف ثروة والده الأمير عبدالأحد خان التى أودعها بالبنك الفرنسي وقد حاول الأمير عالم صرفها ولكن البنك رفض حيث أن الشيك الخاص بها أحرق مع أوراق أخرى في الحرب العالمية .

(السيد أكرم بن الأمير مظفر الدين « والدى ») :

ولد في عصر جده الأمير نصر الله وكان عمره خمس سنوات حينما توفي جده نصر الله وأصبح والده الأمير مظفر الدين أميراً على عرش بخارا . وفي سن الرابعة عشر بعث به والده حاكماً على ولاية قرشى ثم حاكماً على ولاية جهار جوى وبعدها على ولاية بايسوند ثم أصبح حاكماً على ولاية خزار .

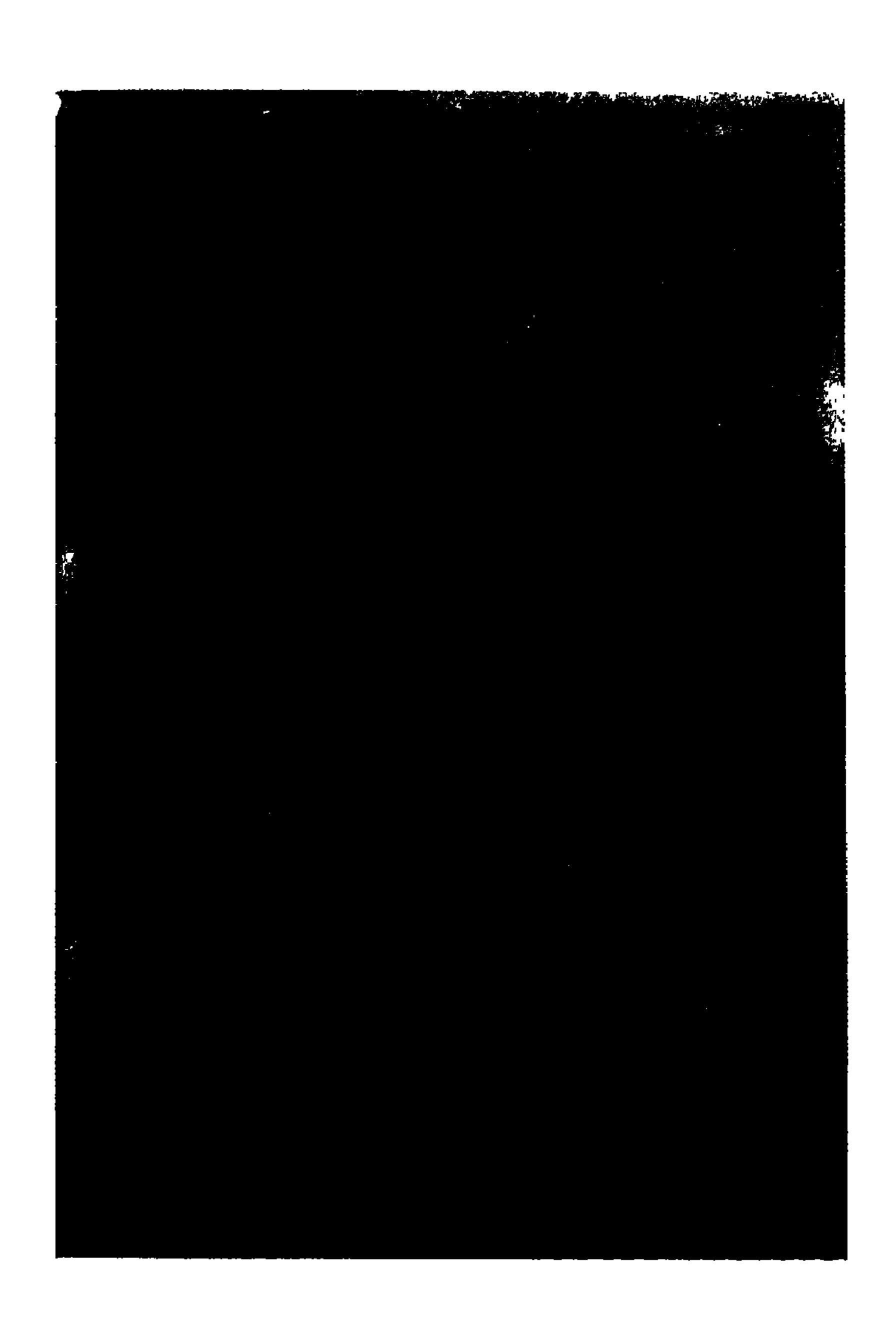
وعندما بلغ الخامسة والعشرين من عمره عينه والده مندوباً بسمرقند حيث التقي بالأمير عبدالرحمن خان الذى كان قد هرب من بلاده وظل في صحبته مدة وجوده بسمرقند . وأثناء أمارته على بلادهخزار كان والده مسافراًالى ولاية شهر سبز يصحبه في رحلته ولكن والده فاجأه المرض في شهر سبز فأمره بأن يتولى امارة ولاية شهر سبز مؤقتاً بدلاً من حاكمها الذى صحب والدّه الى بخارا وفي أثناء الطريق توفي والده في مكان يدعى (جيت ارق) بالقرب من بخارى وتولى العرش الأمير عبدالأحد خان الذى حضر من ولاية كرمينة .

وأسرع والدى الأمير أكرم بارسال مبايعته مبايعة ولايتى شهر سبز وخزّار الى أخيه عبدالأحد خان وكذلك تعزيته في وفاة أبيه . بعد ذلك استأذن أخاه عبدالأحد في العودّة الى ولاية خزار حيث تقيم أسرته ووالدته فاذن له أخوه وعين حاكماً على ولاية شهر سبز . وقد استمر حكمه في ولاية خزار ٢٧ عاماً طيلة حكم أخيه عبدالأحد خان ثم ظل حاكماً لها سبع سنوات في عهد ابن أخيه الأمير عالم خان .

وعندما حدث أوّل انقلاب في بخارا عند حدود سمرقند أمر الأمير عالم خان بضم ولاية خزار وشهر سبز تحت ولاية والدى الأمير أكرم الذى أقام استحكامات على حدود روسيا عند (تحت قره جه) وظل حاكماً لها ثلاثة أعوام ، وقد عينني والدى (أنا محرر هذا التاريخ) قائماً مقامه على ولاية خزار طيلة تلك الفترة من حكمه .

وقد شيد والدى رحمة الله عليه خلال مدة حكمه كثيراً من المباني الخيرية والقناطير والمساجد ودور حفظ القرآن ومدرستين مازال بناؤهما المقام من الحجارة البيضاء والتصميم الهندسى الرائع موجوداً حتى الآن .

قد صممها مهندسون الأرمن والبخاريين والسمرقنديين كما بنى كثيراً من المحطات على طول طريق ولاية خزار لراحة المسافرين كما أنه في عهد أخيه عبدالأحد قام بتسهيل اقامته المناورات التى أمر بها القيصر الروسي نيقولاى وزير حربية طاشقند (كرو باتكين) في صحراء ولاية خزار حيث قام بشئون وخدمة سبعة آلاف من الجنود كان يصاحبهم الأمير عالم خان مندوباً عن والده عبدالأحد خان ووزير خارجيته (آستانه قل قوشبيكى) وحاشيته تصحبهما من الأمراء والأعيان وقد تحمل السيد أكرم اقامة الجميع ووفر لهم المأوى المريح والمأكل والمشرب مما جعلهم جميعاً يقدمون له شكرهم وتقديرهم .



وكان مما لقاه (كوراباتكين) وزير حربية طاشقند من معونة كاملة وكرم الضيافة ما جعله يمدح السيد أكرم عند القيصر الذى أرسل له نياشين الدولة تكريماً له واوسمة أخرى لرجاله وحاشيته كل على حسب رتبته وذلك اعترافاً من القيصر بفضلهم وتقديره خدماتهم ومن أولاده كان أخى السيد قاسم وكان حاكماً على بلاد جراغجى منذ أيام عمه الأمير عبدالأحد وكذلك أخى السيد عمر الذى كان قد عينه الأمير عالم خان حاكماً على بلاد (كتاب) كما كنت أنا محرر هذا التاريخ قائماً على شئون بلاد خزار. وعندما قامت الحرب مع الشيوعيين عند حدود سمرقند. كان الجنود المشتركون في القتال قسمين أحدهما من رعايا بخارى والقسم الآخر من اللاجئين من سمرقند وبعد انتهاء القتال واستطاعة الروس دخول بخارى فقد طمع بعض اللاجئين من السمرقنديين الخونة في تسليم السيد أكرم الى حكومة لينين مقابل أن يعوضهم بالرتب والمناصب وفعلاً استطاع هؤلاء الخونة أن يوقعوا به في الصحراء ولكن حدث بين زعيمين منهما وهما بهرام وآجيل حول تسليمه للينين وانتهى الخلاف بتركه الصحراء ثلاثة أيام بجبل قرب جام بسمرقند حيث استطاع بعد تعب شديد ومشقة بالغة من الوصول الى كابل عند الأمير عالم خان. ولكن العرض أصابه وظل عاماً كاملاً مصاباً بالفالج (الشلل) وتوفي الى رحمة الله ليلة الثلاثاء ٩ من شهور رمضان المبارك عام ١٣٥٠ هـ ودفن بمقبرة قلعة فتوح في كابل في صباح العاشر من رمضان بعد أن صلى عليه جمع غفير من مهاجرى بخارى وأهل كابل وعلى رأسهم الأمير عالم خان.

(**السيد عبدالمؤمن أكرم «محرر هذا الكتاب»**):

ولـد عام ١٣١٨ هـ ببلاد خزار حيث كان والده الأمير أكرم حاكماً عليها وفي سن الرابعة التحق بالمدرسة الابتدائية حيث ظل بها عشر سنوات أنهى خلالها المقرر حسب منهج التعليم في بخارى وبعد ذلك تعلم الفروسية وركوب الخيل واطلاق النار. وعند ما حدث الانقلاب الشيوعى في روسيا هرب من سجونها خمسمائة من أسراء أوستريا (النمسا) والتجأوا الى شرق بخارا وكان منهم مهندسون وفنيون في صناعة المدافع والبنادق والقنابل اليدوية ولما وجدوا أن بخارا آوتهم اتفقوا مع المهندسين البخاريين على صنع المدافع لجيش بخارى وأمر والدى بتوفير كل طلباتهم من آلات وعدد وكلفنى بالاشراف على أمورهم وتوفير الخدمة والراحة لهم.

وقد نجح هؤلاء المهندسين في صب المدافع الثقيلة وتمت تجربتها بنجاح وأمر والدى بأن يكتب عليها صنع بخاراوكذلك اسمه واسمى عليها. وقد طلبت من شاعر بخارا القاضى الشهيد نعمة الله مخدوم متخلص بـ (محترم) بكتابة الكلمات شعراً بالفارسية فكتب أروع أبيات كتبت على المدافع المصنوعة ترجمته بالعربية (بأمر السيد أكرم عالى الهمة صار بناء المدافع لحفظ الدولة، لأنه مبين خان سعى في صنعه، فبهذا صار تاريخ بناء مبين وفتح نصرت) عام ١٣٣٦ هـ ثم قمنا بارسال ثلاث مدافع من المصنوعة الى الأمير عالم خان في بخارا فأمر بارسال المهندسين اوستريين الى بخارا حيث تقام صناعة المدافع بها تحت اشرافه. وفي أثناء القتال مع الروس أمر والدى بأن يرسل النساء والأطفال والشيوخ الى الجبل بعيداً عن القتال ولكن الروس حاصروا الجبل وقبل أن يستكملوا حصاره أمرت من معى بأن

يسرعوا باخراج الأهالى من الجبل ونجحت في انقاذهم الى حدود بايسوند.
بعد ذلك وضعت خطة لسد الطريق الذى يمر بين الجبلين واقامة استحكامات سريعة لعرقلة الروس وصدهم ونفذ جنودى الخطة في نشاط وسرعة ومكثنا عشرة أيام وصل بعدها من بخارا الأمير عالم مع امدادات من الجنود والسلاح لتعزيز الحدود وظل الأمير عالم خان مقيماً في بلاد حصار شادمان شرق بخارا والجنود مستعدين على الحدود ستة شهور. وفي تلك الفترة رأى الأمير عالم خان أن الأمور تقتضى ابعاد العائلة المالكة عن خطر الحرب في بخارا ولذلك فقد عبرت والدتي واخوتي مع بقية أفراد العائلة المالكة نهر جيحون الى حدود أفغانستان، وقد عبرت مع العائلة وانتظرت معهم مشرفاً على شئونهم وأحوالهم، حتى انتهت الحرب وحضر الأمير عالم خان ومعه والدى الى الأفغان حيث استقربنا المقام في كابل. وفي عام ١٣٤٤ هـ استطعت مع أخى السيد هاشم أتوجه الى بلاد الحجاز حيث كان الملك عبدالعزيز آل سعود قد تمكن من تخليصها من يد الشريف حسين.
وفي تلك السنة وقبل وصولنا الى الحجاز بمدة قصيرة رغبت الأسرة الملكية بالسعودية أداء فريضة الحج فأمر الملك عبدالعزيز من العاصمة الرياض مدير الأوقاف ورئيس البلدية والمالية بأن يهيؤا ويجهزوا عمارات كبيرة لاقامة الأسرة المالكة بها في مكة. وكان من الأماكن التى أخذها مدير الأوقاف محمد سعيد أبوالخير الوقف الذى نملكه وقام بفرشه وتجهيزه وفي تلك الفترة وصلت ومعى كان ثلاثون بخارياً قادمين للحج.
وما أن شاهدت ما حدث لوقفنا حتى أسرعت الى الأمير فيصل بن عبدالعزيز في مسكنه بالحميدية وعرضت عليه أثناء المقابلة ما حدث للوقف الخاص بنا وأسرع الأمير فيصل يتصل بوالده تيلفونياً وكان والده في المعابدة ورد عليه والده بأن يسلموا الوقف لنا اذا لم تكن الحاشية نزلت به أو يعطى لنا محلاً آخر نقيم به اذا كانت الحاشية نزلت به فعلاً ويكون ذلك بصفة موقتة نستلم بعدها الوقف. ولما كانت أخت الملك عبدالعزيز قد نزلت فعلاً بالوقف فقد أعطانا مدير الأوقاف محلاً بباب الباسطية قرب الحرم نقيم فيه حتى ينتهى به موسم الحج.
وبعد انتهاء موسم الحج حررت لابن عمى الأمير عالم خان رسالة بالواقع فأرسل من طرفه الشيخ محمد سعيد الكولابي البخارى ناظراً لأوقافه ومعه رسالة من الأمير عالم للملك عبدالعزيز بالتهنئة وكان مصدقاً على الرسالة من وزير خارجية كابل وسفير انجلترا في كابل ثم جاء وقدم لوكيل وزير الخارجية يوسف ياسين الرسالة ليقابل الملك بعد أن صدق عليها قنصل انجلترا في جدة. ثم تقابل ناظر الأوقاف مع الملك عبدالعزيز وقدم له الرسالة ومعها هدية قيمة من الأمير السيد عالم خان عبارة عن مصحف بخط يد خطاط بخارا ومكتوب بماء الذهب وسجادة من نسيج بخارى وعصا قيمة وقد أعطاه الملك عبدالعزيز رداً على الرسالةومع الرد سيف ومشلحين هدية للأمير عالم خان. أما الناظر فقد استلم الأوقاف من الناظر السابق له وأعطاني الرسالة الهدية حيث سافرت بهما الى كابل واسلمتهما للأمير عالم خان. واسترحت قليلاً في كابل بجوار والدى ولكنه توفي بعد زمن قصير فلم أنتظر طويلاً بل أخذت عائلتى وتوجهت الى الحجاز عام ١٣٥٠ هـ. وبعد مدة قام شرذمة من البخاريين بدعوى ضد الشيخ محمد سعيد ناظر الوقف في المحكمة الكبرى بمكة المكرمة فسافرت مع الشيخ محمد سعيد الى الرياض

لتقديم عريضة وكان معنا التوكيل الرسمي والمعتمد من الشيخ يوسف ياسين وزير الخارجية والشيخ عبدالله بن حسن رئيس القضاة بمكة المكرمة وتوجهنا لمقابلة الملك وقدمنا لجلالته العريضة والتوكيل فطمأننا بأنه سينظر دعوانا ويخبرنا وطلب منا الا نخاف حقوقنا ثم تعطف علينا جلالته بسيارة حكومية أعادتّنا الى مكة المكرمة وأعطانا مصاريف كافية للطريق . وبعد ثلاثة شهور ورد لقاضي محكمة مكة المكرمة خطاب ملكى من الديوان العالى بأن يبقي محمد سعيد علي نظارته ناظراً للوقف ، لأن التعرض لمثل هذه الوكالة قد يفتح على الحكومة باباً يصعب سده ألا اذا أهمل في نظارته . فحينئذ يشمل لجنة تنظر في قضيته ، ولكن الشيخ محمد سعيد ذهبَ الى المحكمة واعتذر عن قيامه بشئون الوقف لكبر سنه وأن بمكة من سلالة الواقف من هم أولى بادارته وعندئذ ترد الأمانة لأصحابها .

وهنا قبل السيد الزكى البرزنجي رئيس المحكمة الكبرى بمكة المكرمة أن اتولى نظارة أوقاف عمى المرحوم السيد عبدالأحد خان وكان ذلك في عام ١٣٥٨ هـ .

وبعد استلام الوقف عام ١٣٧٢ هـ أقام الشريف موسى البركاتي بأن عمارة الوقف بحارة السفلة دعوى بأن هذه العمارة ليست من أوقاف أمير بخارا بل هى ملك والد زوجته المتوفي وأحضر أمام المحكمة خمس شهود من طرفه ، فحكم القاضي مجبنا على شهادتهم بملكية الوقف له . ولكنني عارضت ذلك الحكم بدعوى أقمتها واستمر نظرها أربعة عشر عاماً وأخيراً قدمت مظلمة باليد للملك فيصل في جدة راجياً منه تشكيل لجنة من كل الدوائر لبحث هذه المظلمة . وقد أحال الملك فيصل مشكوراً مظلمتى الى الأمير مشعل أمير مكة المكرمة ، فكون لجنة من خمسة دوائر هم مدير الشرطة عبدالهادى عبدالغنىَ وابراهيم سجينى من البلدية وعبدالله الكعكى شيخ الفرنين بمكة المكرمة وصالح جمال الحريرى محرر الجريدة وعبدالرحمن عيد صاحب عقار ومن أعيان أجياد . وبعد عدّة اجتماعات قامت اللجنة بالاطلاع على المستندات المقدمة منى وصكوك الوقف الرسمية ثم رفعت رايها للملك فيصل حيث أحاله جلالته لمستشاره رشاد فرعون ثم المفتى الأكبر الذى الغى الحكم الذى كان لصالح الشريف موسى وأمر بتسليم الوقف لى وكان ذلك يوم السبت الموافقٌ ١٣٨٦/٦٢ هـ حيث تم التسليم من يد وكيل موسى وأخيه عبدالله بن سالم على يد جميل محمد بوقس الموظف بادارة التنفيذ .

وكان لاعادة الحَق الى نصابه على يد فيصل الملك العادل أثره العميق في نفسى ونفوس من حولى فأعلنت شكرى لعداله جلالته وعناية الأمير مشعل على صفحات الجريدة . ولم تترك العدالة شهود الزور فحكم فضيلة الشيخ عبدالرحمن بن شعلان على شهود الزور بسجنهم ثلاثة شهور وجلدهم كل شهر أربعون جلدة وهذا الحكم صدر من الشيخ عبدالرحمن بن شعلان قاضى المستعجلة من المحكمة الكبرى بمكة المكرمة .

وهكذا فانه مهما طال الزمن فان الحق يعوّد الى أصحابه فالحق يعلو ولا يعلى عليه .

(**نسبة ثبوت السيادة للسلاطين المنغتية**) :

ينسب نسب السلاطين المنغتيّة الى السيادة الشريفة عن طريق الام حيث ينتهى النسب عن طريقها الى السيدة فاطمة الزهراء وعلى رضى الله عنهما وعلى ذلك فقد أوضحت بما يلى هذا النسب

من الحديث القديم بما يلي : (السيد عبدالمؤمن « الشهير بعبد المبين ») بن السيد أكرم بن السيد مظفر الدين بن السيد أمير نصر الله بن السيد الأمير حيدر آل منغيت بن شمسية بانو بنت السيد الأمير أبوالفيض خان الاسترخاني ابن السيد الأمير سبحانقلي خان ابن السيد الأمير ندر محمد خان (أو نظر محمد خان) بن شهره بانو أو (زهرة بانو) بنت السيد ميرزا أبوطالب (واسمه محمد على الملقب ببديع الزمان أو حجة الاسلام وهو أكبر أحفاد الأمام رضاً) ابن السيد مير محمد أمين ابن السيد مير جعفر ابن السيد مير محسن ابن السيد مير على رضا ابن السيد مير محمد تقي ابن السيد محمد أبوصالح ابن السيد مير محمد أمين ابن السيد مير هدايت الله ابن السيد مير نورالدين محمد ابن السيد مير جدل الدين محمد ابن السيد ميرابو محمد شاه حسين ابن امام حسن العسكرى ابن السيد الامام على التقي ابن حضرة الامام محمد نقي النقيّ) ابن حضرة الامام على بن موسى الرضا ابن حضرة الامام موسى كاظم ابن حضرة الامام جعفر الصادق ابن الامام محمد باقر ابن حضرة الامام على المقلب بزين العابدين ابن الشهيد الامام حسين بن سيدة النساء فاطمة الزهراء (رضى الله تعالى عنهم أجمعين) بنت سيدنا ومولانا وحبيبنا محمد رسول الله ﷺ.

وهكذا ينتهى نسب عائلتي وأكون أنا وأخواني واخوتي في ترتيب تلك الشجرة المباركة الجيل الثالث والثلاثين منها . وهنا أقف قليلاً لاستعير بعضاً مما شرحه الامام الجليل الحافظ عماد الدين ابن كثير القرشي الدمشقي المتوفي عام ٧٧٤ هـ من سورة الانعام ، في ذكر عيسى عليه السلام في ذرية ابراهيم أونح على قول آخر دلالة على دخول ولد البنات في ذرية الرجل لأن عيسى عليه السلام انما ينسب لابراهيم عليه السلام بأمه مريم عليها السلام فانه لا أب له . قال ابن أبي حاتم - حدثنا سهل ابن يحيى العسكرى حدثنا عبدالرحمن بن صالح حدثنا على بن عابس عن عبدالله بن عطاء المكى عن أبي حرب ابن أبي الأسود قال - أرسل الحجاج الى يحيى بن يعمر فقال له - بلغني أنك تزعم أن الحسن والحسين من ذرية النبي ﷺ. أتجد في كتاب الله وقد قرأته من أوله الى آخره فلم أجده فقال له - أليس عيسى من ذرية ابراهيم ألم تقرأ في سورة الانعام (ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون . وكذلك نجزى المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى والياس) قال بلى فقال له أليس عيسى من ذرية ابراهيم وليس له أب . قال صدقت فلذا اذا أوصى الرجل لذريته أو أوقف على ذريته أو وهبهم شيئا دخل أولاد البنات فيهم . فأما اذا أعطى الرجل بنية أو أوقف عليهم فانه يختص بذلك بنية لصلبه وبنى بنية واحتجوا بقول الشاعر :

(بنو نابنو ابنائنا وبناتنا - بنوهن أبناء الرجال الاباعد)

قال آخرون ويدخل بنو البنات أيضاً لما ثبت في الصحيح البخارى - أن رسول الله ﷺ قال للحسن ابن على - أن ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين) فتسمية ابن دل على دخوله في الابناء . وذكرت حاشية الصاوى على تفسير الجلالين في آية (وزكريا ويحيى وعيسى) بالمجلد الثاني ص ٢٩ (عن سورة الأنعام) وعيسى بن مريم بأنه يفيد أن الذرية تتناول أولاد البنت أى لأن عيسى عليه السلام لا أب له . (لا أب له) وعن صاحب الفضيلة الشيخ عبدالجليل عيسى شيخ كلية أصول الدين سابقاً بمصر ومؤلف (صفوة صحيح البخارى) وشرحها أنه جاء بكتابه

حديث عن حميد الساعدى عن الخزرج أنهم قالوا (يا رسول الله كيف نصلى عليك فقال رسول الله ﷺ (قولوا اللهم صلى على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد) وذريته ذكوراً كانوا أو أناثاً فأولاد الذكور وأولاد الاناث سواء في نسبتهم اليه ﷺ وفي كونهم من ذريته وقد قال الله تعالى في ابراهيم الخليل على نبينا وعليهم الصلاة والسلام - (ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزى المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين) فانت ترى ، قد عد عيسى من الذرية باعتبار أمه مريم عليها السلام ، وعلى ذلك فانه ثابت تماماً أن السلاطين والأمراء المنسوبيّن الى قوم منغنيت في بخارا من الأشراف الحسينيين عاملهم الله بفضله في الدنيا والآخرة .

(نسب السلالة المنغتية من جهة الأب) :

ينسب السلاطين المنغتية للأب كالآتي (ـنـ) عبدالمؤمن الشهير بعبد المبين وقد دعاني بهذا الاسم عمى الأمير عبدالأحد لأنه كان يحترم أخاه والدى ابن السيد أكرم ابن الأمير مظفر الدين ابن الأمير نصر الله ابن الأمير حيدر الملقب بالأمير السعيد ابن الأمير معصوم شاهمراد خان ابن الأمير دانيال ابن خدا ياربي ابن خدايقلى بي ابن كيلدى ياربي بن جاوش باى نغيت يقيم في بلاد قرشى التى كان أسمها في القديم نسف ونخشب وقد بنى كيوك خان المغول قصراً على مسافة فرسخين من قرشى وكان جاوش باى منغيت من أغنياء عصره وكان يملك الأراضى الزراعية الواسعة وقطعان كثيرة من المواشى . وفي أثناء القتال بين عبيد الله خان أمير بخارا ومحمود أتاليق حاكم بلخ طلب جتوش باى من عبيد الله خان أن يكون جيشه المكون من ثلاثين ألف مقاتل ضيوفاً عليه خلال مرورهم بأراضيه وقبل عبيد الله خان هذه الضيافة التى قام بها جاويش باى خير قيام وأكرم ضيوفه أحسن اكرام ثم أرسل ابنه كليدى يار مع عبيد الله خان ليقاتل في صفوفه وبعد فتح بلاد بلخ منحه عبيد الله خان رتبة بك وبعده ابنه خدايقلى وهكذا تدرج أولادهما في مناصب الحكم حتى وصلوا الى أمارة الدولة ، وكان منهم سبعة أمراء آخرهم الأمير عالم خان وباقي أفراد الأسرة تولوا المناصب العالية في الدولة . وكان مدة حكمهم ببخارا ١٧٣ عاماً .

(أمارة بخارى)

تبلغ مساحة بخارى ٢٠٥ ألف كيلومتر مربعاً صحراؤها قاحلة وسهولها خصبة كباقي بلاد تركستان ومناخها حار شديد صيفاً قارس البرد شتاء ومن محصولاتها الزراعية القطن والقمح والكتان والدخان والفواكه .

وقبائلها الرحل اشتهرت بعنايتها الفائقة بتربية المواشى والخيول والابل ، كما تقدمت التجارة في بخارى خاصة بعد مد سكة الحديد فيها وأهم صادراتها القطن والحرير .

كان ينتشر سكان بخارا (١٩٠٠٠٠٠) في واحاتها وسهولها الخصبة ويتكونون من أغلب

الأجناس الآسيوية فمنهم الهنود والأفغان والفرس والتاتار والقيرغيز والأوزبك والتركمان .

والعقيدة السائدة في بخارى هى الاسلام الحقيقي ويوجد بها بعض اليهود ويمتاز أهل بخارا باناقة الملبس وجمال الشكل ويرتدى أغنياؤهم ملابسهم من الحرير والفراء أما النساء فملابس واسعة كثيرة الطيات ويزين شعورهن بضفائر اللؤلؤ . أما حياتهم فهى الحياة البسيطة القانعة ولكنهم يتميزون بالكرم والسخاء على غيرهم من الشعوب الأخرى فمدينة بخارا (عاصمة بخارى) تقع على نهر زرافشان (صغد) ويقطنها أكثر من (١٠٠٠٠٠) نسمة وتمتاز بموقعها التجارى العظيم اذ تصلها السكة الحديدية غرباً بمرو وقزوين وشرقاً بسمرقند وفرغانة كما تربطها طرق القوافل بمشهد وهرات في بلاد الفرس والأفغان ولذلك تعد بخارا مع طاشقند أهم المراكز التجارية في تركستان . وتشتهر مدينة بخارا بوجود صناعة الحرير والقطن والجلود والأسلحة بها علاوة على وجود أعظم أسواق الأقطان . وقد كانت بخارا عاصمة لبني سامان وولديها الشيخ الرئيس ابن سينا عام ٩٨٠ م ولو عدنا الى تاريخها منذ القدم فالتاريخ يذكر أنها كانت من ممالك دولة الفرس ثم استولى عليها الاسكندر الأكبر في فتوحاته بآسيا وبعد مدة تداولتها دول لم يكن خلالها لهذه المدينة أهمية تاريخية حتى انضمت لأملاك آل عثمان حوالى القرن التاسع الميلادى .

ولوجودها في موقع استراتيجى هام على طرق المواصلات وتوسطها للبلاد فقد استولى عليها جينكيز خان ثم تيمور لنك بعده عام ١٣٧٠ م ثم الأزبك ومن سلالتهم الأمير عالم خان الذى حكم بخارا حتى استيلاء الشيوعيين عليها . ثم بدأت روسيا منذ عام ١٨٥٤م محاولاتها المتعددة في ضمها الى أملاكها ولم تنجح مساعيها في البداية ولكنها استطاعت عام ١٨٦٨ م أن تستولى على مدينتى سمرقند وزرافشان وصغد ومنها تمكنت بعد ذلك من بسط سيطرتها على بقية البلاد عام ١٨٧٣ م وعينت سفيرا لها في بخارا يدير أمورها لصالح دولته .

(عن كتاب في تخطيط الكرة الأرضية لاسماعيل على المصرى ص ٤٨٣)



(دولة العثمانيين)

مقدمة

في عهد جينكيزخان التاتار عام ٦٥٠ هـ وحينما حدثت فتنة كبيرة بين القبائل هاجر من قبائل تركمان مرو شاهجهان بخارى أحد زعمائها (أرطغرل) مع أقاربه ورجاله وحواشيه وكان عددهم (٤٠٠) واتجه بهم الى أراضي أناضول وفي أثناء مرورهم ببورسةوكان ذلك في عهد السلطان علاء الدين السلجوقي وجد ارطغرل قتالاً دائراً بين السلطان علاء الدين وأعدائه من اليونانيين ورأى أن الهزيمة حلت على جنود السلطان وبدأوا يفرون من ميدان القتال وتشاور أرطغرل مع حاشيته وكان من رأيهم أن يكونوا مع المنتصر ولكنه رفض ذلك وقرر أن يقفوا بجانب الفريق المنهزم ويعاونوه ضد عدوه ، وسرعان ما انقلب الآية وتمكن السلطان علاء الدين السلجوقي بمعاونة ارطغرل ورجاله أن يجمع جنوده ثانية ويهاجم أعدائه ويلحق بهم الهزيمة الساحقة . وبعد أن تحقق النصر للسلطان علاء الدين استدعى ارطغرل وسأله عن حقيقة سبب مجيئهم الى أرض أناضو ل فاجابه أرطغرل أنه هاجر مع رجاله من مرو بسبب جينكيز خان وأنه يطلب أن يسمح له السلطان أن يقيم مع رجاله بأحد الأودية حيث يستقرون في حياتهم مع حاشيتهم وأجابه السلطان الى طلبه فاعطاهم جبلا في أحد الأودية ثم طلب منه السلطان أن يتخذ منه أحد أولاده ليكون من رجاله . وأجرى ارطغرل قرعة بين أولاده الثلاثة فكانت القرعة من نصيب ابنه عثمان الذى أصبح من رجال السلطان علاء الدين ومن قواد جيشه .



(عثمان بن أرطغرل) :

بعد أن أصبح عثمان قائداً أرسله السلطان على رأس جيشه الذى هزم التاتار والرومانيين في كل المعارك التي خاضها ضدهم واستطاع أن يغنم من أعدائه غنائم كثيرة ولكنه كان يرسل خمسها فقط للسلطان ويقسم الباقي على جنوده المحاربين مما جعل جنوده يحبونه ويخلصون له في الوقت الذى أصبح السلطان مستاء من أعماله ولما كتب له يسأله لماذا يقسم الغنائم بدون أمره وكيف يرسل له الخمس فقط رد عليه عثمان بأنه ينفذ أمر الله لا أمر السلطان لأن هذه حكم شريعة الاسلام فكان أمر السلطان بأن يفعل ما يشاء ولا يتجاوز أوامر الله .

وتمكن عثمان من فتح بلاد كثيرة واستولى على قلاع حصينة من التاتار والفرنجة وفي أثناء ذلك توفي والده ارطغرل في التسعين من عمره ثم توفي السلطان علاء الدين ولم يترك وريثاله فاجتمع الأعيان وممثلي الشعب واتفقوا على اختيار عثمان سلطاناً على العرش حيث جلس على العرش عام ٦٩٩ هـ وكان عمرّه اذ ذاك ٤٣ عاماً .

واستمرت مدة حكمه ٢٧ عاماً فتح خلالها قره جه حصار من الرومان وفتح قونية وبروسه وتوفي في سن السبعين تاريخ ٧٢٦ هـ ودفن بولاية بروسه .



(أورخان بن عثمان) :

خلف والده على العرش عام ٧٢٦ هـ وكان عمره ٣٩ سنة وعين أخاه علاء الدين وزيراً ونظم ورتب الجيش وسكّ عملة ذهبية وفضية باسم والده والغازى عثمان وكان عاقلاً مدبراً وفتح خلال فترة حكمه ولايات أزنيق وأزميركيوة وسمندرة وفره ناله حتى قرب استنبول كما عيّن ابنه سليمان بادشاه والياً ولما مات أخوه علاء الدين أصبح ابنه سليمان بادشاه وزيراله مكانه ولكنه لم يعش طويلاً اذ سقط يوماً من فوق حصانه فمات ، كان السلطان أورخان شجاعاً وسياسياً ماهراً ودامت مدة حكمه ٣٥ عاماً ومات عام ٧٦١ هـ وكان عمره اذ ذاك ٧٤ عاماً ودفن ببروسه بمقبرة أبيه .



(مراد خان بن أرو خان) :

جلس على عرش والده عام ٧٦١ هـ وكان عمره ٣٥ عاماً وعين خليل بادشاه وخير الدين بادشاه وزيرين وفتح ولاية أنقرة و دارت بينه وبين أمبراطور الرومان(ابيزنطة)باستنبول معارك عديدة تمكن أثناءها من فتح ادرنه وكوبجيلة ودرامه وسيروز وديمونقه ، وقليلة كما فتح ولاية بيغا بالأناضول ، ثم اتفقت المجر والصرب والافلاق على محاربة مراد خان ولكنه هزمهم وشتت جيوشهم ولكن أجله لم يطل فبينما كان يقوم بعد القتال بالتفتيش بنفسه عن جثث الشهداء من جنوده اذ فاجأه أحد الجرحى من جنود الصرب بضربة من خنجره فسقط شهيداً ودفن بقرية جكر وكان عمره ٦٥ عاماً .

وقد كان رحمة الله شجاعاً رحيماً برعيته عطوفاً على علماء بلده ومن أعماله أنه نقل العاصمة من بروسه الى ولاية أدرنه ودامت مدة حكمه ٣٠ عاماً .



(بايزيد بن مراد خان) الملقب بايلدروم أى الصاعقة :

جلس على العرش بعد وفاة أبيه عام ٧٩١ هـ وكان عمره ٤٣ عاماً ، حاصر القسطنطينية ثم عقد صلح بينه وبين القيصر على أن يبنى مسجداً ومحكمة فيها وبعد ذلك جمع الأمير تيمور من بخارا وسمرقند وما حولها ((٢٨٠٠٠٠) ألف مقاتل وهاجم جيش الروم المكون من (١٠٠٠٠٠) مقاتل في بلاد أنقرة وهزمهم وأسر منهم الكثيرين ومات بايزيد وعمره ٥٧ عاماً بعد أن حكم ١٤ عاماً وترك أربعة أولاد هم سليمان حاكماً على أدرنه وعيسى حاكماً على بروصة ومحمد حاكماً على المسية وموسى حاكماً على روم ولكنهم تنافسوا على العرش فتقاتلوا فيما بينهم ١١ عاماً مات خلالها عيسى وسليمان وموسى وبذلك خلا العرش لمحمد الأول .



٥ (سلطان محمد خان الأول) :

جلس على العرش عام ٨١٦ هـ وكان عمره ٢٧ سنة وأسس دولة وفتح عدة ولايات ومات وعمره ٣٥ عاماً ودام حكمه ثمانية أعوام.



٦ (**السلطان مراد خان الثاني**) **بن محمد خان :**

جلس على عرش أبيه عام ٨٣٤ هـ وكان عمره ١٨ عاماً وتمكن من الاستيلاء على أشقودرة وشمالي يانية وسمندرة من الصرب ثم استعاد (منتشاه وكرميان) بعد موت حاكمها وبعد ذلك حاصرت جنوده بلاد مجرستان والبلقان بعد أن اتفق قره مرق أوغلي مع مجارستان على حربه ولما وجد أن هناك ثورة في جميع البلاد فقد أناب ابنه محمد خان الفاتح مكانه على العرش وكان عمره ١٤ عاماً وتوجه بنفسه حيث قاد جيوشه بأرض الروم وقتل كثيراً من جنودهم وقتل حاكم البلاد وتعقب من فر من جنود الأعداء حتى قضى عليهم وعاد الى بلاده منتصراً .

ومات وعمره ٤٩ عاماً ودفن ببروسة بمقبرة أجداده ودامت مدة حكمه ٣١ عاماً .



٧ (السلطان محمد الفاتح بن مراد خان الثاني) :

جلس على عرش والده عام ٨٥٥ هـ وكان عمره ٢٢ عاماً وأعطى ولايات قرامان له جميعها ثم جمع جيشاً لفتح القسطنطينية والهجوم على استحكامان قلعة روم ايلى وحاصر استنبول خمسين يوماً ثم تمكن من فتحها عام ٨٥٧ هـ ، وجعل كنيسة آصوفيا مسجداً للمسلمين وصلى به صلاة الجمعة ثم مكث عشرين يوماً ورجع الى ولاية ادرنة وفتح ولاية عطلة وبنى بجوارها قبر أبي أيوب الأنصارى رضى الله عنه مسجداً ومنارتين وبعد ذلك توجه جنوده الى صربية وفتح ولايات كثيرة ثم فتح البوسنة وهرسك وفي العام التالى استولى تماماً على بلاد الصرب وبعد ذلك فتح ولايات حرة سينوب وطرابزون وأرسل أحمد باشا لفتح ولاية قريم وبفتح ولاية قريم وصلت حدود الدولة العثمانية الى نهر الفرات وأقام أحمد باشا باسمه على ساحل ايطاليا ولاية وكان السلطان محمد الفاتح عالماً ويتحدث بسبع لغات وماهراً بعلم الهندسة ومات وعمره ٥٣ عاماً ودفن بجامع استنبول ودامت مدة حكمه ٣١ عاماً .



٨ (السلطان بايزيد خان الثاني) :

حضر بعد وفاة أبيه من ولاية اماسية عام ٨٨٦ هجرية وكان عمره ٣٥ سنة وجلس على عرش أبيه ، لم تحدث حروب في عهده اللهم الا توجهه بالجيش مرّة الى بغداد ومرة لتأديب آق كرمان وكيلان وفي عهده قدم المسلمون واليهود في أسبانيا عريضة للسلطان مما يتعرضون له من تعب في أسبانيا فأمر كمال باشا مع جنوده باحضار المسلمين واليهود من أسبانّيا الى أراضى استنبول وازمير وسلاذيك ومات بطريق ديموتقة ودفن بجامع ا ستنبول ودام حكمه ٣٢ عاماً .



٩ (السلطان سليم بن بايزيد) :

جلس على عرش أبيه بتاريخ ٩١٨ هـ وكان عمره ٤٦ سنة ثم اتجه ببصره نحو العراق والشام ولم يلبث أن نشب قتال بينه وبين الشاه اسماعيل الصفوى شاه ايران وقامت معركة رهيبة بينهما في صحراء جالديرأن استطاع سنان باشا قائد جيوشه أن يهزم الايرانيين هزيمة ساحقة وقتل عدداً غفيراً من جنودهم وتعقب الفارين منهم وفتح تبريز ثم أمر السلطان سنان باد شاه وعلى بيك بفتح بلاد كثيرة في بران حيث نجحا في ذلك . وبعد مضى الشتاء قاد السلطان سليم جيشه الى بلاد الشام وتمكن من ختراقها بسهولة حتى وصل الى صحراء مرج دابق وهناك تقابل جيشه مع جيش السلطان الغورى الذى قتل في أثناء المعركة وانهزم جيشه وبذلك دخل السلطان سليم منتصراً مصر وبعد أن تم فتح الشام ومصر خضعت البلاد العربية لحكمه بالتدريج فقد أرسل له من الجزائر القائد خير الدين بابا نوسا رسالة بيعة قطاعة كما بعث أمير مكة المكرمة مع ابنه مفتاح الكعبة دليلاً على الطاعة والخضوع . وأصبح السلطان سليم متولياً أمر خلافة المسلمين وكان طيلة حياته ومدة حكمه شجاعاً باسلاً ومديراً ماهراً ذى همة سخياً وشاعراً . ومات عام ٩٢٦ هـ وكان عمره ٥٤ عاماً ودامت مدة حكمه ثمانية أعوام ودفن بمسجده الذى بناه وسماه باسمه .



(السلطان سليمان القانوني) :

هو ابن السلطان سليم وقد تولى العرشعام ٩٢٦ هـ وكان عمره ٢٦ عاماً وقد قاد جيشه الى بلاد
ـرب وفتح عاصمتها بلجغراد وقتل حاكمها ذلك بسبب قتل رسول له الذى أرسله لتلك البلاد
ـد ذلك استولى على رودس وضمها الى الدولة العثمانية كما فتح بعد ذلك عدة بلاد تابعة للفرس
ستريا وفرنسا وضمها لدولته .

وقد وضع السلطان سليمان قوانيناً ونظماً ولذلك سمى بسليمان القانوني ، وبعد أن فتح ولاية
ـتوار مات وعمره ٧٤ عاماً بعد أن حكم مدة ٤٨ عاماً ودفن بجامع السليمانية باستنبول .



(١) (السلطان سليم الثاني) :

جلس على عرش والده عام ٩٧٤ هـ وكان عمره ٤٥ عاماً وقد أتم فتح بلاد اليمن التى كان والده قد بدأها وكان قد أرسل جيوشاً بقيادة عثمان باشا وتوجه سنان باشا لهذا الغرض . ثم قاد جنوده لفتح بلاد القريم وبعد أن فتح قزان أجرى صلحاً بعد أن توسط قيصر روسيا ولما عاد الى عاصمته بعث حملة بقيادة مصطفي باشا الى جزيرة قبرص حيث تم الاستيلاء عليها بعد حرب دامت ثلاثة شهور كما فتحت تونس في عهده وتوفي بالسكتة القلبية أثناء استحامه بعد حكم دام ثمانية سنوات وكان عمره ٥٣ عاماً .



(١٢) (السلطان مراد الثالث) :

جلس على عرش والده عام ٩٨٢ هـ وكان عمره ٢٩ عاماً وكان مستشاره الصدر الأعظم محمد باشا وعلى وجه التأكيد حدث في عهده ن حكام بورتكيز هجموا ثمانين ألف جندى وثلاثمائة مدفع على بلاد فارس فأرسل اليهم جيشاً بقيادة رمضان باد شاه حيث التقي بهم في وادى البتل وحدثت معركة شديدة قتل فيها حاكم بورتكيز وهزم جيشه ودخلت بلاد فارس تحت حماية الدولة العثمانية ، كما استطاع لا لا مصطفي باشا بجنوده أن يستولى على نفليس وضمها مع انحائها للدولة العثمانية ، كما استولى عثمان باشا في عهده على شيروان وانحائها ببلاد ايران وضمها أيضاً الى الدولة العثمانية .

ومات السلطان مراد الثالث وعمره خمسون عاماً بعد أن حكم ٢١ عاماً ودفن بمقبر والده .



(١٣) (السلطان محمد الثالث) :

تولى الحكم عام ١٠٠٣ هـ وعمره ٢٩ سنة وفي عهده ثارت بلاد الافلاق والمجر فارسل محمد باشا بن الصدر الأعظم سنان باشا بجيش الى بلاد الأفلاق مجرستان وقاد هو بنفسه جيشاً الى الأفلاق ولكنه لم يفز بنتيجة في قتاله مع الأفلاق كما هزم محمد باشا من مجارستان فعزل ولده سنان باشا الصدر الأعظم من منصبه وعين بدله زوج ابنته ابراهيم باشا وأرسل على رأس الجيش الى مجارستان ، واستطاع ابراهيم باشا فتح بلاد مجارستان كلها خلال ثلاثة شهور توجه بعدها الى بلاد الأفلاق وفتح بلاد قانيزه وولى حسن باشا حاكماً عليها وفي تلك الفترة خرجت جماعة قطاع الطرق تدعى حصاية جلالى من الأناضول واشعلت الحرائق في البلاد واستغل شاه ايران عباس الصفوى هذه الفرصة فاسرعت جنوده واستولوا على تبريز وبينما كان السلطان محمد يعبئ قواته للدفاع ضد هذا الهجوم وافته المنية فمات وعمره ٣٧ عاماً بعد أن حكم ٩ سنوات ودفن في اياصوفيا .



(١٤) (السلطان أحمد) :

تولى العرش عام ١٠١٢ هـ وقيل عام ١٠١٤ هـ وكان عمره ١٤ عاماً وبعد جلوسه على العرش أرسل ياوز علي باشا مع جيش الى بلاد الافلاق كما بعث سنان باشا الى ايران لكن سنان باشا توفي بدياربكر أثناء سفره ولم يتيسر لياوز علي باشا فتح الأفلاق وأشار الصدر الأعظم مراد باشا باجراء معاهدة حيث تم توقيعها لمدة ٢٠ عاماً ثم قاد الصدر الأعظم جيشه حيث توجّه الى الأناضول لتطهيرها من قطاع الطرق فقتل كثيرين منهم ثم زحف الى بلاد ايران ففتح تبريز ولكن توفي وهو في طريقه الى ايران بدياربكر وكان عمره ٨٥ عاماً و تولى منصب الصدارة مكانه نصوح باشا الذى رأى الأفضل للدولة العثمانية عقد صلح مع شاه ايران على أن تدفع ايران جزية سنوية تعدد بمائتي بالة من الحرير ، وبعد أن عاد الصدر الأعظم من تبريز توفي السلطان أحمد عام ١٠٢٦ هـ وعمره ٢٨ عاما بعد أن قضى للحكم ١٤ عاماً . وكان السلطان أحمد تقياً ورعاً وحاكماً عاقلاً وكان صاحب خير واحسان وقد أهدى مسجد الرسول ﷺ بالمدينة المنورة حجراً ثميناً من الماس يشع منه ضوء باهر في الظلام أطلق على هذا الحجر (الكوكب الدرى) وقد علق في الحجرة النبوية بالمسجد كما بنى مسجد ومدرسة لها ست منارات بميدان استنبول وقد دفن بمقبرة خاصة به وجميع خزائنه وتحفه الثمينة موجودة بمتحف استنبول .



(١٥) (السلطان مصطفي) :

هو شقيق السلطان أحمد وقد تولى الحكم بعد أخيه وعمره ٢٦ عاماً ولكنه لم يستمر في الحكم اذ ترك منصبه. برغبته بعد عام واحد من توليه الحكم .



(١٦) (السلطان عثمان الثاني) :

هو ابن السلطان أحمد وقد جلس على عرش والده عام ١٠٢٧ هـ وكان عمره ١٤ عاماً وفي عهده فتحت بلاد لهستان (بولندة) وأسر فيها عدداً كبيراً وفتح أيضاً بلاد خونين ثم عقد صلحاً مع شعب لهستان وعاد الى استنبول عام ١٠٣٠ هـ وفي تلك الفترة استولى شاه ايران على أجزاء من العراق ولكن الشتاء كان شديداً والحر متجمداً فلم يتمكن من ارسال قوة هجوم شاه ايران وقد توفي وعمره ١٨ عاماً ودامت مدة حكمه ٤ سنوات ودفن بجوار والده .



(السلطان مراد الرابع بن السلطان أحمد) :

جلس على العرش عام ١٠٣٢ هـ وعمره ١٢ عاماً ولصغرسنه فقد تولت والدته (مابيكر) أمور الدولة وأشرفت على تصريف شئونها بمعاونة من اختار بهم من الحكماء والعقلاء وظلت تقوم بهذه المهمة باقتدار مدة ثماني سنوات ، حتى بلغ السلطان مراد العشرين من عمره فتسلم زمام الحكم وقيادة الجيوش بمهارة وحكمة . وكان يخرج بنفسه ويمر على أسواق المدينة ويفاجئ شوارعها ومقاهيها فيمنع كل ما يخالف الشريعة الاسلامية ويغلق المحال التى تخالف تعاليمها مما جعل النظام والأمن والآداب تسود البلاد وتحترمها الرعية ، ثم قاد جيوشه ففتح تبريز وشيروان وأسر كثيراً من جنود ايران وعاد الى بلاده . حيث نظم جيشه وأعاد اعداده وفي العام التالى استعاد العراق من شاه ايران وكان يتقدم جنوده في المعارك مما جعل أهل بغداد يذكرونه في الخطبة بفاتح بغداد وكان ذلك السلطان الشجاع يجمع الى منصبه منصب وزير الحرب فكان يرعى بنفسه شئون الجيش ويعنى بهوداه وجنوده بنفسه . ومات وعمره ٢٩ عاماً وحزن عليه البلاد جميعها وبكاه كل رجال الدولة وجميع طبقات الشعب . ودفن بجوار والده رحمة الله عليه .



(١٨) (السلطاَن ابراهيم بن السلطان أحمد) :

تولى الحكم عام ١٠٤٩ هـ وكان عمره ٢٥ عاماً وكان مستشاره الصدر الأعظم قره مصطفي باش الذى ظل في وظيفته ٢٣ عاماً ومات في عهد السلطاَن ابراهيم وبعد ذلك أصبحت الصدارة يتولاها أشخاص ضعاف ليست لهم كفاءة السابقين . ومع ذلك فقد بعث السلطاَن ابراهيم وزير حربيته يوسف باشا مع خمسين ألف مقاتل و ٣٥٠ سفينة حربية لفتح اليونان وبعد ٥٠ يوماً استولى الجيش على ولاية حانية فطلبت اليوناَن اجراء معاهدة صلح مدتها ٢٥ عاماً وتنازلت عن جزيرة ندوك للدولة العثمانية .



(١٩) (السلطان محمد بن السلطان ابراهيم) :

جلس على عرش أبيه وعمره سبع سنوات عام ١٠٥٨ هـ وكانت جدته (ماه بيكر) وصية عليه وحدث حينذاك خلافات بين رجال الجيش ورجال الحكومة وكانت الصدارة لا تدوم لأحد فكان الصدر الأعظم يعزل من منصبه بعد أن يتولى المنصب بوقت قليل ويعين غيره مكانه وهكذا وكانت ماه بيكر يضيق بأعمالهم وتعاقب الكثير منهم حتى أنها أمرتهم ذات مرة بامداد القوة الموجودة في اليونان بقوات كافية ولكنهم لم يفعلوا مما أطمع اليونان في ارسال جيشها الذى تمكن من تخطى حدود ندوك الى بغازجناق قلعة . وأسرعت ماه بيكر بتعيين كوبريلي محمد باشا صدرا أعظم وكان عمره سبعين عاماً ولكنه كان حليماً عاقلاً فقام باصلاح أحوال الدولة ونظم شئونها وعين في المناصب الهامة العقلاء وأهل الشجاعة والدراية والمعرفة ثم أمر بسرعة في بوغاز البحر المتوسط باحراق جميع أوراقهم الكبيرة والصغيرة واستولى على جزيرة (بوزجة) ثم على حدود ندوك وبذلك اخلى البوغاز تماماً من زوارق العدو ولكنه بعد ذلك توفي عام ١٠٧٢ هـ وتولى ابنه فاضل أحمد باشا منصبه وكان مثل أبيه حازماً شجاعاً حكيماً فنظم جنوده وهاجم بها المجر واليونان ورغم معاونة فرنسا لليونان فقد استطاع بجيشه هزيمتهم مما اضطر المجر واليونان الى عقد معاهدة وكان ذلك انتصاراً عظيماً جعل السلطان محمد يقيم

حفلا باهراً عندما وصل الخبر ، ولكن فاضل باشا لم يهدأ فقد استولى بعد ذلك على كريد وأخلى السكان من الجزيرة وأصبحت ملكاً للدولة العثمانية وبعد ١٥ عاماً توفي الى رحمة الله وتولى بعده مصطفي باشا صدرا اعظم فأكمل ما بدأه سلفه فقاد جنوده الى بلاد اوستريا (النمسا) وأثناء حصاره لعاصمتها حدثت فتنة بين الجنود ومات وهو يحاصر بلغراد وفي ذلك الفترة اتفقت روسيا وكريت واوستريا وتمكنت جيوشهم من الاستيلاء على بعض أراضي الدولة العثمانية . وأثناء ذلك استعفي

السلطان محمد من سلطنته بعد حكم دام ٤١ عاماً ومات بعد ذلك بأربع سنوات وعمره ٥٣ عاما وكان السلطان محمد رحمة الله شفوقاً حليماً متديناً وعادلاً وكان يحب الصيد ولذلك سمى بالسلطان الصياد .



(٢٠) (السلطان سليمان الثاني) :

هو شقيق السلطان محمد الرابع وقد جلس على العرش بعد استفتاء أخيه عام ١٠٩٩ هـ وكان عمره ٤٧ عاماً وفي عهده قامت فتنة بين الجند النظامية والجند الغير النظامية وتقاتل الجانبان في استنبول وانتهز العدو هذه الفرصة وهاجم بجيوشه جميع حدود الدولة وأسرع السلطان بالقبض على رؤساء الجانبين وأمر بقتلهم جميعاً ثم عين (كوبريلى زاده مصطفي) باشا الصدر الأعظم الذى استطاع اصلاح شئون الدولة . وجمع الصدر الأعظم جنود الطرفين وأصلح بينهم ثم نظمهم وأسرع بهم لمقابلة الأعداء وتمكن من طردهم من نهر طونة ومات السلطان سليمان الثاني بعد حكم دام ثلاثة عشر سنة وكان عمره ٥٠ عاماً ودفن بمدافن السليمانية .



(٢١) (السلطان أحمد الثاني) :

جلس على عرش أخيه عام ١١٠٢ هـ وكان عمره ٤٩ عاماً وفي عصره كان الصدر الأعظم مصطفى باشا يخوض القتال مع جنوده ضد الأعداء على حدود البلاد ولكنه استشهد في الميدان فتفرق جنوده وكانت فرصة لجنود العدو .

وفي أثناء ذلك توفي السلطان أحمد الثاني وكان عمره ٥٠ عاماً وكان قد حكم أربع سنوات ودفن بمقابر والده السلطان أحمد رحمة الله عليه .



(٢٢) (السلطان مصطفي الثاني) :

جلس على عرش والده عام ١١٠٦ هـ وكان عمره ٣٢ عاماً ثم أرسل خمسين ألف جندى بقيادة كوبريلى عموجه زاده حسين باشا الذى جمع زوارق أهالى جزيرة كريت الموجودة في البحر وطردها خارج البلاد (البحر) ثم استولى على جزيرة (ساقز) و (بلفوز) وفي العام التالى قاد السلطان مصطفي جيوشه بنفسه وهاجم أوستريا وهزمها ثم توجّه الى روسيا بعد عودته حيث . استولى على قلعة آزاق وبعد ذلك سار على رأس خمسين ألف مقاتل الى بلاد المجر ولكنه هزم هناك فقام عموجة زاده حسين باشا الذى أصبح الصدر الأعظم بعقد معاهدة بين الدول جميعا وبذلك هدأت الأمور بينها .



(٢٣) (السلطان احمد الثالث)

جلس على العرش عام ١١١٥هـ وكان عمره ٣١ عاما وفي عهده تمكن قيصر روسيا (بيترويسكى) من هزيمة (اسويجرا) الذي فر حاكمها ولجأ الى قلعة بندر التابعة للسلطان العثماني وطلب المعونة ضد الروس وفي ذلك العام ١١٢٤هـ بعث السلطان احمد الثالث جيشه بقيادة الصدر الاعظم محمد باشا لمحاربة قيصر الروس بيترويسكي وعبر الجيش نهر بيروت وهزم الجيش الروسي ووقع القيصر اسيرا في يد الجيش العثماني ولكن زوجته كاترين تدخلت لتدبير فك زوجها قيصر روسيا من الاسر وبسياستها الماهرة استطاعت عقد معاهدة قبلت بمقتضاها روسيا عدم مرور سفنها الحربية وزوارقها بقره ديكيز والا تتعرض لاي ارض عثمانية ووقعت المعاهدة بينها وبين الصدر الاعظم محمد باشا ولكن السلطان احمد الثالث غضب منه وعزله من منصبه وعين مكانه علي باشا صدرا اعظم . وقاد السلطان بنفسه جيوشه ضد روسيا مع اردوى همايوني واستولى على بلاد مورة واستشهد اثناء القتال الصدر الاعظم علي باشا ثم عقد الطرفان معاهدة فيما بينهما وعاد السلطان الى استنبول ، وفي تلك الاثناء استطاع نادر

شاه ان يستولي على الحكم في ايران ثم قاد جيوشه واستولى على تبريز وواصل هجومه الى بغداد في العراق فاسرع السلطان احمد بارسال القائد ابراهيم باشا بجيش ضد هجوم نادر شاه حيث استمرت الحرب بين الجيشين تمكن نادر شاه في نهايتها من هزيمة ابراهيم باشا . في تلك السنة انشأ السلطان المطبعة التركية باستنبول ترك السلطان احمد الثالث العرش بعد حكم دام ٢٨ عاما وبعد ست سنوات توفي الى رحمة الله تعالى وكان قد بلغ من العمر ٦٥ عاما ودفن بمقابر والده .



(٢٤) (السلطان محمود)

جلس على عرش البلاد عام ١١٤٣هـ وعمره ٣٥ عاما ولم يلبث ان حارب روسيا وبلغاريا واستولى على قلعة آزاق وبلاد سمندرة وبلغراد وقلعة آطة ثم فتح بلاد الصرب وبعدها استدار نحو ايران فاستولى على تبريز وعقد معاهدة مع ايران حدد فيها الحدود بين المملكة مع تنفيذ المعاهدة السابقة بينهما بارسال مائتى جمل حرير كل عام الى استنبول . وعاد السلطان الى استنبول حيث أسس اربع مكتبات بها ثم عين سفيرا لكل دول اوربا .

في يوم الجمعة وبعد ان ادى فريضتها مات بالسكتة القلبية بعد حكم دام ٢٥ عاما وكان عمره ٦٠ عاما ودفن بالمسجد الجديد .



(٢٥) (السلطان عثمان الثالث)

جلس على العرش عام ١١٦٨هـ وكان عمره ٥٦ عاما ولم تحدث في عهده حروب ولكن حريقا كبيرا شب في العاصمة عام ١١٧١هـ والتهمت الحريق فيه (٢٤٠٠٠) بناية ، وتوفي السلطان عثمان الثالث وعمره ٥٩ عاما بعد حكم دام ١٣ عاما بعد ان حكم ٣ سنوات ودفن بمقبرة والده .



(٢٦) (السلطان مصطفي الثالث)

جلس على العرش عام ١١٧١هـ وكان عمره ٤٢ عاما وفي تلك الفترة اصبحت كاترينا قيصرا على روسيا بعد زوجها (بيترويسكي) وكانت جيوشها قد زاد عددها فهاجمت جميع جيرانها ومن البلاد التى هاجمتها الجيوش الروسية كانت لهستان التى كانت تحت الحماية العثمانية واستولت الجيوش الروسية على قلعة خوتين ، فامر السلطان مصطفي القائد خليل باشا بصد الهجوم الروسى فاسرع جنوده وكان منهم نظاميون والباقي غير نظاميين حتى وصل بلاد الافلاق حيث القتال بين الجيشين في صحراء قره تال وكاد الجيش العثماني ان ينتصر ولكن الجنود الغير النظاميين هربوا من ميدان القتال فامر الصدر الاعظم جنوده النظاميين بالتحصن في سفح جبل باية طاغ ولكن الروس مروا من بحر البلطيق الى البحر الابيض ودمروا جميع البواخر الحربية العثمانية واصبح الروس في البلقان واثناء ذلك توفي السلطان مصطفي الثالث وعمره ٥٨ عاما بعد حكم استمر ١٦ عاما .



(٢٧) (السلطان عبد الحميد الاول)

تولى العرش عام ١١٨٧هـ وكان عمره ٥٠ عاما وفي عهده كثرت الفتنة وعم الفساد ودارت الدائرة على الجيش العثماني في حربه مع روسيا كما استقل حكام القريم كل بولايته ، كما تم الصلح بين قلعة آزاق وقلعة ينكي ونهر آقسو وبين الروس . وكانت تلك النكبات التى حلت بتركيا بسبب الاهمال واعمال الشغب التى قام بها الجنود الغير نظاميين كما قامت في عهده ثورة في الشام بقيادة الشيخ ضاهر العمر وفي مصر ثورة اخرى بقيادة على بيك الكبير وارسل السلطان عبد الحميد قائده حسن باشا لتأديب الثوار في الشام ومصر حيث نجح في مهمته وكانت كاترين قيصر روسيا قبل استقلال حكام القريم بولاياتهم قد ارسلت حاكما عليهم جميعا رسميا (شاهين كراى خان) ولكن بعد ستة شهور انتهى حكمه فجأة وهرب شاهين كراى الى استنبول حيث قبض عليه السلطان عبد الحميد وحكم بقتله . وكان المسلمون الاتراك في حزن واسى لما حدث ببلاد القرم خصوصا حينما بدأت روسيا عام ١٢٠١هـ تعبئ جيوشها بالقرم وتتخذ فيها قاعدة للهجوم على الدولة العثمانية بالاتفاق مع اوستريا ووضع السلطان خطة فامر الصدر الاعظم يوسف باشا قوجه بان يسرع لمهاجمة اوستريا . وفعلا استولى الصدر الاعظم على بوغاز مهاوية فهرب الجنود الاوستريا (النمساويين) ثم استولى على بلاد

ديدن وبلغراد وعبر نهر طونه وفتح يانجوه ويانات وغنم غنائم عظيمة منها ٨٠ مدفعا واراد الصدر الاعظم ان يقضى على البلغار تماما من البلاد ولكنه كان مشغول الفكر من ناحية روسيا التى كانت جيوشها وقتذاك قد استولت على قلعة ياش وخوتين واذاق وقتلت من الاهالي كثيرين . وحزن السلطان عبد الحميد عند سماعه تلك الانباء المحزنة فمات عام ١٢٠٣هـ ودام في الحكم ١٦ عاما ودفن في مدافن الحميدية .



(٢٨) (السلطان سليم الثالث)

جلس على كرسى العرش عام ١٢٠٣هـ وعمره ٣٨ عاما فاسرع الى ارسال الامدادات الحربية لجيوشه في الميدان ولكن الاعداء كانوا يزدادون في عددهم وعدتهم وتمكنوا من حصار ولاية بندر وآق كرمان وحاول الجنود العثمانيون عبور نهر طونه لانقاذ هذه البلاد ولكن الروس تمكنوا من الحاق الهزيمة بهم واستولت جيوشهم على هاتين الولايتين ثم حاول الروس فتح قلعة اسماعيل ولكن حاميتها قاومت مقاومة باسلة لمدة ستة شهور وبعد ذلك تمكن الروس من احتلال القلعة وقتلوا الكثير من اهالي البلاد واثناء ذلك توجه الصدر الاعظم يوسف قوجه باشا بجنوده النظاميين الى (ماجين) حيث دار القتال شديدا وقتل كثير من الروس واصبحت هزيمة الروس قريبة ولكن فجأة وصل نبأ سيئ اذ كانت بروسيا واسو يجرا قد تعهدتا بارسال معاونة ومساعدات ولكنهما لم يفعلا بل ايضا حدث صلح بينهما وبين روسيا بشرط عدم دخول اوستريا الحرب وبذلك لم يتحقق للسلطان ما كان يريده من مداومة القتال مع روسيا .

بعد الصلح استعان السلطان سليم الثالث بخبراء وضباط من دول اوربا لتدريب جيشه على النظم الحديثة وصناعة المدافع من الطراز الجديد وادخل علوم الهندسة والخرائط وافتتح مدرسة بحرية ونظم الجيش على أسس علمية وفي تلك الفترة توجهت حملة عسكرية فرنسية بقيادة نابليون بونابرت الى مصر عام ١٢١٣هـ وكان هدفه قطع طريق انجلترا الى مستعمراتها في الهند ولكن انجلترا فهمت مقصده واتفقت مع الدولة العثمانية على افساد خطة الفرنسيين . وتمكنت الجيوش العثمانية بقيادة الصدر الاعظم يوسف باشا وبمساعدة الاسطول العثماني بقيادة حسين باشا وساندهما الاسطول الانجليزي وقوات برية انجليزية من محاصرة الحملة الفرنسية التى اضطرت الى التسليم والرحيل عن مصر التى عادت تحت الحكم العثماني وعاد يوسف باشا الصدر الاعظم الى استنبول . وفي عام ١٢١٩هـ ولى السلطان سليم الثالث محمد علي واليا على مصر وفي تلك الفترة قام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بدعوته في نجد ونجح بمساعدة الامام محمد بن سعود في نشر الدعوة في انحاء الحجاز . وحدث كذلك ان نابليون بونابرت الذي كان قد ترك الحملة الفرنسية في مصر وغادرها الى فرنسا قد اصبح امبراطورا على فرنسا وارسل للسلطان مظهرا صداقته ولكن روسيا حاولت قطع طريقهم باحتلال قلعة خوتين وبندر وارسلت للسلطان تخبره برد قلعة خوتين وبندر اليه اذا قطع علاقته بفرنسا كما ارسلت اليه انجلترا ايضا رسالة بذلك وانه اذا لم يقبل ذلك فستكون الحرب بينهما قائمة ورفض السلطان طلب انجلترا ولكنها ارسلت اليه انذارا يتضمن انه اذا لم يخرج السفارة الفرنسية من استنبول في ظرف ٢٤ ساعة ستعلن عليه الحرب . ورفض السلطان انذار انجلترا واستعد لمقابلة الانجليز بجيش كبير مزود بالف مدفع . ولكن الجيش الانجليزي عاد الى بلاده عندما علم بذلك وكان قد مضى على الانذار سبعة ايام . وبعد ذلك توجه الصدر الاعظم ابراهيم حلمي باشا من استنبول بجنوده الى بلاد طونه وترك مكانه كوسه موسى باشا للقيام بمهام الدولة ومعاونة السلطان باستنبول .

وقد جاهد السلطان في زيادة عدد الجنود المنظمين المدربين وادخال النظم الجديدة كما امر بزيادة رجال الامن في شوارع استنبول لمواجهة حوادث التمرد والعصيان التى كان يقوم بها رجال الجيش الغير النظامي والذي كان السلطان يحاول الغاءه . وحكم السلطان سليم الثالث ١٩ عاما ثم استعفي من الحكم وبعد عام واحد من استراحته توفي الى رحمة الله تعالى وكان عمره ٤٧ سنة ودفن بجوار والده رحمة الله عليه .



(٢٩) (السلطان مصطفي الرابع)

جلس على العرش وعمره ٢٩ عاما ولكنه مات بعد عام واحد ودفن بمقبرة الحميدية .



(٣٠) (السلطان محمود الثاني بن السلطان عبد الحميد الاول)

السلطان محمود تولى الحكم عام ١٢٢٣هـ وكان عمره ٢٤ عاما وعين مصطفي علمدار باشا صدرا اعظم وقد استطاع السلطان محمود ان يقيم نظاما جديدا في الجيش على احدث الاساليب العلمية الحديثة وتمكن من اخماد فتنة الجنود الانكشارية وقتل جميع زعمائهم . وفي اثناء ذلك اتفقت فرنسا مع روسيا على حرب الدولة العثمانية ، وتمكن الروس من الاستيلاء على الافلاق والبغدان وقلاع كثيرة في طريقه ثم عبر نهر طونه واستولى على يالته فعقد معهم السلطان محمود معاهدة اعطى روسيا بموجبها قلعة خوتين وبندر عام ١٢٢٧هـ

واثناء ذلك قامت بعض الولايات الداخلية بثورات على حكم العثمانيين وقتل الثوار بعض ولاتهم وغيروا البعض الآخر. وفي عام ١٢٤١هـ اصدر العلماء فتوى بجواز قتل المتمردين من الجنود الانكشارية وتمكن حسين باشا اغا بالقضاء عليهم ، وتم تشكيل نظام جديد من الجنود سمي (جنود المنصورة المحمودية) واصبح قائدا لهم حسين باشا اغا .

وفي نفس الوقت قام اليونانيون بثورة ضد السلطان وساعدهم على ذلك وقوف انجلترا وفرنسا
بهم وقد طلبتا من السلطان منع اليونان استقلالها ولكن السلطان رفض طلبهما وارسل جنوده
ماد الثورة بمعاونة جنود محمد علي باشا والي مصر ولكن الجيوش التركية والمصرية هزمت بسبب
خل الدول الاجنبية في القتال ضدهما واغرق الاسطول التركي والمصري في نافارين واضطر السلطان
ـ صلح اخذت بموجبه اليونان استقلالها . ولم تكد الحرب تنتهي حتى تمرد محمد علي باشا والي
ر على السلطان ورفض نصيحته التى تكررت برجوعه تحت حكم السلطان واعلن استقلاله بمصر
ـ السلطان ارسال حملة لتأديبه حيث بعث بها عام ١٢٤٨هـ وعلى رأسها اغا حسين باشا وزير
بية عن طريق الشام ودار القتال بينهما سبع سنوات كانت الهزائم تتوالى فيها على الجيش التركي وفي
، تلك المدة توفي السلطان محمود الثاني ودفن بطريق الديوان وكان عمره ٥٦ عاما وحكم مدة ٢٣
.



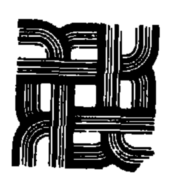
(٣١) (السلطان عبد المجيد)

جلس على العرش عام ١٢٥٥هـ وعمره ١٨ عاما وكانت جيوش محمد علي باشا والي مصر قد استولت على بلاد الشام كلها . وتخطت حدود تركيا نفسها واسرعت دول اوربا تقف بجانبه وعلى رأسها انجلترا وارسلوا انذارا الى محمد علي باشا لسحب جيوشه ولكنه رفض فهاجمت سفنهم الحربية سواحل الشام ومصر وتقدم الصدر الاعظم حسين باشا على رأس جيش تركي كبير العدد الى بلاد الشام فاضطر ابراهيم باشا ابن محمد علي للانسحاب بجيشه الى مصر.

واضطر محمد علي باشا الى قبول المعاهدة التى وضعت في لندن عام (١٨٤٠)م والتى نصت على جعل ولاية مصر لمحمد على باشا ثم لذريته من بعده وسافر بعد ذلك محمد علي باشا الى استنبول لزيارة السلطان دليلا على الاخلاص وحسن النية ثم عاد الى مصر حيث استمر في الحكم في اسرته حتى تولى الحكم الملك فاروق وفي عهده قامت الثورة يوم ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ وانتهى بقيامها حكم اسرة محمد علي باشا واصبحت مصر جمهورية برئاسة جمال عبد الناصر بعد محمد نجيب وفي اثناء حروب السلطان مع محمد علي باشا قامت حرب بين المجر وبلغاريا واستنجدت المجر بالسلطان العثماني

واستنجدت بلغاريا بروسيا وتدخلت اوستريا فطلبت من السلطان عبد المجيد عدم التدخل لمساعدة المجر والا اشتركت مع روسيا في حرب ضده فرفض السلطان طلبها . وارسلت روسيا قوة كبيرة من الجنود بقيادة الجنرال (قور جاقوب) الذي عبر بجيشه نهر بيروت ودخل ولاية الافلاق والغدان عام ١٢٧٠هـ واحرق البواخر الحربية التركية ووصل الى جتانه وهناك انتصرت عليه القوات العثمانية كما ساعدت انجلترا السلطان العثماني ببواخرها الحربية التى عبرت بحر البلطيق وهاجمت السواحل الروسية ودمرت سفنها الحربية . واخيرا عقد صلحا بين السلطان وروسيا عام ١٢٧٠هـ .

كما قامت بينه وبين جميع دول اوربا روابط صداقة حيث اتجه اهتمامه بعد ذلك للاصلاحات الداخلية وتنظيم شئون الدولة وتقوية الجيش . وبعد ان حكم ٢٢ عاما توفي الى رحمة الله تعالى وكان عمره ٤٠ عاما ودفن بمقبرة بناها لنفسه ومن اعماله الخالدة انه فتح بابا للحرم الشريف النبوي بالمدينة المنورة وسمي هذا الباب باسمه .





(٣٢) (السلطان عبد العزيز خان)

هو شقيق السلطان عبد المجيد خان وجلس على عرش اخيه عام ١٢٧٧ هـ وكان عمره ٣٦ عاما ولم يكن مهتما بشئون البلاد بل كان يميل الى اشباع نفسه بترف الدنيا ، فقامت الثورات وانتشرت الفتن في البلاد واصبحت الدوله مهددة بالانقراض وبعد ستة عشر عاما من حكمه وكانت الامور قد ساءت اجتمع الامراء والعلماء واعيان الدولة وخلعوه من العرش واجلسوا مكانه السلطان مراد خان الخامس ابن السلطان عبد المجيد . وكان السلطان عبد العزيز كثير التبذير مما ادى الى افلاس خزائن الدولة بل واستدان من دول اخرى قروضا ضخمة تسدد على عشر سنوات وصرفها ايضا على ملذاته . ولما خلع من عرشه وسجن طلب من حارسه ان يعطيه موسى للحلاقة ومرآة ثم اغلق على نفسه الباب وقطع شرايين يده ، وعندما نظر الحارس من نافذة المكان بعد وقت وجده غارقا في دمائه فاسرع ليخبر والدته التى اسرعت بالحضور ومعها الاطباء الذين قرروا عدم جدوى علاجه ومات ودفن بمقبرة والده .



(٣٣) (السلطان مراد الخامس)

جلس على العرش عام ١٢٩٣هـ وكان يخيم على استنبول الضيق والتوتر بسبب ما كانت تعانيه البلاد من فساد ورشوة وافلاس الخزينة ولم يستمر السلطان مراد في الحكم اذ اصابه جنون وخلل في عقله ولم يستطع الاطباء علاجه فقرر كبار رجال الدولة خلعه بعد ثلاثة وتسعين يوما وجلس على العرش اخوه السلطان عبد الحميد الثاني .



(٣٤) (السلطان عبد الحميد الثاني)

جلس على العرش عام ١٢٩٣هـ وكان عمره ٣٨ عاما واحتفل الاهالي بجلوسه على العرش ثلاثة ايام اطلقت المدافع اثناها وزينت الاسواق والشوارع بالاعلام الملونة واضيئت بالانوار ثم استمرت الاحتفالات اسبوعا حيث رزق السلطان بمولود في اليوم الرابع وكان عيد ميلاده في اليوم الخامس وهكذا تمتع اهالي استنبول بايام سعيدة شاركهم فيها بعض الوحدات من الجيش العثماني ، وفي خلال ذلك الاسبوع كان السلطان منهمكا في مراجعة حسابات الدولة ونفقتها ونظمها ثم امر بتخفيض المصروفات وعين لامور الدولة الهامة (جلال الدين باشا) زوج بنت السلطان محمود وغالب باشا وزيرا للمالية وكان من النفقات التي امر بتوفيرها تخفيض نفقات مطابخ الحكومة الى عشرين الف ليرة عثماني بعد ان كانت اربعين الف ليرة وهكذا خفض جميع النفقات ، وكانت من نتيجة ذلك زيادة دخل الدولة (١٥٠٠٠٠) ليرة ذهبية . كما ان اوربا كانت قد استولت على معظم ولايات الدولة العثمانية فنقص عدد الرعية الخاضعين للدولة من مائة مليون نسمة الى تقريبا ٤٥ مليون نسمة فقط وكانت قد تدهورت الدولة قبل حكم السلطان عبد الحميد بسبب تولي شبان لا تجارب عندهم ولا دراية باساليب الحكم وليس لديهم من حكمة اهل التدبير والحكمة والرأي . وقد تولى السلطان عبد الحميد الثاني امور الحكم على شرط تعهد به انه في حالة شفاء السلطان مراد الخامس من جنونه فانه

يعود لتولي الحكم ولكن الله قدر واراد ان يستمر مرض السلطان مراد حتى مات به وعمره ٢٨ عاما ودام حكم السلطان عبد الحميد ٣١ عاما وكان ميالا لتصريف الامور بنفسه لا يعتمد على احد لتشككه فيمن حوله . وبسبب فتنة تطالب بالحرية من افراد الشعب خلع من السلطة واجلس مكانه اخوه السلطان محمد رشاد خان .



(٣٥) (السلطان محمد الخامس محمد رشاد خان)

جلس على العرش عام ١٣٢٤هـ وكان عمره ٦٥ عاما ومنذ جلوسه على العرش قامت امامه مشاكل خارجية كثيرة. فقد قام الامام يحيى والشيخ ادريسى باليمن بحرب ضد الجيش العثماني استمرت سنتين تكبدت تركيا فيها اموالا كثيرة وفقدت جنودا كثيرين ثم تدخل في الامر العلماء ورجال فضلاء من الحجاز لاصلاح ما بينهما. كما هاجمت ايطاليا سواحل ليبيا وحاولت جيوشها احتلال طرابلس الغرب ولكنها فوجئت باستبسال العثمانيين في الدفاع عنها مدة ١٣ شهرا فعقدت صلحا مع الدولة العثمانية ولكنها عادت وتمكنت من احتلال ليبيا وفي اوربا قامت بلغاريا والعرب وجورنا كوريه واليونان بايعاز من الدول الكبرى في اوربا بالحرب ضد الدولة العثمانية وحاربت الجيوش التركية في عدة جهات وبعد اربعة اشهر تدخلت الدول الكبرى لعقد صلح ولكن السلطان محمد رشاد لم يقبل الصلح وكان ذلك في غرة ربيع الاول عام ١٣٣١هـ فتجددت الحروب بينهم. ومن جهة اخرى قام الانجليز خلال الحرب العالمية الاولى بمؤامرات ماكرة في الجزيرة العربية التى اصبحت مركزا لمؤامراتهم فصرفوا الاموال بسخاء على رؤساء القبائل العربية ووعدوهم بالوعود الخلابة

وشجعوهم على الثورة ضد تركيا ونجحوا نجاحا باهرا اذ قام العرب في جميع البلاد العربية الخاضعة للدولة العثمانية بثورة عارمة ضد الاتراك وحاربوا بجانب دول الحلفاء في مقابل منحهم استقلالهم وحرياتهم بعد انتصار الحلفاء على الاتراك والالمان .

واثناء ذلك تولى العرش بعد السلطان محمد رشاد السلطان وحيد الدين حيث في عهده اعلن البرلمان التركي عام ١٩٣٤م في انقره الغاء حكم السلاطين واعلان الجمهورية التى تولى رئاستها مصطفى كمال اتاتورك(٦) وبقيام الجمهورية التركية في تركيا اكون قد ادخلت في كتابي هذا ما اعلمه عن تاريخ الاتراك وحكمهم الذي بدأته من توران حتى قيام الجمهورية في تركيا .

وارجو الله ان اكون قد وفقت بعض التوفيق الى تسجيل تاريخ ينتفع به من يطالعه والله يوفقنا جميعا الى ما فيه الخير والصلاح لنا وللامة الاسلامية كلها .

بسم الله الرحمن الرحيم

شـــكر وتقـــدير

وفي المقدمة أود أن أعبر عن شكرى وامتناني لكل أولئك الذين عاونوني لاخراج هذا التاريخ وكل من بأسمائهم أولاً خالص الشكر لصاحب الفضيلة الشيخ محمد على الحركان ـ رحمه الله ـ الأمين العام لرابطة العالم الاسلامى الذى أمر بطبع خمسة آلاف نسخة وسعادة مساعد الأمين العام الشيخ محمد صفوت وسعادة مدير الثقافة الشيخ ابراهيم شورى وسعادة الشيخ أحمد محمد جمال مدرس الطالبات في جامعة الملك عبدالعزيز مادة الثقافة الاسلامية عن طريق التلفاز أيضاً تصحيح أوراق امتحان الطالبات وسعادة مدير ادارة المجالس الطبية لقومسيون الطبية العامة لوزارة الصحة في القاهرة الشيخ سيد حسين معوض وسعادة الدكتور عبدالله مبشر الطرازى الحينى الأستاذ المساعد بكلية الآداب والعلوم الانسانية بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة ولسعادة الأستاذ عبدالقادر كرامة الله بمدينة رابغ .

الى هؤلاء جميعاً أتقدم بالشكر وأرجو أن يجزيهم الله عنى خير الجزاء .

المؤلف

عبدالمؤمن السيد أكرم

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة الإعلام

الرقم : ٥٤٠٦/ع/م/م
التاريخ : ٨/٨/١٣٩٩هـ
المشفوعات

حضرة المكرم عبدالمؤمن السيد أكرم المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

بناء على طلبكم إعادة طبع مؤلفكم ((أضواء على تاريخ توران)) طبعة ثانية مع زيادات والإضافات التي أجيزت من قبل هذه الإدارة.

نحيطكم أنه لا مانع لدينا من إعادة طبع الكتاب المذكور ونأمل تزويد هذه الإدارة قبل التوزيع بخمس نسخ منه لحاجتنا للإحاطة.

ولكم وافر تحياتي،

مدير عام المطبوعات مكلف

عبدالله أحمد بوقري

وزارة الإعلام
الإدارة العامة للمطبوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة الاعــــلام

الرقم ــــــــــــــ
التاريخ ١٣٩٥/١٠/٢١ هـ
المشفوعات ــــــــــــ

الـــى مـــن يهمهم الأمـــــر

تشهد ادارة مطبوعات مكـــة أن كتاب (أضواء على تاريخ توران) تأليف عبد المؤمن السيد أكرم بخارى ، الطبعة الاولى هو من الكتب المفســـوحة ولذا اعطيت له هذه الشهادة ،



المراجـع باللغة العربية

١ ـ المسلمون في الاتحاد السوفيتي : تأليف : الدكتور احسان حقي الناشر/مؤسسة الرسالة .
٢ ـ تاريخ بخارى : تأليف/أرمينوس فابرى . ترجمة الدكتور/أحمد محمد السادات ـ طبع في المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والنشر في القاهرة .
٣ ـ تاريخ بخارى : تأليف أبوبكر محمد جعفر النرشخي . ترجمه الى الفارسية : نصر الله مبشر الطرازي طبع في دار المعارف في مصر .
٤ ـ دولة السلاجقة : تأليف الدكتور/عبدالنعيم محمد حسنين ـ الناشر مكتبة الانجلو المصرية .
٥ ـ أفغانستان بين الأمس واليوم . تأليف أبو العين فهمى محمد . دار الكتاب العربي للطباعة والنشر .
٦ ـ بخارى : تأليف صدر الدين عيني ـ منشورات بيروت . دار بيروت للطباعة والنشر .
٧ ـ كفاح تركستان : محمد أسد شهاب ـ مؤسسة دار الصادق للبنشر ضد الاستعمار الروسى .
٨ ـ تركستان : محمود شاكر . طبع في دار الارشاد .
٩ ـ أسرار ما وراء الستار السوفيتي والصين الشعبية ـ تأليف محمد جميل بيهم . المطبعة التجارية ببيروت .
١٠ ـ اعصار من الشرق (جنكيزخان) : دكتور/شرت عكاشة . دار المعارف بمصر .
١١ ـ قتيبة بن مسلم الباهلى . صالح مهدى عماش . الدار الوطنية للتوزيع والاعلان ـ سلسلة الاعلام المشهورين .
١٢ ـ الشريعة الخالدة ومشكلات العصر . تأليف أحمدو كريماني ـ الدار السعودية للنشر والتوزيع .
١٣ ـ القاموس الاسلامى : تأليف أحمد عطية الله . طبع في مطبعة النهضة المصرية . أربعة أجزاء .
١٤ ـ المنجد .
١٥ ـ الموسوعة الاسلامية .
١٦ ـ وبعض الأحداث عاصرتها بنفسى والبعض الآخر سمعتها من والدي ومن أعمامي ومن أساتذتي .

المراجـع باللغة الفارسية

١ ـ مسلمين توران : تأليف/عثمان خوجة مدير الأوقاف ببخارة ـ طبع في باكستان .
٢ ـ تاريخ بخارى : عبدالله مخدوم قاضى في نسخي مخطوط .
٣ ـ تاريخ بخارى ناصري : تأليف السيد/ناصر خان ابن امير مظفر الدين مخطوط يوجد في مكتبة المؤلف .
٤ ـ تاريخ سياحة تامة : تأليف/أمير عبدالكريم البخاري . طبع في استنبول ١٢٩٢هـ . يوجد عند المؤلف .
٥ ـ كشكول سليمي : تأليف/ميرزا سليم بيك . وزير خارجية بخارى طبع في بخارى عام ١٣٣١هـ . يوجد في مكتبة المؤلف .
٦ ـ تاريخ حزن الملل : تأليف الأمير عالم أمير بخارى . طبع في فرنسا باللغة الفرنسية وطبع باللغة الفارسية . يوجد منه نسخة في دار الكتب المصرية ونسخة في مكتبة المؤلف . طبع عام ١٣٤٣هـ .
٧ ـ قلب آسيا : تأليف/عبدالعزيز جنكيزس . يوجد في مكتبة المؤلف ـ وطبع في مصر .
٨ ـ سياحة خيوة : تأليف المستر فانه خان ـ سائح أمريكي ترجم كتابه الى اللغة التركية وطبع في تركيا .

مطبعة رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

